الصوفيون وأرباب الأحوال

مواعظ وحكم وأقوال

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

تقديم

سماحة الشيخ أحمد كفتارو

المفتي العام للجمهورية العربية السورية

بسم الله الرحمن الرحيم

الصوفيون

وأرباب الأحوال

السِّيرَوان
للطباعة والنشر والتوزيع هـ ٤١٨٤٠٢

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م

الصوفيون

وأرباب الأحوال

مواعظ وحكم وأقوال

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

تقديم

سماحة الشيخ أحمد كفتارو
المفتي العام للجمهورية العربية السورية

السيروان
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢
وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

سماحة الشيخ أحمد كفتارو

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

وبعد..

فقد قام الإسلام بجناحَيْن: العلم والمعرفة من جانب، والذكر والتقوى من جانب آخر، وكان هذا التلازم حقيقة تدلُّ عليها نصوص الكتاب، وتهدي إِلَيْها حقائق السنة، وتتجلَّى في سلوك المسلمين الأوَّلين.

وهذا الارتباط بين علم القلب وعلم اللسان بدأ منذ فجر التنزيل، فقد أَنزل الله سبحانه في أَوَّل ما أنزل سورتَيْن مُتعاقبتَيْن.

﴿يَاأَيُّها المزَّمِّل * قُم اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [المزمل: ١ ـ ٢]

﴿يَا أَيُّها المُدَّثِر * قُمْ فَأَنْذِر﴾ [المدثر: ١ ـ ٢]

وأنت ترى أنه ما أُمر بالبدء بالدعوة والبلاغ إلاَّ بعد أَن أُمِرَ بالدخول في مدرسة الإِعداد الروحي والتربوي في قيام الليل ومُداومةِ ذكر الله تعالى.

وهذا المعنى ذاته ظاهر في دخول النبي ﷺ في مدرسة حراء، فقد كان حراء خلوة مع الله عز وجل، أحسن الله عز وجل فيها تأديب حبيبه النبي محمد ﷺ، حتى إِذا أَذاقَهُ رحيق حُبِّهِ، وأكرمه بوصال أُنسه، عَزَفَ قلبه عن «السِّوى»، واستغرق في مقام: ﴿ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾ أكملَ الله نعمتَهُ عليه، واختارَهُ سيداً للمرسلين، وخاتماً للنبيين.

وقد نهجَ السَّلَفُ الأول هذا النهج في التربية، فكانوا يقفون بالسالك إلى الله على الطريق المنجية، يمنحونَهُ نعيمَ العبادة، ويقين المعرفة، حتى تُشرق نفسهُ، ويطمئن فؤادُه.

ومدرسة الإعداد التربوي عن طريق العبادة هي التي أسماها العلماء فيما بعد «الصوفية» وهو مَحْضُ اصطلاح، أَلْهَمَهُمُوهُ صفاءَ النفوس الذي كان عليه أولئك السادات.

ولكن، يجب القول أنَّ ثمةَ اصطلاحاً قرآنياً هو أَوْلى بالقبول، وأدى إلى اجتماع الكلمة وهو «التزكية» فقد جاء القرآن العظيم بالحثِّ على التزكية فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تزَكَىٰ * وَذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

وإنَّك لن تجد في مقاصد الصوفيين وآدابهم شيئاً يخرج عن هذا التعريف: تزكية النفس بالذكر والصلاة.

وثمة اصطلاح آخر علَّمنا إيَّاهُ جبريلُ عليه السلام في حديث عمر بن الخطاب كما أخرجه الإمام مسلم، حيث سأل جبريل عن الإيمان والإسلام، وهي جماع الإعتقاد والأركان، عَقَّبَ بسؤالٍ آخر عن الإحسان، فجعل الإحسان قرين الإسلام والإيمان، وعرّفه بكلمة جامعة تختصر مقاصد التصوف كله: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَراهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ»

وهكذا فإنَّ كل جهد يبذله العبدُ في تحقيق التزكية وقيام الإحسان، في الدعوة إلى سلوك الحق، وبيان أحوال السالكين، فإنَّما هو جهد مبرور وسعي مشكور.

وهذا الجهد الذي بين يديك نوع من السعي المشكور قدَّمه الأخ الباحث الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، وهو طالب علم عامل، وابن بارّ مُوَفَّق، حبَّبَ الله إليه العلم والبحث فجاء بكثير مفيد، وصيّب نافع.

فأسأَل الله أن ينفعَ بعمله هذا المسلمين، وأنْ يردّنا إلى صراطه المستقيم ردّاً جميلاً.

وهو سبحانه المأمول في كل خير

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه أستعين

المقدمة:

إنّ الحمدَ لله، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ، ونعُوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسِنَا، ومِن سيِّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لهُ. وأشهدُ أنْ لاَ إِلَهَ إلاّ الله وحدَهُ لاشريكَ لهُ، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ.

﴿ياأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ، ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتُمْ مُسْلِمُون﴾ [سورة آل عمران/ ١٠٢].

﴿ياأيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الّذِي خلقَكُمْ مِنْ نفسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ منهَا زَوْجَها، وبَثَّ منهُمَا رِجَالاً كثيراً ونِسَاءً، واتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ، إنّ الله كانَ عليكم رقيباً﴾ [سورة النساء/ ١].

﴿ياأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وقُولُوا قولاً سديداً يُصْلِحْ لكُمْ أعمَالَكُمْ، ويَغْفِرْ لكُمْ ذُنُوبَكُمْ، ومَنْ يُطِعِ الله ورَسُولَهُ فَقدْ فَازَ فَوْزاً عظِيماً﴾ [سورة الأحزاب/ ٧٠ـ٧١].

أمّا بَعْدُ: «فَإنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِيْ النَّارِ».

وبعد:

أمام تقديم أستاذنا سماحة الشيخ الدكتور أحمد كفتارو أجد نفسي مضطراً إلى إلغاء مقدمتي الطويلة التي دبّجتها في التعريف بالكتاب وموضوعه وتاريخ التصوّف الإسلامي وأعلامه.

إذ أن تقديمَهُ ـ حفظه الله تعالى ـ جاء جامعاً، شاملاً، يفي بالغرض، ويؤدي المطلوب، بأدَقِ عبارة، وأوضح أسلوب، رائده أمرُ الله تعالى: الحكمة والموعظة الحسنة.

لذلك أجد لزاماً عليَّ أن أقف باحترام وإجلال ممسكاً قلمي عن الكتابة أمام سماحته راجياً لهُ من الله تعالى طول العمر بالتقوى والصّلاح والدعوة والتبليغ، ولنا حُسْنَ الاتباع، والتزام التقوى مذكِّراً نفسي والمسلمين بقول الله تعالى: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبلِ الله جَمِيعاً ولاَتَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعمَةَ الله عَلَيكُم إذ كُنتُم أَعدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَاناً﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

الطبقة الأولى
من الأئمة الصوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

١ ـ الفضيل بن عياض

هو الفضيلُ بنُ عِياض بنِ مسعودِ بنِ بِشْرٍ، التَّميمي، خُراساني، من ناحية مَرْو «مدينة في بلاد فارس»، من قرية يقال لها «فُنْدِين».

ولد بسَمَرْقَنْد بخراسان، ونشأ بأَبِيوَرْد وهي قرية اليوم تابعة للتركستان الروسية كما قال: «ولدتُ بسَمَرْقَنْد، ونشأتُ بأَبِيوَرْد، ورأيتُ بسمرقند عشرة آلاف جَوْزة بدرهم».

توفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة، وأسند الحديث، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (يَقُولُ الله تَعالَى لِلدُّنْيَا: يَا دُنْيَا! مُرِّي عَلَى أَوْلِيَائي، وَلاَ تَحْلَوْلي لَهمْ، فَتَفْتِنِيهِمْ).

عن مَرْدَوَيْه الصائغ (خادم الفضيل بن عياض توفي سنة ٢٣٥ هـ)، قال: سمعتُ الفُضَيْل بن عِياض، يقول: «من جَلَسَ مع صاحب بِدْعَة لم يُعط الحكمة».

وسمعت الفُضَيْل يقول: «في آخر الزمان أَقْوامٌ، يكونونَ إخوان العَلاَنية، أَعداءَ السَّريرة».

وسمعت الفُضَيْل، يقول: «أحقُّ الناسِ بالرضا عن الله، أهلُ المعرفةِ بالله عَزَّ وجل».

وسمعتُ الفُضيْل يقول: «لا ينبغي لحامِلِ القرآن، أن يكونَ له إلى خَلْقٍ حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم؛ ينبغي أن تكون حوائجُ الخَلْقِ كلِّهم إِلَيْه».

وسمعتُ الفُضَيْلَ، يقول: «لم يُدْرِك عندنا من أَدْرَك، بِكَثْرَة صيامٍ ولا صلاةٍ؛ وإنما أدرك بسخاء الأَنْفُس، وسلامة الصدر، والنُّصحِ للأمة».

وسمعت الفُضَيل يقول: «لم يَتَزَيَّنِ الناسُ بشيء، أفضلَ من الصدق، وطَلَبِ الحلال».

وسمعت الفُضَيل يقول: «أصلُ الزهدِ الرضا عن الله تعالى».

وسمعته يقول: «من عَرَف الناسَ استراحَ».

وسمعته يقول: «إني لا أَعْتَقِد إِخاءَ الرجل في الرِّضا، ولكنّي أعتقد إِخاءَه في الغضب، إذا أغضبتُه».

وقال الفُضَيل: «تباعدْ من القُرّاء، فإنهم إن أَحَبُّوك، مدحوكَ بما ليسَ فيكَ؛ وإنْ أَبْغَضُوك، شهدُوا عليكَ، وقُبِلَ منهم».

وسُئِلَ عن التواضع، فقال: «أن تَخْضَع للحق، وتَنْقاد له، وتَقبَل الحقَّ من كل من تسمعه منه».

وقال الحافي بشر بن الحارث: قال الفضيل بن عياض: «أَشْتَهِي مَرَضاً بلا عُوَّاد».

وعن إبراهيم بن الأشعث، قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «إنَّ فيكم خَصْلَتين، هما من الجهل: الضَّحِك من غير عَجَب، الضَّحك من دون سبب والتَّصَبُّح من غير سَهَر» [التصبُّح: النوم بعد صلاة الفجر أول النهار].

وسمعته يقول: «من أظهر لأخيه الوُدَّ والصَّفَاء بلسانه، وأَضْمَر له العداوة والبغضاء، لَعَنَهُ الله، فأَصَمَّه، وأعمى بصيرة قلبه».

وقال في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]: «الذينَ يُحافظونَ على الصلواتِ الخمسِ».

وسمعته يقول: «كان يقال: جُعِل الشرُّ كلُّه في بيتٍ، وجُعل مِفْتاحُه الرغْبَةَ في الدنيا. وجُعل الخير كُلُّه في بيت، وجُعل مفْتاحُه الزهدَ في الدنيا».

وسمعته يقول: «من كَفَّ شرَّه فما ضَيّع ما سرّه».

وقال: «ثلاث خصال تُقَسّي القلبَ: كثرةُ الأكلِ، وكثرةُ النومِ، وكثرةُ الكلامِ».

وسمعته يقول: «خيرُ العملِ: أخفاهُ. وأمْنَعُه من الشيطان: أَبْعَدُه من الرِّياء».

وسمعته يقول: «إنَّ مَنْ شُكْرِ النعمةِ أنْ نَحَدِّثَ بها».

وقال: «أبى الله إلا أن يجعل أرزاق المتقين، من حيث لا يحتسبون». لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مخرجاً وَيرزقهُ مِنْ حيثُ لايحتسبُ﴾ [الطلاق: ٣]
وقال: «لا عملَ لمن لا نيَّةَ له، ولا أَجْرَ لِمن لا حِسْبَةَ لهُ».

وقال: «طُوبَى لمنِ استوحَشَ مِنَ الناسِ، وأَنِسَ بربِّهِ، وبكى على خطيئتِهِ».

٢ ـ ذو النون المصري

هو ذو النون بن ابراهيم المصري، أبو الفيض، ويُقال: ثوبان بن ابراهيم، ويُقال: الفيض بن ابراهيم الإخميمي كان أبوه ابرهيم نوبياً.

توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وقيل: مات سنة ثمان وأربعين. وأسند الحديث.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ).

وكان يقول: «إياك أن تكون بالمعرفة مدَّعياً؛ أو تكون بالزهد مُحتَرِفاً؛ أو تكونَ بالعبادة مُتَعَلِّقاً».

وسُئِلَ: «ما أخفى الحجابِ وأشدُّه؟» قال: «رُؤيةُ النفس وتَدْبيرُها». أي:

محبة النفس والسعي لإمتاعها تحجب عن الله وأعمال الخير

وسئل عن المحبَّة قال: «أن تُحبَّ ما أَحَبَّ الله؛ وتبْغضَ ما أبغضَ الله؛ وتفعلَ الخيرَ كلَّه؛ وترفضَ كلَّ ما يشغَلُ عن الله؛ وألا تخافَ في الله لومةَ لائم؛ مع العطْفِ للمؤمنين، والغِلْظة عَلَى الْكافرين؛ واتِّباع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في الدِّين».

وكان يقول: قال الله تعالى: «مَنْ كان لي مُطِيعاً، كنتُ له وَليّاً؛ فلْيثِق بي، ولْيحكُمْ عليّ فوَعزَّتي، لَوْ سَألني زوالَ الدنيا لأزلْتُها له».

وعن عبدالله بن محمد قال: سألتُ ذا النون عن الصّوفي، فقال: «من إذا نطق، أبانَ نُطْقُه عن الحقائق؛ وإن سكت نطقت عنه الجوارحُ بِقَطْعِ العلائق».

وقال: سمعتُ ذا النون، يقول: «الأُنْسُ بالله، من صَفاء القلْب مَعَ الله؛ والتفَرُّد بالله: الانقطاعُ من كل شيءٍ سوى الله».

وكان يقول: «من أراد التواضعَ فَلْيُوَجِّه نفسه إلى عَظَمةِ الله، فإنها تذوبُ وتصفو. ومن نظر إلى سلطانِ الله، ذَهبَ سلطانُ نفسه؛ لأنّ النفوسَ كلَّها فقيرةٌ عند هَيْبَتِه».

وكان يقول: «لم أَرَ أجهلَ من طبِيبٍ، يداوي سكرانَ، في وقت سُكْره. لن يكون لسكره دواءٌ ـ حتى يُفيق ـ فيداوَى بالتَّوْبَة».

وقال: «لم أر شيئاً أَبْعثَ لِطَلبِ الإخلاص، من الوحدة؛ لأنه إِذَا خلا، لم يرَ غيرَ الله تعالى؛ فإذا لم يرَ غيرَه، لم يُحرِّكْه إلا حكمُ الله. ومن أحبَّ الخَلْوة، فقد تعلَّق بعمودِ الإخلاص، واستمسك بركنٍ كبير من أركان الصدق».

وقال: «من علاماتِ المحبِّ لله، متابعةُ حبيبِ الله في أخلاقه، وأفعاله، وأمره، وسُنَنِه».

و«إذا صح اليقينُ في القلبِ، صح الخوفُ فيه».

وأنشد قائلاً:

أَموتُ وما ماتَتْ إليك صَبابَتي ... ولا قضَّيتُ مِن صِدْق حُبك أَوْطاري

مناي، المنى كلُّ المنى، أنتَ لي مُنًى ... وأَنْتَ الغِنى، كلُّ الغِنى، عِنْد اقتاري

وأنتَ مَدَى سُؤلي وغايةُ رَغْبَتي ... ومَوضِعُ آمالي ومَكْنُونُ اضماري

* * *

تَحمَّلَ قلبي فيك مالا أَبُثُّه ... وَإِنْ طالَ سُقْمِي فيكَ أو طال إِضْراري

وبَيْنَ ضُلوعي منكَ مَالَكَ قَدْ بدا ... ولَمْ يَبْدُ باديه لأهلٍ ولا جارِ

وبي مِنكَ، في الأحشاءِ، داء مُخامِر ... فقد هَدَّ مِنِّي الركنَ وانْبَثَّ إِسْراري

أَلَستَ دليلَ الرَّكْب، إِنْ همُ تَحَيَّروا ... ومُنْقِذَ من أَشفَى عَلَى جُرُفٍ هاري؟

أَرَتْ الهُدَى لِلْمُهْتَدِين، ولم يَكُنْ ... مِنَ النُّور في أيديهمُ عُشْرَ مِعْشار

فَنَلْني بعفو مِنك، أحيا بِقُرْبه ... أَغِثْني بِيُسْرٍ منك، يَطْرُدُ إِعْساري

وقال: «لَئِن مَدَدْتُ يدي إليك دَاعياً، لَطَالَما كَفَيْتَنِي ساهِياً. أَأَقْطَعُ مِنكَ رجاي، بما عَمِلتْ يداي؟. حَسْبي من سؤالي، علمُكَ بحالي».

وقال: «كُلُّ مُدَّعٍ محجوبٌ بدعواه عن شُهودِ الحق؛ لأن الحقَّ شاهدٌ لأهل الحقِّ؛ لأن الله هو الحقُّ، وقولُه الحقُّ؛ ولا يحتاج أن يَدَّعى إذا كان الحقُّ شاهداً له؛ فأما إذا كان غَائباً فحينئذٍ يَدَّعى. وإنما تقع الدعْوَى للمحجوبين».

وقال: «من أَنِس بالخلق، فقد استمكنَ من بِساط الفراعِنَة. ومن غُيِّبَ عن مُلاحظة نفسه، فقد استَمكنَ من الإخلاص. ومن كان حظه في الأشياء «هو»، لا يبالي ما فاته، مما هو دونَه».

وقال:

«الصدقُ سيفُ الله في أرضه، ما وُضع على شَيءٍ إلا قَطَعَهُ».

وقال: «مَن تَزَيَّن بِعَمله، كانتْ حسناتُه سيِّئاتٍ».

وقال: «بأوّلِ قدم تطلُبه، تُدرِكه وتَجِدُه».

وقال: «أدنى منازِل الأُنس، أن يُلْقَى في النار، فلا يَغيب همُّه عن مَأْموله».

وقال: «الأُنس بالله نور ساطع؛ والأُنس بالخَلْق غَمٌّ واقع».

وقال: «الخَوْف رقيبُ العملِ، والرجاءُ شَفِيع المِحَنِ».

وقال: «أطلبْ الحاجة بلسان الفَقْرِ لا بلسان الحُكْم».

وقال: «مِفْتاحُ العبادَة الفكرةُ. وعلامةُ الهوى متابعة الشهوات. وعلامةُ التوكلِ انقطاعُ المطامع».

وقال: «كان الرجلُ، من أَهْلِ العِلْم، يزدادُ بعلمه بُغضاً للدنيا، وتركاً لها؛ واليومَ، يَزْدادُ الرجلُ بعلمه، للدنيا حبّاً، ولها طَلَباً. وكان الرجلُ يُنفِق مالَه على عِلْمه؛ واليومَ يَكْسَبُ الرجلُ بعلمه مالاً. وكان يُرى على صاحب العلم، زيادةٌ في باطنه وظاهرِه؛ واليومَ، يُرَى على كثيرٍ من أهل العلم فسادُ الباطِنِ والظاهِرِ».

وقال: «العارفُ، كلَّ يوم، أَخْشعُ؛ لأنه ـ كلَّ ساعة ـ أقربُ».

وقال: «يا مَعْشر المريدين!. من أراد مِنكم الطريقَ، فلْيَلْق العلماءَ بالجهلِ، والزهادَ بالرَّغْبَةِ، وأهلَ المعرفةِ بالصمت».

وقال: «إن العارف لا يَلْزم حالةً واحدةً، إنما يلزمُ ربَّه في الحالاتِ كلِّها».

٣ ـ إبراهيمُ بنُ أَدْهم

هو أبو إسحاق، من أهل بَلْخ كان من أبناء الملوك والمَياسير. ترك طريقته في التَّزَيُّن بالدنيا، ورَجَع إلى طريقة أهل الزُّهْد والورع. فكان يعمل، ويأكل من عمل يده.

حدث إبراهيم بن أدهم: عن النَّبيَّ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كَانَ يَسْجُدُ عَلَى كَوْرِ الْعِمامَةِ. [أي: على جزءٍ منها]

وقال: «مَنْ عَرَف ما يطلبُ، هان عليه ما يَبْذُل. ومن أَطْلق بَصرَه، طال أسفه - ومن أطلق أمَلَه، ساء عَمَلُه. ومن أطلق لسانَه، قتل نَفْسَه».

وقال: «رأيت خمسةً، ما رأيت مثلَهم قطُّ: إبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أَسْباط، وحُذَيْفَة بن قَتادة، وهُشَيْم العِجْلي، وأبو يونس القَوِي».

وقال: «اتَّخِذْ الله صاحباً، وذَرِ الناسَ جانباً».

قال إبراهيمُ بنُ أدهم، لِرَجل في الطواف: «اعلمْ أنّك لا تنالُ دَرَجةَ الصالحين، حتى تجوز سِتَّ عِقَاب: أن تُغلِق باب النعمةِ، وتَفْتَح بابَ الشدة. والثانية: أن تُغلِق بابَ العِزِّ، وتفتح باب الذل. والثالثة: أن تُغلِق بابَ الراحةِ، وتفتح باب الجُهْد. والرابعة: أن تغلِق بابَ النوم، وتفتح بابَ السَّهَر. والخامسة: أن تُغلِق بابَ الغِنى، وتفتح باب الفَقْر. والسادسة: أن تُغلِقَ بابَ الأمَلِ، وتَفتَح باب الاستعداد للموت».

٤ - بشر الحافي

هو بِشْر بنُ الحارثِ بن عبد الرحمن بن عطاء بن هِلال بن ماهان بنِ عبدالله، الحافي.

كنيته أبو نصر، وأصله من «مرو»، سكن بغدادَ، وصحب الفُضَيْل بن عياض، وكان عالماً وراعاً، توفي في العاشر من المحرم سنة ٢٢٧هـ ومات بها.

حدث فقال: «يأتي على النَّاس زمانٌ، لا تَقَرُّ فيه عينُ حَكيم. ويأتي عليهم زمانٌ، تكونُ الدَّوْلَةُ فيه للحمْقَى عَلى الأكْياس».

وقال: «النظرُ إلى الأحْمَق سُخْنَة العين. والنظرُ إلى البخيل يُقَسِّي القلبَ».

وقال: «اعْمَلْ في تَرْكِ التَّصَنُّع، ولا تعملْ في التَّصَنُّع».

وقال: «الصبرُ الجميلُ: هو الذي لا شكوى فيه إلى الناس».

وقال: «لا تكونُ كاملاً حتى يأمَنك عدوُّك. وكيف يكونُ فيك خيرٌ، وأنتَ لا يأمنُك صديقُك؟!».

وقال: «لا تجدُ حلاوةَ العبادةِ، حتى تجعلَ بينك وبين الشهواتِ حائطاً من حديد».

وقال: «الدُّعاءُ تركُ الذُّنوب».

وقال: «المُتَقَلِّبُ في جوعه، كالمُتَشَحِّط في دَمه في سَبيل الله، وثوابُه الجنةُ».

وقال: «هَبْ أنَّكَ لاَ تخافُ. وَيْحَكَ. ألاَ تشتاق؟!». [أي: مِن الله، وإلى الله]

وقال: «أربعةٌ رفعهم الله بطيبِ المَطْعَم: وُهَيْبُ بنُ الوَرْد، وإبراهيمُ بنُ أَدهم، ويوسفُ بن أَسْباط، وسالم الخواص».

وقال: «شاطِرٌ سَخِيٌّ أحبُّ إليَّ من قارىءٍ لئيم».

وقال: «إني لأَشْتَهِي الشِّواء، منذ أربعين سنة، فما صفا لي دِرْهَمُهُ».

قال رجل مرة لبشر: «لا أَدْرِي بأيِّ شيءٍ آكل خُبْزِي؟». فقال: «اذكرْ العافيةَ، واجْعلْها إدامَكَ!».

وقال: «إن لم تُطِعْ فلا تَعْصِ!».

وقال: «أنا أَكْرَه الموتَ، ولا يكرهُ الموتَ إلا مُرِيبٌ».

وقال: «حُبُّك لمعرفة الناسِ، رأسُ مَحَبَّة الدنيا».

وقال: «بِحَسْبِكَ أَنَّ قَوْماً مَوْتَى، تحيا القلوبُ بِذِكْرِهم. وأَنَّ قوماً أحياءَ تقسو القلوبُ بِرُؤْيَتِهِمْ».

وقال: «الحلالُ لا يحتمل السَّرَفَ».

وقال: «بي داءٌ؛ مالم أعالِجْ نفسي لا أَتَفَرَّغُ لغيري. فإذا عالجتُ نفسي، تفرغتُ لغيري. ما أَبْصَرَني بموضِعِ الدَّاءِ، وموضع الدَّوَاءِ، إن أَعَانَنِي منهُ بمَعونَة!» وقال: «أنتُمُ الدَّاءُ! أرى وجوهَ قومٍ لا يخافُون، متهاونين بأُمُورِ الآخِرَةِ».

وحدث عن الفقراء فقال: الفُقَرَاءُ ثَلاثَة: فقيرٌ لا يسأل، وإنْ أُعطِيَ لا يَأْخُذ؛ فذاك من الرُّوحَانيِّين، إذا سألَ الله أعطاهُ، وإن أَقْسَم على الله أَبَرَّ قَسَمَه.

وفقيرٌ لا يسألُ، وإن أُعْطِي قَبِل؛ فذاك من أَوْسَطِ القَوْم، عَقْدُه التَّوَكُّلُ والسكونُ إلى الله تعالى؛ وهو ممن تُوضَعُ له الموائدُ في حَظيرَةِ القُدْس.

وفقيرٌ اعتَقَد الصَّبْرَ، ومُدافَعَةَ الوَقْتِ.

٥ ـ سري السّقطي

هو سَرِيٌّ بنُ المُغَلِّس السَّقَطِيُّ، صحبَ معروفاً الكَرْخِيَّ. وهو أولُ من تكلم في لسان التوحيد، وحقائق الأحْوال.

توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين.

حدث فقال: «أَعْرِفُ طريقاً مختصراً، قَصْداً إلى الجَنَّة». وهو أن «لا تسأل أحداً شيئاً؛ ولا تأخذُ من أحدٍ شيئاً؛ ولا يكونُ معك شيءٌ تُعْطِي منهُ أحداً».

وقال: «ما أَرَى لِي على أحدٍ فَضْلاً».

وقال: «إذا فاتني جُزْءٌ من وِرْدِي، لا يُمكنُني أن أَقْضِيَه أبداً».

وقال: «من أَرادَ أن يَسْلَم دِينُه، ويستريحَ قلبُه وبدنُه، ويَقِلَّ غمُّه؛ فليعتزلِ النَّاسَ، لأنَّ هذا زمانُ عُزْلَةٍ ووِحْدَةٍ».

وقال: «كلُّ الدنيا فُضُول، إلا خَمْسُ خِصال: خُبْزٌ يُشْبِعُه، وماءٌ يُرويه، وثوب يستره، وبيتٌ يُكِنُّه، وعِلْمٌ يَسْتَعْمِلُه».

وقال: «التَّوَكُّلُ الإنْخلاعُ من الحَوْل والقُوَّة».

وقال: «أربعٌ من أَخلاق الأبدالِ: استِقْصاءُ الوَرَع، وتصحيحُ الإِرَادَةِ، وسلامةُ الصَّدْر للخلق، والنصيحةُ لهم».

وقال: «اللهمَّ ما عذَّبتَنِي بشيءٍ، فلا تُعَذِّبْنِي بِذُلِّ الحِجَابِ».

سُئِلَ مرة السَّرِيُّ عن العقل، فقال: ما قامتْ به الحجةُ على مَأْمُورٍ ومَنْهِيٍّ.

وقال: «أَرْبَعُ خصالٍ تَرْفَعُ العبدَ: العِلْمُ، والأَدَبُ، والأَمَانةُ، والعِفَّةُ».

وقال: «من لم يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعمةِ سُلِبَها من حيثُ لا يعلمُ».

وقال: «من هانَتْ عَلَيْه المصائِبُ أَحْرَزَ ثَوابَها».

وقال: «قَليلٌ في سُنَّةٍ، خَيْرٌ من كثيرٍ مع بِدْعَةٍ. كيف يَقِلُّ عَمَلٌ مع التَّقْوى؟!».

وقال: «الأمورُ ثلاثة: أَمْرٌ بانَ لك رُشْدُه، فاتَّبِعْه؛ وأَمْرٌ بانَ لَكَ غَيُّه، فاجْتَنِبْه؛ وأَمْرٌ أَشْكَلَ عليْك، فَقِفْ عِنْدَه، وكِلْهُ إلى الله عَزَّ وجَلَّ. ولْيَكُنْ الله دَليلَك. واجعلْ فَقْرَكَ إليه، تَسْتَغْنِ به عَمَّنْ سواه».

وقال: «الأدبُ تَرْجُمان العقل».

وقال: «ما أَكْثَرَ مَنْ يصفُ الصِّفَةَ، وأقلَّ من يُوافِقُ فِعْلُه صفتَه!».

وقال: «أقوى القوَّةِ غَلَبَتُك نَفْسَك، ومن عَجَز عن أَدَبِ نَفْسِه كان عن أَدَبِ غَيْرِه أَعْجَزُ؛ ومن أَطَاعَ مَنْ فَوْقَهُ أَطَاعَهُ من دُونَهُ.

وقال: «مَن خافَ الله خَافَهُ كلُّ شيءٍ».

وقال: «لِسانُكَ تَرجُمانُ قَلْبك؛ ووَجْهُكَ مرآةُ قلبك؛ يَتَبَيَّنُ على الوَجْهِ ما تُضْمِرُ القُلوبُ».

وقال: «القُلوبُ ثلاثةٌ: قَلْبٌ مثلُ الجَبَلِ، لا يُزِيلُهُ شيءٌ؛ وقلبٌ مثل النَّخْلَةِ، أَصْلُها ثابتٌ والريحُ تُمِيلُها؛ وقَلْبٌ كالرِّيشةِ، يَميلُ مَعَ الرِّيح يميناً وشمالاً».

وقال: «لا تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيابٍ. ولا تَدَعْهُ دونَ الاسْتِعْتَابِ».

وقال: «إن اغْتَمَمْتَ لِمَا يَنْقُصُ مِنْ مالِك، فابكِ عَلَى ما ينقُصُ مِن عُمْرِك».

وقال: «مِن عَلامةِ المعْرفَة بالله القيامُ بحقوق الله، وإيثارُه على النفْس، فيما أَمكَنَتْ فيه القدرةُ».

وقال: «مِنْ قِلّةِ الصِّدْقِ كَثْرَةُ الخُلَطاءِ».

وقال: «حُسْنُ الخُلُقِ كفُّ الأذَى عن الناسِ؛ واحْتِمالُ الأذَى عنْهم بلا حِقْدٍ ولا مُكافأَةٍ».

وقال: «مِنْ علامةِ الاسْتِدْرَاجِ العَمَى عن عُيُوبِ النّفْسِ».

وقال: «خَيْرُ الرِّزْقِ ما سَلِمَ من خَمْسَة: من الآثام في الاكْتِسابِ؛ والمَذَلّةِ والخُضوعِ في السُّؤال؛ والغِشِّ في الصِّناعة؛ وأَثْمانِ [أي: ثمن] آلَةِ المَعاصِي؛ ومُعامَلَةِ الظَّلَمَةِ».

وقال: «أحسنُ الأشياءِ خمسةٌ: البُكاءُ عَلَى الذُّنوب؛ واصْلاحُ العُيُوبِ؛ وطاعةُ عَلّام الغُيوبِ؛ وجَلاءُ الرَّيْن منَ القلوب؛ وألّا تكونَ لِكلِّ ما تَهْوَى رَكوبُ».

وقال: «خمسةُ أشياءَ، لا يسكُنُ في القَلْبِ معها غيرُها: الخوفُ من الله وَحْدَه؛ والرجاءُ لله وحدَه؛ والحبُّ لله وَحْده؛ والأُنْسُ بالله وَحْدَه».

وقال: «أَجْلَدُ الناسِ مَنْ مَلَكَ غَضَبه».

وقال: «مَنْ تَزَيَّن للناس بما لَيْس فيه، سَقَط من عَيْن الله عز وجل».

وقال: «لَن يَكْمُلَ رجلٌ حتى يُؤْثِرَ دينَه على شَهْوَتِه؛ ولَن يَهْلِكَ حتى يُؤْثِر شَهْوَتَه على دِينهِ».

سئل سري مرة عن حاله فأجاب:

من لم يَبِتْ والحُبُّ حَشْوُ فُؤادِهِ   لم يَدْرِ كَيْفَ تَفَتَّتُ الأكْبادُ

وسُمع عنه يقول: إذا ابْتَدَأَ الإنْسَانُ بالنُّسُكِ ثم كَتَبَ الحديثَ فَتَرَ؛ وإذا ابْتَدَأَ بكَتْبِ الحديثِ، ثم تَنَسَّكَ، نَفَذَ».

٦ ـ الحارث المحاسبي

هو الحارِثُ بنُ أسدٍ المحاسِبيُّ، من العلماء بعلوم الظاهر، والمُعامَلات والإشارات. له التصانيف المشهورة؛ منها: «كتابُ الرِّعَايةِ لحقوق الله»، وهو من أَهْلِ البَصْرَة. توفي ببغداد، سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

وبسنده عن أبي الدَّرْداء؛ قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم: «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الخُلُقِ».

وقال: «المحاسَبَةُ والموازَنَةُ في أربعةِ مَواطِن: فيما بين الأيمان والكُفْر، وفيما بين الصِّدق والكَذِب، وبين التَّوْحيد والشِّرْك، وبين الإخْلاصِ والرِّياء».

وقال الحارِثُ: «من اجتهد في باطنه ورَّثَه الله حُسْن مُعامَلَة ظاهره. ومن حَسَّنَ مُعامَلَتَه في ظاهره، مع جُهْدِ باطنه، وَرَّثَهُ الله تعالَى الهِدَايَةَ إليه، لقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. [العنكبوت: ٦٩].

وقال: «العِلْمُ يُورِثُ المخافَةَ، والزُّهدُ يُورِثُ الراحةَ، والمعرفةُ تورِثُ الإنابَةَ».

وقال الحارثُ: «خيارُ هذه الأُمَّةِ الذين لا تَشْغَلُهم آخِرَتُهم عن دُنياهُم؛ ولا دُنْياهُم عن آخِرَتِهم».

وقال الحارثُ: «الذي يبعثُ العبدَ على التَّوْبَةِ تركُ الإصْرار، والذي يبعثُه على تركِ الإصْرار ملازمةُ الخَوفِ».

وقال الحارثُ: «لا يَنْبَغِي أن يَطْلُبَ العبدُ الوَرَعَ بتضييعِ الواجِبِ».

وقال الحارثُ: «أكثرَ شُغْلِ الحكيمِ فيما يوجِبُه عليه الوقتُ؛ والَّذي هو أَوْلَى به فيه».

وقال الحارثُ: «صِفَةُ العبودية ألاَّ ترى لِنَفْسك مِلْكاً، وتعلمَ أنَّكَ لا تملكُ لنفسك ضَرّاً ولا نَفْعاً».

وقال الحارثُ: «التَسْلِيمُ هو الثُّبوتُ عند نُزُولِ البلاءِ، من غير تَغَيُّر مِنْهُ في الظَّاهِرِ والباطِنِ».

وسُئِلَ الحارثُ عن الرَّجاء، فقال: «الطَّمَعُ في فَضْلِ الله تعالى ورَحْمَتِه، وصِدْقُ حُسْنِ الظن عند نُزولِ الموتِ».

وقال الحارثُ: «الحزْنُ على وجوه: حُزْنٌ على فَقْدِ أمرٍ يُحَبُّ وجودُه؛ وحزنٌ مخافةَ أمرٍ مُستقبلٍ؛ وحُزْنٌ لما أَحَبَّ من الظَّفَرِ بأمرٍ، فَيَتَأَخَّرُ عن مُرادِهِ؛ وحُزْنٌ، يَتَذَكَّرُ من نفسه مُخالَفَاتِ الحقِّ، فَيَحْزَنُ له».

وقال الحارثُ: «حُسْنُ الخُلُقِ احتمالُ الأذَى، وقِلَّةُ الغَضَب، وبَسْطُ الوجه، وطِيبُ الكلام».

وقال الحارثُ: «لكلِّ شيءٍ جَوْهَرٌ، وجَوْهَرُ الإنسانِ العقلُ، وجَوْهَر العقل الصَّبْرُ».

وقال الحارثُ: «العملُ بحركاتِ القلوبِ، في مُطالعاتِ الغُيوب، أشرفُ من

العملِ بحركاتِ الجوارِح».

وقال الحارثُ: «من طُبِعَ عَلَى البِدْعَةِ متى يَشِيعُ فيه الحقُّ؟».

وقال الحارثُ: «إذا أنت لم تسمَع نداءَ اللهِ؛ فكيف تُجيبُ دَاعِيَ الله؟. ومن استغنى بشيءٍ، دون الله، جَهلَ قَدْر الله».

وقال الحارثُ: «الظالمُ نادمٌ، وإن مَدَحَه النَّاسُ؛ والمظلومُ سالمٌ، وإن ذمَّهُ الناسُ. والقانعُ غَنِيٌّ، وإن جاعَ؛ والحريصُ فقيرٌ، وإن مَلَك».

وقال الحارثُ: «من صَحَّحَ باطِنَه بالمُراقَبةِ والإخلاصِ، زَيَّنَ الله ظاهرَه بالمجاهَدَةِ واتِّباعِ السُّنَّةِ».

وسُئِلَ الحارثُ: «من أَقْهَر الناسِ لِنَفْسِه؟». فقال: «الراضي بالمقدورِ».

وقال الحارثُ: «الخَلْقُ كلُّهم معذورون في العَقْل، مأخوذون في الحُكْم».

وقال الحارثُ: «من لم يشكُرِ اللهَ على النِّعمةِ، فقد استدْعَى زوالَها».

وقال الحارثُ: «أكملُ العاقِلينَ من أقَرَّ بالعجز أنَّه لا يبلغُ كُنْهَ مَعْرِفته».

٧ ـ شقيق البلخي

هو شَقيقُ بنُ إبرهيمَ، أبو عليٍّ الأَزْدِيُّ. من أَهل بَلْخ. حَسنُ الجَرْى على سبيلِ التَّوَكلِ، وحَسَنُ الكَلامِ فيه. وهو من مَشاهِيرِ مَشايخ خُراسانَ.

صَحبَ إبرهيمَ بنَ أدهمَ، وأخذ عنه الطّريقَةَ.

وأسند الحديث:

ويسنده: قالت عائشة، رضي الله عنها: كانَ رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (اللَّهُمَّ إنَّ الخيرَ خَيْرُ الآخرَة).

ويسنده: عن أنَسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم: (مَنْ أخَذَ مِنَ الدُّنْيَا مِنَ الحَلالِ، حَاسَبَهُ الله بِهِ؛ وَمَنْ أخَذَ مِنَ الدُّنْيَا مِنَ الحَرام عَذَّبَهُ الله بِهِ. أُفٍّ لِلدُّنْيَا وَمَا فيهَا مِنَ الْبَلِيَّاتِ! حَلالَها حِسَابٌ، وحَرَامُهَا عَذَابٌ!).

قال: «العاقلُ لا يَخْرُجُ من هذه الأحْرُفِ الثلاثةِ:

الأول: أن يكونَ خائفاً لما سَلَفَ منه من الذنوب. والثاني: لا يَدْرِي ما ينزِلُ به ساعةً بعد ساعة. والثالث: يخاف من إبهامِ العاقبةِ، لا يدري ما يُخْتَمُ له».

وقال: «احْذَرْ ألّا تَهْلِكَ بالدُّنيا. ولا تهتم! فإنَّ رزقَكَ لا يُعطَى لأحدٍ سواك».

وقال: «اسْتَعِدَّ! إذا جاءَكَ الموت لا تَسْأَل الرَّجْعَةَ».

وقال: «التوكلُ أَنْ يَطمئِن قَلبُكَ بِمَوْعُودِ الله».

وقال: «تُعْرَفُ تقوى الرَّجلِ في ثلاثةِ أشياء: في أَخْذِهِ، ومَنْعِه، وكلامِه».

وسُئِلَ: «بأيِّ شَيْءٍ يَعْرِفُ الرجلُ أنّهُ أصابَ القِلَّة؟». قال: «بِأَنّ كُلَّ شَيْءٍ يَأخذُ من الدنيا، يَأْخُذهُ في حالٍ، يخافُ ـ إن لم يأخذه ـ أن يَأثَمَ».

وسئل: «بِأيِّ شيء يعرفُ الفَقيرُ أنّهُ أصابَ من الله تعالى حِفْظَ الفقر؟». قالَ: «بِأَنْ يَخْشَى مِنَ الغِنَى، ويغتنمَ الفَقْرَ».

وقال: «عمِلْتُ في القرآنِ عشرين سَنَة، حتى ميَّزتُ الدنيا من الآخرة؛ فأصَبتُه في حرفين، وهو قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ الله خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾. [القصص: ٦٠]

وقال: «الزَّاهِدُ الّذِي يقيمُ زُهْدَه بِفعلِه. والمُتَزَهِّدُ الذي يُقِيمُ زُهدَه بِلِسانِه».

وقال: «من لم يَعْرِف الله بالقُدْرَة، فَإنّه لا يَعْرِفه؛ قيلَ: وكيف يعرفُه بالقُدْرَةِ؟. فقال: يعرفُ أَنّ الله قادرٌ إذا كان معه شيء أَنْ يَأخُذَه منه، ويُعطيَه

غيرَه؛ وإذا لم يكُنْ معهُ شيءٌ أن يُعطيَه».

وقال: «من أَرادَ أن يَعْرِفَ مَعْرِفتَه بالله، فلينْظُر إلى ما وَعَده الله وَوَعَدَه النَّاسُ، بأيِّهما قلبُه أوثَق».

وقال: «مَيِّزْ بين ما تُعْطِي وتُعْطَى: إنْ كان مَنْ يُعطيكَ أحبَّ إليك فإنَّك محبٌّ للدنيا؛ وإنْ كان مَنْ تُعْطِيه أحبَّ إليكَ فإنَّكَ مُحِبٌّ لِلآخِرَة».

وقال: «مَن خَرَج من النِّعمةِ، ووقع في القِلَّةِ، ولا تكون القِلَّة عِنْده أعْظَم من النِّعمةِ، وقع في غَمَّيْن: غمٌّ في الدُّنيا، وغمٌّ في الآخرة. ومن خرج من النِّعمةِ، ووقع في القِلَّةِ، وكانت القِلة أعظم عِنده من النِّعمةِ التي خرجَ منها، كان في فَرَحَيْن: فرحٍ في الدنيا، وفرحٍ في الآخرة».

وقال شقيقٌ: «اتَّقِ الأغْنِياءَ! فإنَّكَ متى عَقَدْتَ قَلْبَك مَعَهُم، وطَمِعتَ فيهم، فقد اتَّخذتَهُم أرباباً مِن دون الله عَزَّ وَجَلَّ».

وسُئِلَ شقيقٌ: «بأيِّ شيءٍ يُعْرَفُ بِأَنَّ العبدَ اختارَ الفَقْرَ عَلَى الغِنَى؟». قال: «يَخافُ أن يصيرَ غَنِيّاً، فيحفظ الفقرَ بالخوفِ، كما كان من قبلُ يخافُ أن يَصيرَ فقيراً، فيحفظ الغِنى بالخَوفِ».

وسُئِلَ: «بِأَيِّ شيءٍ يُعْرَفُ بأنَّ العبدَ واثقٌ بربِّه؟». قال: «يُعْرَفُ بأنَّه إذا فَاتَه شيءٌ من الدُّنيا يَحْسَبُه غَنِيمةً؛ وإذا أبْطأَ عليه شيءٌ من الدُّنيا يكونُ أَحَبَّ إليهِ مِنْ أن يأْتِيَه».

وقال شقيقٌ: «إنَّ حِفْظَ الفقْرِ أنْ ترى الفقرَ مِنَّةً مِنَ الله عَليْك، حيثُ لم يُضَمِّنْك رِزقَ غَيْرِك، ولم يُنقِصْك مما قَسَمَ الله».

قال شقيقٌ: «تفسيرُ التَّوبةِ أن ترى جُرْأتَك على الله، وترى حِلمَ الله عَنْكَ».

قال شقيقٌ: «ليْس شيءٌ أَحبَّ إليَّ من الضَّيْفِ، لأنَّ رزقَه ومُؤْنَتَه عَلَى الله، ولي أَجْرُه».

قالَ شَقيقٌ: «طَهِّرْ قَلْبَك من حُبِّ عُروضِ الدُّنيا، حتى يَدخُلَ فيه حُبُّ الآخِرَةِ، وثَوابُ الله عَزَّ وجَلَّ».

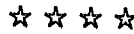
وقال: «مَنْ لَم يكُنْ مَعَهُ ثلاثةُ أَشْياءَ، لا يَنْجُو من النَّارِ: الأمنُ، والخوفُ، والاضطرابُ».

قال: «الصَّبرُ والرّضا شكلانِ؛ إذا تعمَّدتَ في العملِ فإنَّ أولَه صَبْرٌ، وآخرَهُ رِضاً».

وقال: «إذَا أرَدْتَ أَنْ تكونَ في راحةٍ، فَكُلْ ما أَصَبْتَ، والبَسْ ما وَجَدْتَ، وارْضَ بما قَضَى الله عَلَيْك».

وقال شقيقٌ: «مَن دَارَ حولَ العُلُوِّ، فإنما يدورُ حولَ النَّارِ. ومن دارَ حَوْل الشهواتِ، فإنه يدورُ بِدَرجاتِه في الجنةِ ليأْكُلَها، ويُنْقِصَها في الدُّنيا».

قال شقيقٌ: «جَعَل الله أهلَ طاعتِه أحياءً في مماتِهم، وأهلَ المعاصِي أمواتاً في حياتِهم».



٨ ـ أبو يزيد البسطامي

هو طَيْفُورُ بنُ عيسى بن سَرُوشَانَ كان زاهداً عابداً، ومن أَرباب الأَحوالِ، وهو من أهل بلدة بسْطام على طريق نيسابور في الشمال الشرقي من إيران. . توفي سنة إحْدَى وستِّين ومائتَيْن.

حدَّث فقال: «قَعَدْتُ ليلةً في مِحْرابِي، فمدَدْتُ رِجْلِي، فهتفَ بي هاتفٌ: من يُجالِسُ الملوكَ يَنْبَغي أَنْ يُجالِسَهُم بِحُسْنِ الأدَب».

وسُئِل عن دَرَجة العارِفِ، فقال: «ليس هُناك درجةٌ. بل أَعْلَى فائدةِ العارِف وُجودُ معرُوفِه».

وقال: «العابِدُ يعبُدُه بالحالِ، والعارفُ الواصِلُ يعبُده في الحال».

وسُئِلَ: «بماذا يُسْتَعَان على العِبَادةِ؟» فقال: «بالله! إن كنتَ تَعْرِفَه».

وقال: «أدنى ما يجب على العارف، أن يهب له ما قد ملَّكه».

وقال: «من ادَّعَى الجمْعَ بابتلاءِ الحقِّ، يحتاجُ أن يُلْزِمَ نَفْسَهُ عِلَلَ العُبُودِيَّةِ».

وقال: «عَمِلْتُ في المجاهَدَة ثلاثين سنةً، فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عَلَيَّ من العِلْم ومُتابَعَتِه؛ ولولا اختلافُ العلماءِ لبقِيتُ. واختلافُ العُلماءِ رحمةٌ، إلا في تَجْرِيد التَّوحيد».

وقال: «لا يعرف نفسه مَن صَحِبَتْه شهوتُه».

وقال: «الجنَّةُ لا خَطَر لها عند أَهْلِ المَحَبَّةِ. وأَهْلُ المحبَّة مَحْجوبون بمحبَّتِهِمْ».

وقال: «مَن سَمع الكلامَ ليتكلَّم مع الناس، رَزَقَهُ الله فَهْماً يُكلِّم به الناسَ؛ ومن سَمِعَه ليُعامِل الله به في فِعْله، رَزَقَهُ الله فَهْماً يُناجى بِهِ رَبَّهُ عزَّ وجَلَّ».

وقال: «اطَّلَعَ الله على قلوبِ أوليائِه، فمِنْهُم من لم يكنْ يصلُحُ لِحَمْلِ المعرفة صِرْفاً، فَشَغَلَهم بالعبادة».

وقال: «كُفْرُ أهلِ الهِمَّةِ أسلَم من إيمانِ أهل مِنَّةٍ».

وسئل: «بماذا نالوا المعرفةَ؟». قال: «بتضييعِ مالَهم، والوقوفِ مع مَالَه».

وقال: «هذا فَرَحِي بِكَ وأنا أَخَافُكَ! فكيف فَرَحِي بك إذا أَمِنْتُك؟!».

وقال: «يا رَبُّ! أَفْهِمْني عَنك، فإنّي لا أفهمُ عَنْك إلا بِكَ».

وقال: «عرفْتُ الله بالله، وعرفْتُ ما دونَ الله بنورِ الله عزَّ وجَلَّ».

وسُئِل: «ما علامةُ العارِف؟». فقال: «ألا يَفْتُر مِنْ ذِكْره، ولا يَمَلَّ من حقِّه، ولا يستأنِسَ بغيره».

وقال: «إنَّ الله تعالى أَمَرَ العِبادَ ونَهاهُم، فأَطاعُوه، فَخَلَعَ عليْهِمْ خِلعَه، فاشتَغَلُوا بالخَلعِ عنهُ، وإني لا أُرِيدُ من الله إلا الله».

وقال: «غلِطْتُ في ابتدائي في أربعة أشياء: تَوَهَّمْتُ أَنِّي أَذْكُرُه، وأَعْرِفُه، وأُحِبُّه، وأَطْلُبُه. فلما انتهيتُ، رأَيتُ ذِكْرَه سبق ذِكْرَي، ومعرفتَه تقدمَتْ مَعرفتي، ومحبَّتَه أقدمَ مِن محبَّتي، وطلبه لي أولا حتى طلبته».

وقال: «اللهمَّ إنك خلقتَ هذا الخلقَ بغير عِلْمِهم، وقلَّدْتَهُم أمانةً من غير إرادتهم؛ فإنْ لَمْ تُعِنْهُمْ فمن يُعِينُهُم؟!».

وقال: «إذا صَحِبكَ إنسان، وأساءَ عشرتك، فادْخُل عليه بحسنِ أخلاقِكَ يطيبُ عيشُكَ. وإذا أُنعِمَ عليك، فابدأ بشكر الله عز وجلَّ، فإنهُ الذي عَطَف عليك القلوبَ. وإذا ابتُليتَ فأَسْرِع الاستِقالةَ؛ فإنَّهُ القادرُ على كشفِها، دونَ سائر الخلقِ».

وقال: «إن الله يرزقُ العبادَ الحلاوةَ، فمن أَجْلِ فرحِهم بها يمنعُهم حقائقَ القُرْب».

وقال: «المعرفةُ في ذاتِ الحقِّ جهلٌ، والعلمُ في حقيقةِ المعرفةِ حيرةٌ، والإشارةُ ـ من المُشير ـ شِرْكٌ في الإشارة. وأبعدُ الخلقِ من الله، أكثرُهُمْ إشارة إليه.

سُئِل: «بأيِّ شيءٍ وجدتَ هذه المعرفةَ؟». فقال: «ببطنٍ جائع، وبدنٍ عارٍ».

وقال: «العارفُ هَمُّه ما يَأْمَلُه، والزاهدُ هَمُّه ما يَأْكُله».

وقال: «طَوبَى لمن كان هَمُّه هَمّاً واحداً، ولم يشغَلْ قلبَه بما رأتْ عيناه، وسمعتْ أذُناه».

وقال: «من عرفَ الله فَإنَّهُ يزهد في كلِّ شيءٍ يشغلُه عنهُ».

سئل فقال: «السُّنَّةُ تركُ الدنيا، والفريضةُ الصُّحْبةُ مع المولَى؛ لأنَّ السنةَ كلها تدلُّ على تركِ الدنيا، والكتابُ كلُّه يدلُّ على صحبةِ المولى. فمن تعلَّم السنةَ والفريضةَ فقد كَمُل».

وقال: «النِّعمةُ أَزَلِيَّةٌ، يجبُ أن يكونَ لها شُكْرٌ أَزَلِيٌّ».

٩ ـ أبو سليمان الداراني

وهو: عبدُالرحمن بنُ عطيةَ؛ وهو من أهل «دَارَيَّا»، قرية كبيرة في ضواحي دمشق توفي سنة خمس عشرة ومائتين.

أسند الحديث، ولسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلّهِ رَفَعَهُ» بسند حسن وحدث فقال: «إذا غَلَبَ الرجاءُ على الخوفِ فَسَدَ الوقتُ».

وقال: «ليتَ قلبِي في القلوبِ كثوبي في الثِّياب!»، وكانت ثيابُه وَسَطاً.

وقال: «من صَارَعَ الدنيا صَرَعَتْه».

وقال: «من أَحسَنَ في نهاره، كوفِىءَ في لَيْلِه. ومن أَحسنَ في لَيْلِه، كوفِىءَ في نهارِه. ومن صَدَقَ في تَرْكِ شَهْوَةٍ، ذهبَ الله بها مِن قلْبِه. والله أَكْرَمُ مِن أن يعذِّبَ قلْباً بشهوةٍ تُرِكَتْ له».

وقال: «خيرُ السخاءِ ما وافق الحاجةَ».

وقال: «إذا سَكَنَتِ الدنيا في قلْبٍ ترحلتْ منه الآخرةُ».

وقال: «الواردُ الصادقُ، أَنْ يصدُقَ مافي قلبِه ما نطق به لسانُه».

وقال: «من صَدقَ كوفِيءَ ومن أَحسن عُوفِيَ».

وقال: «ربما يَقعُ في قلبي النُّكْتَةُ من نُكَتِ القوم أياماً، فلا أقبلُ منه إلا بشاهدينِ عدلين: الكتابِ، والسنةِ».

وقال: «كُلّ عملٍ ليس لهُ ثوابٌ في الدُّنيا ليس له جزاءٌ في الآخرة».

وقال: «إذا جاعَ القلبُ وعَطِشَ، صفا ورَقَّ؛ وإذا شبع ورَوِي، عَمِيَ».

سأَلَ أحمدُ بنُ الحَواريِّ؛ سليمانَ: «صليتُ صلاةً في خَلْوةٍ، فوجدتُ لها لذةً!». فقال: «أي شيءٍ لَذَّكَ منها؟» قلتُ: «حيث لم يرني أحدٌ!». فقال: «إنك لضعيف، حيثُ خَطَر بقلبِك ذِكْرُ الخَلْق».

وسئل: إذا خرجَتِ الشهواتُ من القلبِ، أيُّ اسمٍ يقعُ عليه؟ زاهدٌ؟ ورعٌ؟ ماذا؟». قال: «إذا سلا عَنِ الشهواتِ فهو راضٍ».

وقال: «اجعلْ ما طلبتَ من الدنيا فلم تَظْفَرْ به، بمنزلةِ مالم يخطُرْ ببالِك، ولم تَطْلُبْه».

وقال: «العيالُ يُضعِفون يقينَ صاحبِ اليقين. لأنه إذا كان وَحْدَه، فجاع، فرِحَ؛ وإذا كان له عيالٌ، فجاعوا طَلَبَ لهم. وإذا جاء الطَّلَبُ فقد ضَعُفَ اليقينُ».

وقال: «أَبْلَغُ الأشياءِ فيما بينَ الله وبينَ العبدِ المحاسبةُ».

وقال: «آخرُ أقدامِ الزاهدينَ أولُ أقدامِ المتوكِّلين».

وقال: «من لَطائِفِ المعاريضِ قولُه تعالى: ﴿أَلَا لله الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]؛ تهديدٌ بلُطْفٍ».

وقال: «لكل شيءٍ مَهْرٌ، ومَهْر الجنة ترك الدنيا بما فيها».

وقال: «لكلّ شيءٍ حِلْيةٌ، وحِلْيةُ الصدق الخشوع».

وقال: «إذا تركَ الحكيمُ الدنيا، فقد استنارَ بنور الحِكْمةِ».

وقال: «لكلِّ شيءٍ معدنٌ، ومعدن الصِّدقِ قلوبُ الزاهدينَ».

وقال: «لكلِّ شيءٍ عَلَم، وعَلَمُ الخِذْلانِ تَركُ البكاءِ».

وقال: «من تَوسَّلَ إلى الله بتَلَفِ نَفْسِه، حفِظَ الله عليه نفْسَه، وحكَّمَه في جَنَّتِه».

وقال: «أَفضلُ الأَعمالِ خلافُ هوى النَّفسِ».

وقال: «من أرادَ واعظاً بَيِّناً، فلينظُرْ إلى اختلافِ الليلِ والنهارِ».

وقال: «علِّموا النفوسَ الرضى بمَجارِي المَقْدُور، فنِعْمَ الوسيلةُ إلى درجاتِ المعرفةِ».

وقال: «إذا سكنَ الخَوفُ القلب أحرقَ الشهواتِ، وطردَ الغَفْلةَ من القَلْبِ».

وقال: «لكلِّ شيءٍ صَدَأٌ، وصَدَأُ نورِ القلْب شِبَعُ البَطْنِ».

وقال: «من أَظْهَر الانقطاعَ إلى الله، فقد وَجَب عليه خَلْعُ ما دونَه من رَقَبَتِهِ».

وقال: «من كانَ الصِّدقُ وسيلتَه، كان الرِّضا من الله جائِزَتَه».

وقال: «لكلِّ شيءٍ صِدْقٌ، وصِدْقُ اليقينِ الخوفُ من الله تعالى».

وقال: «لو أَنَّ مَحزُوناً بكى في أُمَّةٍ لَرحِم الله تلك الأُمَّةَ».

١٠ ـ معروف الكرخي

هو أبو محفوظٍ، معروفُ بنُ فَيْروزَ. وهو من جلَّة المشايخ وقُدمائِهم، والمذكورين بالوَرَع والفُتُوَّة. كان أستاذَ سريِّ السَّقَطِيِّ. صحب داودَ الطائيَّ.

حدث فقال: (اللَّهُمَّ إنَّ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ، لَمْ تُمَلِّكْنَا مِنْهَا شَيْئاً؛ فإذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِنَا، فَكُنْ أَنْتَ وَلِيَّنَا، وَاَهْدِنَا إلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ). وبسنده: عن جابر؛ أن النبي، صلَّى الله عليه وسلَّم، كان يدعو بهذا الدُّعاء.

وقال: «ما أكْثر الصالحين، وأقل الصَّادقين في الصَّالحين!».

وقال: «إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً فتح عليه باب العَملِ، وأغلقَ عنه باب الجَدَل. وإذا أراد الله بعبدٍ شرّاً، أغلق عنهُ بابَ العملِ، وفتَح عليهِ بابَ الجَدَلِ».

وقال: «تَوكَّلْ على الله، حتى يكونَ هو معلِّمَك، ومؤنسَك، ومَوْضعَ شكواكَ. فإن الناسَ لا ينفعونك ولا يَضُرُّونك».

وقال: «غُضُّوا أبصارَكُم، ولو عن شاةٍ أُنثى».

وقال: «حقيقةُ الوفاءِ إِفاقَةُ السِّرِّ عن رَقْدَةِ الغَفَلاتِ؛ وفَراغُ الهَمِّ عن فُضول الآفاتِ».

وقال: «السخاءُ إيثارُ ما يَحتاجُ إليه، عند الإعسار».

وقال رجلٌ لمعروف: «ما شَكَرْتَ مَعْروفي؟». فقال: «كان معروفُكَ من غير مُحْتَسِب، فوقع عند غير شاكر».

وقال معروفٌ الكَرْخِيُّ: «علامةُ مَقْتِ الله العبدَ أن تَراهُ مشتغِلاً بما لا يعنيه، من أَمْرِ نفْسِه».

وقال معروفٌ: «طلبُ الجَنَّةِ بِلا عَمَلٍ، ذنبٌ من الذُّنوبِ. وانتظارُ الشَّفَاعَةِ بِلا سَبَبٍ، نَوْعٌ من الغُرور. وارْتِجاءُ رحمةِ من لا يُطاعُ، جَهْلٌ وحُمْقٌ».

وسئل: عن الطائعين لله تعالى، بأي شيء قَدَرُوا على الطَّاعَةِ؟». فقال: «بإخراجِ الدُّنيا من قُلُوبهم؛ ولوْ كانَ مِنْها شيءٌ في قلوبهم ما صَحَّتْ لهم سَجْدَةٌ».

وسُئل معروفٌ: «بِمَ تُخْرَجُ الدنيا من القلبِ؟». قال: «بصفاء الوُدِّ، وحُسْنِ المعاملة».

وسُئِل معروفٌ عن المحبّةِ، فقال: «المحبّةُ ليست من تعليم الخلقِ، إنما هي من مواهب الحَقِّ وفَضْلِه».

وقال: «للفتيان علاماتٌ ثلاثٌ: وفاءٌ بلا خلاف، ومدحٌ بلا جُود، وعطاءٌ بلا سُؤال».

وقال معاتباً نفسه: «يا مِسْكينُ! كَمْ تبكي وتندُبُ؟! أَخْلِصْ تَخْلُص».

وسُئِل معروفٌ: «ما علامةُ الأولياء؟». فقال: «ثلاثةٌ: هُمومُهم لله، وشُغْلُهم فيه، وفَرارُهُم إليه».

وقال معروفٌ: «ليس للعارفِ نعمةٌ؛ وهو في كلِّ نِعْمةٍ».

وقال: «قلوبُ الطاهرين تُشرَحُ بالتَّقوى، وتُزهِرُ بالبِرِّ؛ وقلوبُ الفُجَّارِ تُظْلِم بالفجور، وتَعْمى بسوء النية».

وقال: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عليه باب العملِ، وأغلق عنه باب الفَتْرَةِ والكَسلِ».

١١ ـ حاتم الأصم

هو حاتمُ بنُ عُنْوان الأصم، كنيته أبو عبدالرحمن.

وهو من قدماء مشايخ خُراسان، من أهل بَلْخ. صحب شقيقَ بنَ إبرهيمَ، وكان أستاذَ أحمدَ بن خَضْرَوَيْه، توفي سنة سبع وثلاثين ومائتين.

بسنده عن أنسٍ، أن النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: (صَلِّ صَلاَةَ الضُّحَى، فإنها صَلاَةُ الأبْرَارِ. وسَلِّمْ إذا دَخَلْتَ بَيْتَكَ، يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ).

وقال: «من دخَلَ في مذهَبِنا هذا، فَلْيجعلْ في نفسِه أربعَ خصالٍ من الموتِ:

موتٌ أبيضُ، وموتٌ أسودُ، وموتٌ أحمرُ، وموتٌ أخضرُ: فالموتُ الأبيضُ، الجوعُ. والموتُ الأسودُ، احتِمالُ أَذَى الناسِ. والموتُ الأحمرُ مُخالَفَةُ النَّفْسِ. والموتُ الأخْضَرُ، طَرْحُ الرِّقاعِ بعضُها على بعضٍ.

وقال حاتمٌ: كان يقال: العَجَلَة من الشيطان، إلا في خمسٍ: إطعامُ الطعامِ، إذا حضر ضيفٌ؛ وتجهيزُ الميِّت إذا ماتَ؛ وتزويجُ البِكْر إذا أدْرَكتْ؛ وقضاءُ الدَّين، إذا وَجَبَ؛ والتَّوْبةُ من الذَّنبِ، إذا أَذنَب».

وقال: «من أَصْبحَ وهو مُستقيمٌ في أربعةِ أشياءَ، فهو يتقلَّبُ في رِضَا الله: أوَّلُها: الثِّقةُ بالله؛ ثم التَّوَكُّلُ؛ ثم الإخلاصُ؛ ثم المَعْرِفةُ، والأشياء كُلها تتم بالمعرفةِ».

وقال: «الواثِقُ من رزقه مَنْ لا يفرحُ بالغِنَى، ولا يهتمُّ بالفَقرِ، ولا يبالي أصبحَ في عُسْرٍ أو يُسْرٍ».

وقال: «يُعرَف الإخلاصُ بالاستقامةِ، والاستقامةُ بالرَّجاءِ، والرَّجاءُ بالإرادةِ، والإرادةُ بالمعرفةِ».

وقال: «لكل قولٍ صدقٌ، ولكلِّ صدقٍ فعلٌ، ولكلِّ فعلٍ صبرٌ، ولكلِّ صبرٍ حِسْبَةٌ، ولكل حِسْبَةٍ إرادةٌ، ولكلِّ إرادةٍ أثَرَةٌ».

وقال: «أصلُ الطاعةِ ثلاثةُ أشياءَ: الخوفُ، والرجاءُ، والحبُّ. وأصلُ المعصيةِ ثلاثةُ أشياءَ: الكِبْرُ، والحِرْصُ، والحسدُ».

وقال حاتم: «المنافِقُ ما أخذَ من الدنيا يأخذُ بالحِرْص، ويَمنَع بالشَّكِّ، ويُنْفِق بالرِّياء. والمؤمِنُ يأخذُ بالخوفِ، ويُمْسِك بالسُّنة، وينْفِق لله خالصاً في الطاعةِ».

وقال: «اطلبْ نفسَك في أربعةِ أشياءَ: العملِ الصَّالح بغير رياءٍ، والأخْذِ بغير طمعٍ، والعطاءِ بغير مِنَّةٍ، والإمْساكِ بغير بُخْلٍ».

وقال: «النَّصيحةُ للخَلْق، إذا رأيتَ إنساناً في الحَسنَةِ، أن تَحُثَّه عليها، وإذا رأيتَه في مَعْصيةٍ أن ترحمَه».

وقال: «عجبتُ ممن يعملُ بالطاعاتِ، ويقولُ: إنِّي أعملُه ابتغاءَ مَرْضاةِ الله. ثم تراه أبداً ساخطاً على الله، رَادَّاً لحُكْمه. أتريدُ أن ترضِيَه ولستَ بِراضٍ عنه؟! كيف يَرْضى عنك، وأنتَ لم ترضَ عنهُ؟!».

وقال: «إذا أَمرتَ الناسَ بالخير، فكُنْ أنتَ أَوْلَى به وأحقَّ. واعملْ بما تأمُر، وكذا بما تَنْهي».

وقال حاتمٌ: «الجهادُ ثلاثةٌ:

جهادٌ في سِرِّك، مع الشَّيطان حتى تكْسِرَه. وجهادٌ في العلانِيَةِ، في أَداءِ الفرائض حتى تؤدِّيَها، كما أمر الله. وجهادٌ مع أعداءِ الله، في غَزْوِ الإسلام».

وقال: «الشهوةُ ثلاثةٌ: شَهْوةٌ في الأكل، وشهوةٌ في الكلام، وشهوةٌ في النظَر. فاحفظ الأكْل بالثِّقَة، واللِّسانَ بالصدق، والنَّظَرَ بالعِبْرةِ».

وقال: «من فُتح عليه شيءٌ من الدُّنيا، فلم يَتحرَّ الخلاصَ منه، ولم يَعْمل

في إخراجه، فقد أظهر حبَّ الدنيا».

وقال: «ما مِن صباحٍ إلا والشيطانُ يقول لي: ما تأكلُ؟. وما تلبسُ؟. وأين تسكنُ؟. فأقول: آكلُ الموتَ، وألبسُ الكفنَ، وأسكُنُ القبرَ».

وقال رجل لحاتم: «ما تشتهي؟» قال: «أشتهي عافيةَ يومي إلى اللَّيل!. فقيل له: أليست الأيامُ كلُّها عافيةً؟!. فقال: إن عافيةَ يومي ألا أَعْصَى الله فيه».

وقال: «أربعة يندمون على أربعة: المقَصِّر، إذا فاته العملُ. والمنْقَطع عن أصدقائِه، إذا نابَتْه نائبةٌ. والممَكَّنُ منه عدوُّه بِسوء رأيه. والجريءُ على الذنوب».

وقال حاتم: «العَباءُ عَلَمٌ من أعلام الزُّهد؛ فلا ينبغي لصاحب العَباء أن يلبس عَباءً بثلاثةٍ دراهم ونصف، وفي قلبه شهوةٌ بخمسةٍ دراهم. أما يَسْتَحِي».

وقال: «الزمْ خدمةَ مولاك تأتِكَ الدنيا راغمةً، والجنةُ عاشقةً».

وقال: «تعهد نَفْسَك في ثلاثةِ مواضعَ:

إذا عمِلتَ، فاذكر نَظَرَ الله إليك؛ وإذا تكلَّمتَ فاذكرْ سمعَ الله إليك، وإذا سكنْتَ فاذكرْ علمَ الله فيك».

وقال: «القلوبُ خمسةٌ: قلبٌ ميِّتٌ، وقلبٌ مريضٌ، وقلبٌ غافِلٌ، وقلبٌ مُتَنَبِّه، وقلب صحيحٌ سالم».

وقال رجل لحاتم: «عِظْني». فقال: «إن كنتَ تريد أن تَعصي مولاك، فاعْصِه في موضعٍ لا يراك».

وقال: «من ادَّعى ثلاثاً بغير ثلاثٍ فهو كذَّاب:

من ادعى حبَّ الله، من غير وَرَعٍ عن محارمه، فهو كذاب.

ومن ادعى حُبَّ الجنة، من غير انفاقِ ماله، فهو كذاب.

ومن ادعى حبَّ النبي، صلّى الله عليه وسلَّم، من غير محبّةِ الفَقْر، فهو كذاب».

١٢ ـ أحمد بن أبي الحواري

هو: أحمدُ بنُ أبي الحواريّ، كنيتُه أبو الحَسَن؛ من أهل دِمَشق. صحب أبا سليمانَ الدَّرانيّ، وغيره من المشايخ، وينتمي إلى بيت الورع والزُّهد. توفي أحمد سنة ثلاثين ومائتين.

وبسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ رُوحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعِي، إنَّ نَفساً لَنْ تموتَ حَتَّى تَستكْمِلَ أَجَلَها، وتَستَوعِبَ رِزْقَهَا. فَأَجْمِلوا في الطَّلَبِ؛ ولايَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ استِبْطاء شيْءٍ من الرِّزْقِ، أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله؛ فإنَّ الله تعالى لايُنَالُ ماعِنْدَهُ إلا بِطَاعَتِه).

وقال: «أفضلُ البكاءِ بُكاءُ العبدِ على مافاته من أوقاته على غير المُوافقةِ، أو بكاءٌ على ماسبَق لهُ من المخالفَةِ».

وقال: «من عَمِل بلا اتِّباعِ السُّنَّة فباطلٌ عملُه».

وقال: «من عَرفَ الدنيا زَهِد فيها. ومن عَرفَ الآخرةَ رَغبَ فيها، ومن عرفَ الله آثرَ رضاه».

وقال: «علامةُ حُبِّ الله طاعةِ الله ـ وقيل: حب ذِكْر الله ـ فإذا أحبَّ الله العبدَ أحبَّه ولايستطيعُ العبدَ أن يُحِبَّ الله، حتى يكون الابتداء من الله بالحبِّ له، وذلك حين عَرف منه الاجتهادَ في مرضاته».

وقال أحمدُ: «من لم يعرفْ نفْسَه فهو من دينه في غُرورٍ».

وقال: «مابتلى الله عبداً بشيءٍ أشد من الغَفْلة والقَسْوة».

وقال: «في الرِّباطِ والغَزْو نعم المُستَراحُ. إذا ملَّ العَبْدُ من العبادة، استراح إلى غيرِ مَعْصِية».

وقال أحمدُ: «إنَّ الله إذا أحب قوماً أفادهُمْ في اليَقَظَةِ والمنامِ، لأنَّهم طَلَبوا رضاه في اليقظة والمنام».

وقال: «كلَّما ارتفعتْ منزلةُ القَلْب، كانت العقوبةُ إليه أسرع».

وقال أحمد: «إنما كَرِه الأنبياءُ الموتَ لانقطاعِ الذِّكْرِ عنهم».

وقال: «إذا مَرِض قلبُك بحبِّ الدنيا، وكَثْرَةِ الذنوبِ، فداوِهِ بالزُّهدِ فيها، وتَرْك الذنوب».

وقال: «إذا حدثَتْكَ نفسُك بتركِ الدنيا، عند إدْبارها، فهو خُدْعة؛ وإذا حدثتْك نفسُك بتركها، عند إقبالها، فذاك».

وقال: «إذا رأيتَ من قلبِكَ قسوةً، فجالِسْ الذاكرين، واصْحَب الزاهدين، وأَقْلِلْ مَطْعَمَك، واجْتَنِب مُرادَك، ورَوِّضْ نفسَكَ على المكاره».

وقال: «الدُّنيا مَزْبَلَةٌ، ومَجْمَعُ الكلاب. وأقلُّ من الكلابِ من عَكَفَ عليها، فإنَّ الكلْبَ يأخذُ منها حاجَتَه وينصرفُ، والمحبُّ لها لايُزايِلُها بحالٍ».

وقال: «من أحبَّ أن يُعْرفَ بشيءٍ من الخير، أو يُذكَرَ به، فقد أشركَ في عِبادته؛ لأنَّ من عَبَد على المحبَّة، لايُحِبُّ أن يرى خِدْمتَه سوى محبوبه».

وقال: «إني لأقْرأُ القرآنَ، فأَنْظُرُ في آيةٍ، فيحارُ عقلي فيها. وأعجبُ من حُفَّاظ القرآن! كيف يَهْنِيهم النومُ، ويَسَعُهم أن يَشْتَغِلوا بشيءٍ من الدنيا، وهم يَتْلُون كلامَ الرحمن؟!. أما لو فهموا مايَتْلُون، وعَرَفوا حقَّه، وتَلَذَّذُوا به، واستَحْلَوا المناجاةَ به، لَذَهَبَ عنهم النَّوْمُ، فرحاً بما رُزِقُوا ووُفِّقوا».

١٣ ـ أحمد بن خَضْرَوَيه

هو أحمدُ بن خَضْرَوَيْه البَلْخِيُّ، وهو من كبار مشايخ خُراسانَ. صحب أبا تُرابٍ النَّخْشَبِيَّ، وحاتماً الأصمَّ؛ تُوفِّي سنة أربعين ومائتين.

حدث فقال: «وَلِيُّ الله لايَسِمُ نفسه بسيماء، ولايكون له اسمٌ يَتسمَّى به».

وقال: «القلوبُ جَوَّالةٌ: إما أن تجولَ حول العَرْش، وإما أن تجولَ حول الحُشِّ».

وقال: «في الحُرِّية تمامُ العُبُوديَّة، وفي تحقيق العُبُوديَّة تمامُ الحُرِّيةِ».

وقال: «لاتَتِمُّ معاشرةُ متضادَّين في دينٍ، أو في دُنيا».

وقال: «الصبرُ زادُ المضطرين، والرضا دَرَجَةُ العارفين».

وقال: «من صبر على صَبْرِهِ فهو الصابر، لا من صَبَرَ وشَكَا».

وقال: «كنتُ في طريق مَكَّةَ، فوقعتْ رِجْلي في شِكال، فكنتُ أمشي فرسخين وهو متعلِّقٌ بها، فرآني بعضُ الناس، فنزعه عني، ثم دفعني؛ فقدمت بِسْطامَ، فابتدأني أبو يزيدَ، فقال: الحالُ الذي وَرَد عليك في طريق مَكَّة، كيف كان حُكْمُك مع الله فيها؟. قلت: أردتَ ألا يكونَ لي في اختيارِه اختيارٌ. فقال لي: يافُضوليُّ! قد اخترتَ كلَّ شيءٍ حيث كانتْ لك إرادة؟».

وقال: «من خَدمَ الفقراءَ أُكْرِمَ بثلاثةِ أشياءَ: التواضع، وحسنِ الأدب، وسَخَاوَةِ النَّفْس».

وقال: «الطريقُ واضحٌ، والحق لائح، والداعي قد أسمع، فما التحيُّر بعد هذا إلاّ من العَمَى».

وقال: وقُرِئَ بين يديهِ قول الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إلى اللهِ﴾ [الذاريات: ٥١] فقال: «أَعْلَمَهم بهذا أنَّه خيرُ مَفَر».

وقال: «القلوبُ أَوْعيةٌ؛ فإذا امتَلأت مِن الحقِّ، أظهرتْ زيادةَ أنوارِها على الجوارح؛ وإذا امتلأت من الباطل، أظهرت زيادةَ ظُلْمَتِها على الجوارح».

وقال رجلٌ لأحمدَ بنِ خَضْرَوَيْه: «أوصني». فقال: «أَمِتْ نَفْسَك حتى يُحييها».

وقال: «أقربُ الخلْق إلى الله أَوْسَعُهم خُلُقاً».

وقال: «بَلَغني أنهُ استَأذَن بعضُ الأغنياءِ على بعضِ الزُّهاد، فأذن له، فرآه - في رمضان - يأكل خُبْزاً يابِساً بمِلْح، فرجع إلى منزله، وبعثَ إليه بألفِ دينار، فرده؛ وقال: إن هذا جزاءُ من أَفْشى سِرَّه إلى مِثْلِك».

وقال: «لانومَ أثقلُ من الغَفلة، ولارِقَّ أملكُ من الشهوة. ولولا ثِقَلُ الغفلة لما ظَفِرتْ بك الشهوةُ».

وقال: «ليس من طالَبه الحقُّ بآلائِه، كمن طالَبه الحقُّ بنَعْمَائِه».

وسئل مرة: «أيُّ الأعمال أفضلُ؟. قال: رعاية السرِّ عن الالتفات إلى شيءٍ سوى الله تعالى».

١٤ - يحيى بن معاذ الرازي

هو يحيى بنُ مُعاذ بنِ جعفر، الرازيُّ الواعظُ. تكلم في علم الرجاء، وأحسنَ الكلامَ فيهِ وتوفِّيَ فيما بين نَيْسابُورَ وبَلْخ سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين.

حدث فقال: «التَّقْوَى كَرَمُ الخُلْقِ وطِيبُ المَطْعَمِ».

وقال: «من استفتح بابَ المعاش بغير مفاتيح الأقدارِ وُكِلَ إلى المخلوقين».

وقال: «العبادَةُ حِرْفة: حوانيتُها الخَلْوَة، ورأسُ مالها الاجتهادُ بالسُّنَّة، ورِبْحُها الجنة».

وقال: «الصبرُ على الخَلْوَة من علامات الإخلاص».

وقال: «الدنيا دارُ أَشْغالٍ، والآخرةُ دار أَهْوَال. ولايزالُ العبدُ بين الأَهْوالِ والأشْغال، حتى يستَقِرَّ به القرارُ؛ إما إلى الجَنَّةِ وإما إلى النَّار».

وقال: «جميعُ الدُّنيا، من أوَّلِهَا إلى آخرِها، لايُسَاوي غَمَّ ساعةٍ؛ فكيف تَغُمُّ عُمْرَك فيها، مع قليلٍ يُصيبُك منها؟!».

وقال: «ثلاثُ خصالٍ من صفَةِ الأولياء: الثِّقَةُ بالله في كلِّ شيءٍ، والغِنَى به عن كل شيءٍ، والرجوعُ إليه في كلِّ شيءٍ».

وقال: «أولياؤُه أُسَرَاءُ نِعَمِه، وأصفياؤُه رهائِنُ كرمه، وأحبَّاؤُه عَبيدُ مِنَنَه: فهم عبيدُ محبَّةٍ، لايُعتَقُون؛ ورهائنُ كرمٍ، لايُفَكُّون؛ وأُسَرَاءُ نِعَمٍ، لايُطلقون».

وقال: «كيف يكونُ زاهداً من لاوَرَعَ له؟! تَوَرَّعْ عما ليس لك، ثم ازهَدْ فيما لك».

وقال: «سُقوطُ العبد من درجةٍ ادِّعاؤُها».

وقال: «جوعُ التَّوابين تجربةٌ، وجوعُ الزَّاهدين سياسةٌ، وجوعُ الصِّدِّيقين تَكْرِمَةٌ».

وقال: «طلبُ العاقلِ للدنيا، أحسنُ من تركِ الجاهلِ لها».

وقال: «لايزالُ العبدُ مَقروناً بالتَّوانِي، مادام مقيماً على وَعْدِ الأماني».

وقال: «على قَدْر حُبِّك لله تعالى يُحبُّك الخَلْق؛ وبِقَدْر خَوْفِك من الله تعالى يَهابُك الخلقُ؛ وعلى قَدْر شُغْلِك بالله يشتَغِلُ في أَمْرِك الخلق».

وقال: «ليس من تاه فيه كَمَنْ تاه بِعَجائِب ماوَرَد عليه مِنْه».

وقال: «الفَوْتُ أشدُّ من الموت، لأن الفَوْتَ انقطاعٌ عن الحَقِّ، والموتَ انقطاعٌ عن الخَلْق».

وقال: «الوِحْدَةُ مُنْيَةُ الصِّدِّيقين، والأُنسُ بالنَّاس وَحْشتهم».

وقال: «الزَّاهِدُ صافي الظَّاهِر، مُخْتَلِطُ الباطِن؛ والعارفُ صافي الباطِنِ مُخْتَلِطُ الظَّاهِر».

وقال: «أهلُ المَعْرِفَة وَحْش الله في الأرْض، لايَأنَسُون إلى أحدٍ؛ والزَّاهِدون غُرَبَاءُ في الدنيا، والعارفون غُرَباء في الآخرة».

وقال: «ابن آدم! ما لَكَ تأسفُ على مَفْقُودٍ، لايردُّه عليك الفَوْت؟!. ومالك تفرحِ بِمَوْجُود، لايتركه في يدك الموتُ؟!».

سئل مرة: «أَخبِرْنا عن الله، ماهو؟» قال: «إله واحد». قيل: كيف هو؟ قال: مَلِكٌ قادر. قيل: أين هو؟ قال: بالمرصاد. قيل: ليس عن هذا أسألك! قال يحيى: فذاك صفَةُ المخلوق؛ فأما صفة الخالق فما أخبرتُك به».

وقال: «من سُرَّ بِخِدْمَةِ الله، سُرَّتْ الأشياءُ كلُّها بخِدمته؛ ومن قَرَّتْ عينُه بالله، قَرتْ عيونُ كل شيء بالنظر إليه».

وقال: «الزُّهدُ ثلاثةُ أشياء: القِلَّةُ، والخَلْوَة، والجُوع».

وقال: «عند نُزول البلاءِ، تظهر حقائقُ الصَّبْر؛ وعند مُكاشَفَة المَقْدُور، تظهرُ حقائقُ الرِّضا».

وقال: «محبوبُ اليومِ يُعْقِبُ المكروهَ غداً؛ ومكروهُ اليومِ يُعْقِبُ المحبوبَ غداً».

وقال: «اجْتَنَبْتُ صحبةَ ثلاثةِ أصنافٍ من النَّاس: العلماءِ الغافلين، والقُرَّاءِ

المدهنين، والمُتَصَوِّفَة الجاهلين».

وقال: «من لم يَعْتَبر بالمعَايَنَة، لم يتَّعِظ بالموعظَةِ؛ ومن اعتبر بالمعايَنَةِ، استغنَى عن المَوْعِظَةِ».

وقال: «العِبْرَةُ بالأوتَار، والمُعْتَبِرُ بالمِثْقَال».

وقال: «أبناءُ الدنيا تخدُمهم الإماء والعبيدُ، وأبناء الآخرة يَخْدمُهم الأبْرار والأحْرار».

وقال: «لاتُرْبِح على نفسِك بشيءٍ أجلّ من أن تَشْغَلَها ـ في كلّ وقتٍ ـ بما هو أولى بها».

١٥ ـ أبو حفص النيسابوري

هو: عَمْرو بن سَلَمة ـ وهو الأصحُّ ـ، إن شاء الله، وهو من أهل قريةٍ يقال لها كُورْدَابَاذَ على باب مدينة نيسابور.

حدث فقال: «المعاصي بَرِيدُ الكُفْر، كما أنَّ الحمَّى بريدُ الموت».

وقال: «ما أبعدَ ذِكْرنَا من ذِكْر المحقِّقين! فما أظنُّ أن مُحِقّاً يذكر الله عن غير غَفْلَة، ثم يبقى بعد ذلك حيّاً؛ إلا الأنبياء، فأنهم أُيِّدوا بقوةِ النُّبُوة؛ وخواصّ الأولياء، بقوة ولايتهم».

وقال: «من إهانةِ الدُّنيا، أنِّي لاأَبْخَلُ بها على أحدٍ، ولاأبخلُ بها على نفسِي؛ لاحتقارِها، واحتقارِ نفسِي عندي».

وقال: «الفقيرُ الصَّادقُ، الذي يكونُ في كلِّ وقتٍ بِحُكْمه؛ فإذا وَرَدَ عليه وارِدٌ يَشْغَله عن حُكْمِ وَقْتِه، يستوحشُ منه ويَنْفِيه».

وقال: «ماأعزَّ الفقرَ إلى الله، وأذَلَّ الفَقْرَ إلى الأشكالِ. وما أحسن الاستغناءَ

بالله، وأقبح الاستغناءَ باللِّئامِ».

يروى أنه لما أراد أبو حفصٍ الخروجَ من بغدادَ، شيَّعه مَن بها من المشايخ والفتيان؛ فلمَّا أرادوا أن يرجعوا، قال له بعضُهم: دُلَّنا على الفُتُوَّة، ماهي؟. فقال: الفُتُوَّةُ تؤخذُ استعمالاً ومُعامَلةً، لانُطْقاً. فتعجبوا من كلامه».

وسُئِلَ أبو حفصٍ: «هل للفتَى من علامة؟. قال: نعم! من يَرَى الفِتيان، ولايَستَحِي منهم في شمَائِله، وأفعالِه، فهو فتىً».

وقال: «مادَخلَ قلبي حقٌّ ولا باطلٌ، منذ عرفتُ الله».

وقال: «تركتُ العملَ، فرجعتُ إليهِ؛ ثم تركني العملُ، فلم أرجعْ إليه».

وقال: «الكرمُ طَرْحُ الدنيا لِمَن يحتاجُ إليها؛ والأقبالُ على الله، لاحتياجِك إليه».

وقال رجلٌ لأبي حفصٍ: «إنَّ فلاناً، من أصحابِك، أبداً يَدورُ حولَ السَّماع؛ فإذا سمعَ هاجَ وبَكَى، ومَزَّقَ ثيابَه. فقال أبو حفصٍ: أَيْشُ يعملُ الغريقُ؟! يتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ يظنُّ نجاتَه فيه».

وقال أبو حفصٍ: «حرستُ قلبي عشرين سنةً؛ ثم حرسني قلبي عشرين سنةً؛ ثم وردتْ حالةٌ صرنا فيها مَحروسَين جميعاً».

وقال: «من تجرَّع كأسَ الشوقِ يَهيمُ هُياماً، لايُفيقُ إلاَّ عِنْد المشاهدة واللِّقاء».

وقال: «إذا رأيتَ المُحبَّ ساكناً هادئاً، فاعلم أنه وردتْ عليه غفلةٌ؛ فإن الحبَّ لايتركُ صاحبَه يَهدأ؛ بل يُزْعِجُهُ في الدُّنُوِّ والبُعد، واللِّقاءِ والحجابِ».

وقال: «التَّصَوُّفُ كله آدابٌ: لكلِّ وقتٍ أدبٌ، ولكلِّ مقام أدبٌ. فمن لزمَ آدابَ الأوقاتِ، بلغَ مَبْلغ الرجال؛ ومن ضيَّعَ الآدابَ، فهو بعيدٌ من حيثُ يظنُّ القُربَ، ومردودٌ من حيثُ يرجو القبولَ».

وقال: «الحالُ لايفارقُ العِلْم، ولايُقارِن القولَ».

وقال: «من يُعْطي ويأخذُ فهو رجلٌ؛ ومن يُعْطي ولايأخذُ فهو نصفُ رجل؛ ومن لايُعْطي ولايأخذَ فهو هَمَجٌ لاخير فيه».

وقال: «مااستحقَّ اسمَ السخاءِ، من ذكر العطاءَ، أو لَمَحه بقلبه».

وسُئِلَ أبو حفصٍ عن قَوْلِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَاشِروهُنَّ بِالمعروف﴾[النساء: ١٩]. فقالَ: «المعاشرة بالمعروفِ حُسْنُ الخُلُق مع العيالِ فيما ساءك، ومن كرهتَ صُحْبَتَها».

وسُئِل أبو حفصٍ عن البُخل فقال: «تَرْكُ الإيثارِ عند الحاجةِ إليه».

وسُئِل أيضاً: «من الوَلِيُّ؟!. فقال: من أُيِّدَ بالكراماتِ، وغُيِّبَ عنها».

وقال أبو حفصٍ: «ماظهرتْ حالةٌ عاليةٌ؛ إلا من مُلازَمَةِ أصلٍ صحيحٍ».

وسُئِل عن أحكام الفَقْرِ، وآدابِها على الفقراء؛ فقالَ: «حِفْظ حُرُماتِ المشايخ، وحسنُ العِشْرة مع الإخوان، والنصيحةُ للأصاغِر، وتركُ الخصوماتِ في الأرزاقِ، وملازَمَةُ الإيثارِ، ومُجانَبَةُ الادِّخارِ، وتركُ صُحبَةِ من ليس من طبقتهم، والمعاوَنَةُ في أمورِ الدِّين والدُّنيا».

وسُئِل أبو حفصٍ: «مَن العاقلُ؟». فقال: «المُطالِبُ نفسَه بالإخلاصِ».

وسُئِل أبو حفص عن العُبودِيَّة، فقال: «تركُ مالَك، والتزامُ ماأُمِرْتُ به».

وقالَ أبو حفصٍ: «من رأى فضلَ الله عليه، في كلِّ حالٍ، أرجُو ألّاَ يهلك».

وقال: «لاتكن عبادَتُك لربِّك سبباً لأن تكون معبوداً».

وقال: «إني لاأدَّعِي الخُلُق، لأني أُحِسُّ من نفسي سُرعةَ الغَضبِ، وإن لم أُظْهِرْه. ولاأَدَّعي السخاءَ، لأنِّي لستُ آمنُ من نفسي أن تلاحِظَ فِعْلَه، أو تلتفتَ إليه، أو تَذْكُرَ عطاءَه وقتاً ما».

وقال: «حُسْنُ أَدبِ الظاهرِ عُنوانُ حُسْنِ أَدَب الباطن، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم قال: (لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ).

وسُئِلَ أبو حفصٍ: «ماالبِدْعةُ؟». فقال: «التَّعدِّي في الأَحكامِ، والتَّهاوُنُ بالسُّنَنِ، واتِّبَاعُ الآراءِ والأهواءِ، وتركُ الاقتداءِ والاتِّباع».

وسُئِلَ أبو حفصٍ: «مَنِ الرجالُ؟» فقال: «القائمونَ مع الله تعالى بِوَفاءِ العُهودِ. قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ﴾.[الاحزاب: ٢٣]

وقال أبو حفصٍ: «الأيثارُ: أن تُقَدِّمَ حُظوظَ الإخوانِ على حظِّك، في أمر آخِرَتك ودُنياك».

١٦ ـ حمدون القصار

هو حَمْدونُ بنُ أحمدَ بنِ عِمارةَ، أبو صالحٍ القصَّارُ النَّيسابُورِيُّ. شيخُ أهل الملامةِ بنَيْسابورَ، ومنه انتشر مذهبُ الملامةِ.

صَحِبَ سَلْمَ بنَ الحسنِ البارُوسيَّ، وأبا تُراب النَّخْشَبِيَّ، وعليّاً النَّصْرَاباذِيَّ. وكان عالماً فقيهاً.

تُوَفِّي أبو صالحٍ حَمْدونُ، سنة إحدى وسبعين ومائتين، بنيسابورَ.

بسنده عن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ؛ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لاتَزُولُ قَدَما عَبْدٍ، يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ؛ فيما أَفْنَاهُ؛ وَعَنْ جَسَدِهِ، فِيمَا أَبْلاَهُ؛ وَعَنْ مَالِهِ، مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَأينَ وَضَعَهُ؛ وَعَنْ عِلْمِهِ، مَا عَمِلَ فيه).

وأسئل حَمْدونُ القَصَّارُ: «متى يجوزُ للرَّجل أن يتكلم على الناس؟» فقال: «إذا تعيَّن عليه أداء فرضٍ من فرائض الله تعالى في علمه، أو خاف هلاكَ إنسانٍ

في بدعة، يرجو أن يُنجيه الله تعالى منها بعلمه».

وقيلَ لحمدون: «مابالُ كلام السَّلف أنفعُ من كلامنا؟» قال: «لأنهم تكلموا لِعزِّ الإسلام، ونجاةِ النفوس، ورضا الرحمنِ؛ ونحن نتكلمُ لِعزِّ النَّفْس، وطلب الدُّنيا، وقَبولِ الخلق».

وقال حمدون: «أصلُ رفعِ الأُلْفة من بين الأخوان حبُّ الدنيا».

وقال: «قد تحمَّلتَ من الأمانةِ، ما لو اشتغلتَ به لَشَغَلَكَ عن كلِّ أمانةٍ بعدها».

وقال له رجلٌ من أصحابه: «كيف أعمل؟! لابدَّ لي من مُعاملة هؤلاء الجند، فماذا ترى لي؟!». قال: «إن كنتَ تعلمُ يقيناً أنك خيرٌ منهم، فلا تعامِلهم».

وسأله يوماً أبو القاسم المُنَادِي عن مسألةٍ. فقال له حَمْدونُ: «أرى في سُؤالك قُوةً وعزَّةَ نفس!. أتظنُّ أنكَ قد بلغتَ بهذا السُّؤالِ الحالَ الذي تُخْبر عنهُ؟!. أين طريقةُ الضَّعْفِ والفَقْرِ، والتضرعِ والالتجاءِ؟!. عندي أنَّ من ظن نفسه خيرٌ من نفس فِرْعَوْن فقد أظهر الكبرَ».

وقال: «مُذْ علمتُ أن للسلطانِ فِراسةً في الأشرار، ماخرجَ خوفُ السلطانِ من قلبي».

وقال: «إذا رأيتَ سكرانَ فتمايَلْ لئلا تَنْعِيَ عليه، فتُبْتَلَى بمثلِ ذلك».

قيل له: «أَوْصِني!». فقال: «إن استطعتَ أَلاّ تَغْضب لشيءٍ من الدُّنيا فافعل».

وقال: «من ضيَّع عهودَ الله عنده فهو لآدابِ شريعتِهِ أضيعُ، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا بالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مسئولاً﴾ [الاسراء: ٣٤].

وقال حَمْدونُ: «استِعانةُ المخلوقِ بالمخلوقِ كاستعانةِ المسجون بالمسجون».

وقال رجلٌ لحمدونَ: «أَوْصني بوصيةٍ» فقال: «إنِ استطعتَ أن تُصبح مُفَوِّضاً ـ لا مُدَبِّراً ـ فافعل».

وقال: «قُعودُ المؤمِنِ عن الكَسْبِ إلْحَافٌ في المسألة».

وقال: «مَنْ أصبح وليس له هَمٌّ إلاَّ طلبُ قوتٍ من حلال، وهَمٌّ ماجرى في سابق العلم، له وعليه، فإنه يتفرَّغُ إلى كل شيء».

وقال: «من تَحقَّق في حالٍ لايُخبِر عَنْهُ».

وقال لأصحابه: «أُوصِيكُم بشيئين: صُحْبة العُلماءِ، والاحتمال عن الجهَّال».

وقال: «من شَغَلَهُ طلبُ الدُّنيا عن الآخرةِ ذَلَّ، إمّا في الدنيا، وإما في الآخرة».

وقال: «مَنْ نظر في سِيَر السَّلَف عرفَ تقصيرَه، وتَخَلُّفَه عن دَرَجَاتِ الرجال».

وقال: «كِفايتك تُساق إليك باليُسْر، من غير تعبٍ، وإنما التَّعَبُ في طلب الفضول».

وسُئِلَ حَمْدونُ عن الزُّهد، فقال: «الزُّهْدُ ـ عندي ـ ألا تكونَ بما في يدك أَسْكنُ قلباً منك بضمانِ سَيِّدك».

وقال: «مِنْ غَفْلةِ العبد أن يتفرَّغ مِنْ أمْر ربِّه إلى سياسة نَفْسه».

وقال: «لايَجْزَع من المصيبة إلا مَنْ يَتَّهِمُ ربَّه».

وقال: الكِياسَةُ تُورِثُ العُجْب».

وقال: «لاأحدَ أَدْوَنُ ممَّن يتزيَّنُ لدارٍ فانيةٍ، ويَتَجَمَّل لمن لايملكُ ضَرَّه ونَفعَه».

وقال: «تَهاونْ بالدنيا، حتى لايَعظَمَ في عينك أهلُها ومَنْ يملكها».

وقال: «جَمالُ الفقيرِ في تواضُعِه، فإذا تكبَّر ـ بفقره ـ فقد أربَى على الأغنياءِ في التَّكبُّر».

وقال: «لاتُفْشِ على أحدٍ ماتُحب أن يكونَ مَسْتوراً منك».

وقال: «مَن رأيتَ فيه خَصْلةً من الخير، فلا تُفارِقْه فأنَّه يصيبُك من بركاتِه».

وقال: «من استطاعَ منكم ألاّ يَعْمَى عن نُقْصانِ نَفْسه فليفعل».

١٧ ـ منصور بن عمار

هو منصور بن عَمَّار، من أهل «مَرْو»؛ أقام بالبصرة، وكان من أحسن الناس كلاماً في الموعظةِ، وكان من حُكماء المشايخ.

حدث فقال: «سرورك بالمعصية، إذا ظفرتَ بها، شرٌّ من مباشرتك المعصية».

وقال: «من جزع من مصائب الدُّنيا، تحوّلت مصيبتُه في دينه».

وقال: «من اشتغلَ بذكر النَّاس، انقطع عن ذكر الله تعالى».

وقال منصور لرجل عَصَى بعد توبته: «ماأراك رجعت عن طريق الآخرة إلا مِنَ الوَحشة، لِقِلَّةِ سالكيها».

وقال منصور لرجلٍ: اترك نَهْمَة الدُّنيا، تَسْتَرِحْ من الغَمِّ؛ واحفظْ لِسَانَك، تَسْتَرِحْ من المَعْذِرة».

وقال: «قلوبُ العِبَادِ كلها روحانيةٌ، فإذا دخلها الشّكُّ والخَبَثُ، امتنع منها رُوحها».

وقال: «إن الحكمة تنطقُ في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين بلسان التّفضيلِ، وفي قلوب العُبّاد بلسان التوفيق، وفي قلوب المُريدين بلسان التفكّر، وفي قلوب العُلَماء بلسان التّذكر».

وقال: «الناسُ رَجُلان: مُفْتَقِر إلى الله، فهو في أعلى الدرجاتِ على لسانِ الشريعةِ؛ والآخرُ لايرى الافتقارَ، لما عَلِم من فَرَاغ الله من الخَلْقِ والرّزْقِ، والأجَلِ والسعادةِ؛ فهو في افتقاره إليه، واستِغنائه به».

وقال: «سبحانَ من جعلَ قلوبَ العارفين أَوْعِيةَ الذِّكْر، وقلوبَ أهل الدُّنيا أَوعِيَةَ الطّمَع، وقلوبَ الزّاهدين أَوْعِيةَ التّوكل، وقلوبَ الفُقَراء أوعية القناعَةِ، وَقلوبَ المتوكّلين أوعية الرّضا».

وقال: «الناس رجلان: عارفٌ بنفسه، فشُغْلُه في المجاهدةِ والرياضَةِ؛ وعارفٌ بِربّه، فشُغْلُه بِخِدْمتِهِ، وعِبادَته، ومَرْضاته».

وقال: «أحسنُ لِباسِ العبدِ التواضعُ والانكسارُ؛ وأحسنُ لباسِ العارفين التّقوَى، قال الله تعالى: ﴿ولِبَاسُ التّقوَى ذَٰلِكَ خَيْر﴾. [الأعراف: ٢٦]

وقال: «سلامَةُ النّفْس في مخالَفتِها، وبلاؤها في مُتابَعَتِها».

١٨ ـ أحمد بن عاصم الانطاكي

هو أحمدُ بنُ عاصِمِ الأنطاكيُّ، من أقرانِ بِشْرِ بنِ الحارثِ، والسّرِيّ، والحارث المحاسِبِيِّ. ويقال إنه رأى الفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ.

حدث فقال: «قُرّةُ العين، وسَعَةُ الصَّدرِ، ورَوْحُ القلبِ، وطيبُ النفس؛ من أمورٍ أربعةٍ: الاستِبَانَةُ للحُجّةِ، والأُنْسُ بالأحِبّة، والثّقَة بالعِدَةِ، والمعايَنَةُ للغاية».

وقال: «أنفعُ العقلِ ماعَرَّفك نِعَم الله تعالى عليكَ، وأعانك على شُكْرِها، وقام بخلاف الهَوَى».

وسُئِل مرة: عن الإخلاصِ، فقالَ: «إذا عَملتَ عملاً صالحاً، فلم تُحبَّ أن تُذْكَر به، وتُعَظَّم من أجلِ عَمَلِك، ولم تطلبْ ثوابَ عملِك من أحدٍ سِوَاهُ، فذلك إخلاصُ عَمَلِكَ».

وقال: «أنفعُ التواضعِ مانَفَى عَنْك الكِبْرَ، وأماتَ منك الغَضَب».

وقال: «أنفعُ الإخلاصِ مانَفَى عنك الرِّياءَ، والتَّزيُّنَ، والتَّصَنُّع».

وقال: «أنفع الفقر ماكنتَ به مُتَجَمِّلاً، وبه راضيا».

وقال: «أنفعُ الأعمالِ ماسَلِمتْ من آفاتها، وكانت مقبولةً منك».

وقال: «من علامة قلة معرفة العبدِ بنفسِه قلةُ الحياء وقِلَّةُ الخوف».

وقال: «أضَرُّ المعاصي عملُكَ الطاعاتِ بالجهل، هو أضَرُّ عليك من المعاصي بالجهل».

وقال: «العدلُ عدلان: عدلٌ ظاهر، فيما بينك وبين الناس؛ وعدلٌ باطن، فيما بينك وبين الله تعالى. وطريقُ العدل طريقُ الاستقامة، وطريقُ الفضلِ طريقُ الفضيلة».

وقال: «اليقينُ نورٌ يجعله الله في قلب العبد، حتى يشاهِدَ به أمورَ آخرته، ويَخرِقَ بقوته كلَّ حجاب بينه وبين ما في الآخرة، حتى يطالع تلك الأمورَ كالمشاهِد لها».

وقال: «إذا طلبتَ صلاحَ قلبك، فاستَعِن عليه بحفظ لسانك».

وقال: «اعملْ على أن ليس في الأرض أحدٌ غيرك، ولا في السماء أحدٌ غيره».

وقال: «العاقلُ من عَقَل عن الله عز وجل مواعظَه، وعَرف مايضُرُّه مما ينفعُه».

وقال: «إمامُ كلِّ عمل عِلْمٌ، وإمامُ كلِّ عِلْمٍ عناية».

وقال: «هذه غنيمةٌ باردة: أصلِحْ مابقى، يُغفَر لك مامضى».

وقال: قال الله تعالى: ﴿إنما أَمْوَالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[الأنفال: ٢٨] ونحن نستزيد من الفِتْنَة».

١٩ ـ عبد الله بن خبيق الأنطاكي

هو عبدُالله بنُ خُبَيْق بن سابق الأنطاكي، صحب يوسفَ بن أسباط. وهو من زُهَّاد الصوفية، والآكلين من الحلال، والوَرعين، في جميع أحْوالِه، وأصله من الكوفة.

حدث فقال: «إذا دنا الرجلُ القارىءُ من معصيةٍ، يقول القرآنُ في جَوْفه: ما لهذا حَمَلتني؟!».

وقال: «خلق الله القلوبَ مساكنَ للذكر، فصارت مساكنَ للشّهواتِ؛ ولايمحو الشهواتِ من القلوبِ إلا خوفٌ مُزْعِجٌ أو شوقٌ مُقْلق».

وقال: «لكل تاجر رأسُ مال، ورأسُ مال صاحبِ الحديثِ الصدقُ».

وقال: «لايستغني حالٌ من الأحوال عن الصِّدق، والصدقُ مُسْتَغنٍ عن الأحوال كلها. ولو صَدَق العبدُ فيما بينه وبين الله، حقيقة الصدق، لاطّلعَ على خزائنَ من خزائن الغيبِ، ولكان أميناً في السموات والأرض».

وقال: «من أراد أن يعيشَ غنيّاً في حياته، فلا يُسكن الطمعَ قلبَه».

وقال: «إن استطعتَ ألّا يسبقك أحدٌ إلى مولاك فافعل، ولاتُؤثِر على مولاك شيئا».

وقال: «لاتَغْتَمَّ إلا من شيءٍ يضُرُّك غداً؛ ولاتفرحْ بشيءٍ، إلا بشيءٍ يَسُرُّك غداً».

وقال: «مابقَى على وَجْهِ الأرضِ أحدٌ إلا مُسْتَوْحَشٌ منه، أولهُم أنا».

وقال: «علامةُ الأُلْفَة، قِلَّةُ الخلاف، وبذلُ المعروف».

وقال: «أنفعُ الخوفِ ماحَجَزك عن المعاصي، وأطالَ منك الحزنَ على ما فاتك، وألزمك الفِكْرة في بَقيَّة عمرك».

وقال: «وَحْشَةُ العباد عن الحقِّ، أَوْحَشَتْ منهم القلوبَ؛ ولو أَنِسُوا بربهم، ولَزِموا الحقَّ، لاسْتَأْنَس بهم كلُّ أَحَدٍ».

وقال: «أَنْفَع الرَّجاءِ ماسهَّل عليك العملَ، لأدراك ماترجو».

وسئل مرة: «بماذا أَلْزمُ الحقَّ في أحوالي؟» فقال: «بإنصافِ الناسِ من نفسِك، وقَبولِ الحقِّ ممَّن هو دونَك».

وقال: «إخلاصُ العملِ أشدُّ من العمل؛ والعَملُ يَعْجَزُ عنه الرِّجالُ».

وقال: «طولُ الاستماعِ إلى الباطل يُطفي حلاوةَ الطاعةِ من القلب».

٢٠ ـ أبو تراب النخشبي

هو أبو تراب النَّخْشَبِيُّ، واسمه عَسْكَر بنُ حُصَين؛ صَحِبَ أبا حاتمٍ العطارَ البَصْرِيَّ، وحاتماً الأَصَمَّ البَلْخِيَّ. وهو من جِلَّةِ مشايخ خراسانَ، والمذكورين بالعلم، والفُتُوَّةِ، والتوكُّل، والزُّهد، والورع.

حدث فقال: «ياأيُّها الناسُ! أنتم تُحبون ثلاثةً، وليستْ هي لكم: تحبون النَّفْسِ، وهي لله؛ وتُحبون الرُّوحَ، والرُّوحُ لله؛ وتُحبون المالَ، والمالُ للوَرَثة وتطلَبون اثنين، ولاتجدونهما الفَرَجُ والراحةُ؛ وهما في الجنَّة».

وقال: «قلتُ لأبي تراب ـ وقد أخذ طريقَ الباديةِ ـ لابُدَّ من قُوتٍ!. فقال: لابُدَّ ممَّن لابُدَّ منه!».

وقال: «أَشرفُ القلوب، قلبٌ حَيٌّ بِنُور الفَهْم عن الله تعالى».

وقال: «سببُ الوصول إلى الله، سبعَ عشرة درجة، أدناها الإجابةُ، وأعلاها التوكلُ على الله بحقيقته». وقال: « ليس من العبادات شيء أنفع من اصلاح خواطر القلوب.

وقال: «الفقير قُوتُه ماوجد، ولباسُه ماستَر، ومَسْكَنُه حيث نزل».

وقال: «إذا صدقَ العبدُ في العمل وجد حلاوتَه قَبْل مُباشَرةِ العمل».

وقال: «من شَغَلَ مشغولاً بالله عن الله، أدركه المَقْتُ من ساعته».

وقال: «التَّوكُّل، طَمَأنينَةُ القلبِ إلى الله عز وجل».

وقال رجلٌ لأبي تراب: «ألك حاجةٌ؟ فقال له: يومَ يكونُ لي إليك وإلى أمثالك حاجةٌ [لايكون لي إلى الله حاجةٌ]».

وقال: «حقيقةُ الغِنَى، أن تستغني عَمَّن هو مِثْلَك. وحقيقة الفقر، أن تفتقر إلى من هو مِثْلَك».

وقال: «الذي منع الصادقين الشكوى إلى غير الله الخوفُ من الله عز وجل».

وقال: «الكَيِّس من عُمَّال الله، من حفظ حَدَّه مع الله تعالى، وترك العِلم يجري مجاريه».

وقال: «إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يُنطِق العلماءَ، في كلِّ زمانٍ، بما يُشَاكِلُ أعمَالَ

أهلِ ذلك الزمانِ».

وقال: «احفظ هَمَّك، فإنه مُقَدِّمَةُ الأشياءِ. فمن صَحَّ له هِمُّه، صَحَّ له ما بعد ذلك، من أفعاله وأحواله».

وقال: «القناعةُ أَخْذُ القوتِ من الله عز وجل».

وقال: «من استفتحَ أبوابَ المعاشِ بغير مفاتيح الأقْدار وُكِل إلى حَوْلِهِ وقُوَّته. فسُئِل: «ما مفاتيحُ الأقدارِ؟. فقال: الرِّضا بما يَرِدُ عليه في كل وَقْتٍ من أسباب الغَيب».

الطبقة الثانية

من أئمة الصوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا
غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

١ ـ أبو القاسم الجنيد

هو أبو القاسم الخَزَّاز وكان أبوه يبيع الزُّجاج، فلذلك كان يقال له: القَوارِريّ. أصله من «نِهاونْد»، تفقَّه على أبي ثَوْر، وكان يُفتي في حَلَقتِه، وهو من أَئِمَّة القوم وسادتِهم؛ مقبولٌ على جميع الألسنة.

توفي سنة سبع وتسعين ومائتين، يوم نيروز الخليفة.

حدث فقال: «بابُ كلِّ عِلْم نفيسٍ جليلٍ بَذْلُ المجهودِ وليس مَنْ طَلَبَ الله ببذْل المجهود، كمن طلبه مِن طريق الجود».

وقال: «إن الله تعالى يَخلُص إلى القلوب من بِرِّه، حَسْب ماخَلُصت القلوبُ به إليه من ذِكْره؛ فانظر ماذا خالط قلبك».

وقال: «ياذاكر الذاكرين بما به ذَكَروه، ويا بادىء العارفين بما به عَرَفوه؛ ويا مُوفِّقَ العابدين لصالح ماعملوه، من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك؟! ومن ذا الذي يَذْكرك إلا بفضلك».

وسُئل «من العارفُ؟» ـ فقال: «من نطق عن سِرِّك وأنت ساكتٌ».

وقال: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال؛ لكنْ عن الجوع، وترك الدُّنيا، وقطْعِ المألوفاتِ والمُسْتَحْسَنَاتِ؛ لأنَّ التصوفَ هو صفاء المعاملةِ مع الله تعالى؛ وأصله التَّعزُّف عن الدنيا، كما قال حارث: عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا، فأسْهَرتُ ليلِي، وأظمأتُ نهاري».

وقال: «إنما هذا الاسم ـ يعني التصوفَ ـ نَعْت أقيم العبدُ فيه».

وقال: «إنك لن تكون له على الحقيقة عبداً، وشيء مما دونه لك مُسْتَرِقٌ، وإنك لن تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عُبُودِيَّته بقيَّة. فإذا كنت له

وحدَه عبداً، كنتَ مما دونه حُرّاً».

وقال: «أهل المعرفة بالله يَصِلُون إلى ترك الحركاتِ، من باب البرّ والتقوى، إلى الله تعالى».

سئل مرة: «من العارف؟» فقال: «من لم يَأسِرْه لَحْظُهُ ولا لَفْظُهُ».

وقال: «الغَفلة عن الله تعالى أشدُّ من دُخول النار».

وقال: «إن أمكنك ألا تكونَ آلة بيتك إلا خزفاً فافعل».

وقال: «الطرقُ كلُّها مسدودة على الخَلْق، إلا من اقْتَفَى أثَر الرَّسول، صلى الله عليه وسلم، واتَّبع سُنَّتَه، ولَزِم طريقتَه؛ فإن طُرُق الخيراتِ كلّها مفتوحةٌ عليه».

وقال: «حاجةُ العارفين إلى كِلاتته ورِعايته؛ قال تعالى: ﴿قلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بالليلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحمٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]

وقال: «نَجْحُ قضاءِ كلِّ حاجةٍ من الدنيا تركُها».

وقال: «إذا لقيتَ الفقيرَ فلا تبدأْه بالعِلْم، وابدأه بالرِّفْق؛ فإن العِلْم يُوحِشُه، والرفقَ يُؤنِسُه».

سمع وهو يقول للشبلي: «يا أبا بكر! إذا وجدتَ من يُوافقُك على كلمة مما تقول، فتَمَسَّك به».

وقال: «لاتقومُ بما عليك حتى تتركَ ما لك؛ ولايَقْوى على ذلك إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ».

وقال: «الأُنس بالمواعيد، والتعويلُ عليها، خلَل في الشجاعة».

وقال: «الوقتُ إذا فات لايُسْتَدرك. وليس شيءٌ أعزَّ من الوقت».

وقال: «فَتْح كلِّ باب شريف بذلُ المجهود».

وقال: «لو أَقْبَلَ صادقٌ على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظةً، كان مافاته أكثر مما ناله».

وقال: «أكثرُ النّاس عِلْمَاً بالآفات، أكثرُهم آفات».

وقال لرجل سأله: «من أصحبُ؟» فقال: «من تَقْدر أن تُطلِعه على مايعلمه الله منك».

وقيل له مرة أخرى: «من أصحب؟» فقال: «من يَقدِر أن ينسَى ماله، ويقضِي ماعليه».

وقال: «الحياءُ من الله عز وجل، أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة».

وقال: «مقام الغريب ببغدادَ، بعد خمسة أيام، فُضول».

وقال: «من نظر إلى ولي من أولياء الله تعالى، فَقَبِلَه وأكرمه، أكرمه الله على رؤوس الأشهاد».

وقال: «الرضا ثاني درجات المعرفة؛ فمن رَضِي صحت معرفتُه بالله، بدوام رضاه عنه».

وسمع جعفر الخلديّ، يقول: «رأيت الجنيد في المنام، فقلت له: أليس كلامُ الأنبياءِ إشاراتٍ عن مشاهدات؟ فتبسّم، وقال: كلامُ الأنبياء نَبَأ عن حُضور، وكلام الصدِّيقين إشاراتٌ عن مشاهدات».

وقال: «من اشار إلى الله، وسَكَن إلى غيره، ابتلاه الله تعالى، وحَجَب ذِكرَه عن قلبه، وأجراه على لسانه، فإن انتبه، وانقطع ممن سَكَن إليه، كشف الله مابه من المِحَن والبَلْوَى؛ وإن دام على سُكوتِه، نَزَع الله تعالى من قلوب الخلق الرحمةَ عليه، وأُلبس لباس الطمع؛ فتزدادُ مُطَالبته منهم، مع فقدان الرحمةِ من قلوبهم؛ فتصيرُ حياتُه عَجْزاً، وموتُه كمداً، ومَعادهُ أسفاً. ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غير الله».

وقال: «قد مَشَى رجال باليقين على الماء؛ ومن مات على العطش أفضلُ منهم يقيناً».

وقال: «من عرف الله لايُسَر إلا به».

وقال: «سألت الجُنيد عن المحبةِ، فقال: تريد الاشارة؟ قلت: لا!. قال: تريد الدَّعوى؟، قلت: لا!. قال: فأَيْش تريد؟!. قلت: عينَ المحبة. فقال: أن تحب ما يحب الله تعالى في عباده، وتكره ما يكره الله تعالى في عباده».

قال رجل للجنيد: «على ماذا يتأسف المحبُّ من أوقاته؟ قال: على زمان بَسْطٍ أورث قَبضا، أو زمان أُنس أورث وَحْشة».

٢ ـ أبو الحسين النوري

هو أبو الحسين النُّوريُّ. أحمدُ بنُ محمد؛ بغداديُّ المنشَأ والمولِد، خراسانيُّ الأصل، وكان من أجلّ مشايخِ القومِ وعلمائهم، صحب سريًّا السَّقَطِيَّ، ومحمد بن علي القصَّابَ؛ ورأى أحمد بن أبي الحواريّ.

توفي سنة خمس وتسعين ومائتين.

حدث فقال: «الجمع بالحق تفرقةٌ عن غيره، والتَّفْرِقةُ عن غيره جَمْع به».

وقال: «التصوفُ ترك كلِّ حظ للنفس».

وقال: «من وصل إلى ودِّه؛ أَنِس بقربه؛ ومن توسَّل بالوِداد، فقد اصطفاه من بين العباد».

وسُئِل النوري عن الحبيب والخليل، فقال: «ليس من طولب بالتسليم، كمن بادر بالتسليم».

وقال: «رأيت غلاماً جميلاً ببغدادَ، فنظرتُ إليه، ثم أردتُ أن أرَدِّدَ النظرَ. فقلتُ له: تلبسونَ النعالَ الصَّرَّارَة، وتمشون في الطرقات؟!. قال: أحسنتَ!. أتُجَمِّشُ بالعلم؟!.

وسُئِل النوري عن التصوف، فقال: «ليس التصوف رُسوماً ولا عُلوماً، ولكنها أخلاقٌ».

وقال: «أهلُ الدِّيانة موقوفون، وأهلُ التوحيد يسيرون، وأهلُ الرضا يَسْتَرِوحون، وأهلُ الانقطاع يَتَحَيَّرون. ثم قال: إن الحقَّ إذا ظهر، تلاشى كلُّ ما حجب وستر».

وعن فارس الحَمَّال، قال: « لَح أبا الحُسين النُّوريَّ عِلَّةٌ، والجُنَيْدَ عِلَّة؛ فالجُنَيْدُ أخبر عن وَجْدِه؛ والنُّورِيُّ كَتَم فقيل له: لِمَ لَمْ تُخْبر كما أَخْبر صاحبُك؟. فقال: ماكنا لنُبْتَلَي ببَلْوَى، فتُوقِعَ عليها اسمَ الشكوى.

ثم أنشأ يقول:

إن كنتُ للسُّقْم أهْلاً ... فأنتَ للشُّكْر أهلاَ
عذبٌ، فلم يَبْق قَلْبٌ ... يقول للسُّقْم: مَهْلاَ

فأُعيدَ ذلك على الجُنَيْد. فقال: ما كنا شاكِين، ولكنْ أَرَدْنا أن نكشِفَ عن عين القُدْرة فينا. ثم بدأ يقول:

أجلُّ مامِنْك يَبْدو ... لأنَّه عَنْك جَلاَّ
وأنتَ، يا أُنْسَ قلبي، ... أجَلُّ من أن تُجَلا
أَفْنَيْتِني عن جَميعي ... فكيفَ أَرْعَى المَحَلاَّ؟

قال، فبلغ ذلك الشِّبْلي، فبدأ يقول:

مِحنَتى فيكَ أنَّي لا أُبالي بِمِحْنَتي
ياشِفَائي من السِّقام، وإنْ كُنتَ عِلَّتي
تُبتُ دهراً، فمذ عَرفْتُكَ ضيَّعتُ تَوْبَتي

قُـــرْبُكـــم مثـــلُ بُعْـــدِكـــم فمتـــى وقـــتُ راحتـــي؟!

وقال: «مقاماتُ أهل النَّظَرِ، في النظرِ، شتَّى: فمنهم من كان نظرُه نَظَر التسلِّي؛ ومنهم من كان نظرُه نَظَر استفادَةٍ؛ ومنهم من كان نظرُه نظر عِيانِ المُكاشفَةِ؛ ومنهم من كان نظره نظر المنافسة في المشاهدة؛ ومنهم من كان نظره نظر المُشَاكَلَة والمماثَلة؛ ومنهم من كان نظره نظر طِيبةٍ وملاحظة؛ ومنهم من كان نظره نظر إشرافٍ ومطالعة. وكل واحد منهم أهل النظر».

وقال: «أعزُّ الأشياءِ في زماننا، شيئان: عالِمٌ يعمل بعلمه، وعارفٌ ينطقُ عن حقيقته».

وقال: «من عَقَل الأشياءَ بالله، فرجوعه في كلِّ شيءٍ إلى الله».

وسُئِل النُّوريُّ عن الفقير الصادق، فقال: «الذي لايتَّهم الله تعالى في الأسباب، ويَسكنُ إليه في كلِّ حال».

وأُحضِر النُّوريُّ مَجْلساً للسلطان؛ فقال له: «من أين تأكلون؟!. فقال: لسنا نعرفُ الأسبابَ، التي تُسْتَجلَبُ بها الأرزاقُ، نحن قومٌ مُدَبَّرون».

٣ ـ أبو عثمان الحيري النيسابوري

هو أبو عثمان، سعيدُ بنُ إسماعيلَ بنِ سعيد بن منصور الحِيريُّ النَّيْسَابُورِيُّ وأصله من الرَّي.

صَحِب قديماً، يحيى بنَ مُعاذ الرازيَّ، وشاهَ بن شجاع الكِرْماني. توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين.

حدث فقال: «أصلُ العداوةِ من ثلاثة أشياء:

من الطَّمعِ في المال؛ والطمع في إكرامِ النَّاسِ؛ والطَّمع في قَبُول الناس».

وقال: «لايكمُل الرجلُ، حتى يَستوِيَ قلبُه في أربعة أشياء: في المنعِ، والعطاءِ، والعز، والذُّل».

وقال: «صلاحُ القلب في أربعِ خصال: في التواضعِ لله؛ والفقرِ إلى الله؛ والخوفِ من الله؛ والرجاءِ في الله».

وقال: «الموَفَّق من لايخافُ غير الله، ولايرجو غيرَه؛ فيُؤثر رضاه على هوى نفسه».

وقال: «العُجْب يتولَّد من رُؤية النَّفس وذِكرها؛ ورُؤْية الخَلق وذكرهم».

وقال: «كنتُ أَجِد في قلبي حلاوةً عند إقبالِ الليل، وأنا لاأجدها السَّاعةَ! فقال: لعلك سُرِرْت بشيءٍ من الدنيا، فذهب بحلاوة ذلك من قلبك. وربما يُعَرِّفك الله ضعفَك، ويريك قدرَك، فيسلبك حلاوة مُناجاةِ الليل، حتى تتضرَّعَ إليه، فيَردَّه عليك لئلا نأمن مَكْرَه».

وقال: «الخوفُ من الله يُوصِلُك إلى الله؛ والكِبْر والعُجْب في نفسك يَقْطعُك عن الله؛ واحتقارُ الناسِ في نفسك مرض عظيم لايداوى».

وقال: «الناس على أخلاقهم، مالم يُخالفْ هواهُم؛ فإذا خُولف هواهُم بان ذَوو الأخلاق الكريمة من ذَوي الأخلاق اللَّئيمة».

وقال: «مَن جَلَّ مقدارُه في نفسه جَلَّ أقدارُ الناس عنده؛ ومن صَغُر مقدارُه في نفسه صَغُر أقدارُ الناس عنده».

وقال: «تَعَزَّزُوا بعِزِّ الله كي لاتذِلُّوا».

وقال: «سُرورُك بالدنيا أذهبَ سُرورَك بالله من قلبك؛ وخوفُك من غيره أَذْهبَ خوفَكَ منه عن قلبِك؛ ورَجاؤُكَ مَن دونه أذهب رجاؤكَ إيَّاه من قلبك».

وقال: «العاقلُ من تأهَّب للمخاوفِ قبل وقوعها».

وقال: «قطيعة الفاجر غُنْم».

وقال: «حُقَّ لمن أعزَّه الله بالمعرفة ألا يذلَّه بالمعصية».

وقال: «كان يقال: الأدب سَنَد الفقراء، وزَيْنُ الأغنياء».

وقال: «أوجب الله على نفسه العفوَ عن المقصرين من عباده، لذلك قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [الأنعام: ٥٤]

وقال: «الزهدُ في الحرام فريضةٌ، وفي المباح فضيلةٌ، وفي الحلال قُرْبة».

وقال: «التفويضُ رَدُّ ماجهِلْت علمَه إلى عالِمه؛ والتفويضُ مُقَدِّمَةُ الرضا؛ والرضا بابُ الله الأعظمُ».

وقال: «الصبرُ على الطاعةِ حتى لاتفوتك الطاعةُ؛ والصبر عن المعصيةِ حتى تنجوَ من الإصْرار على المعصيةِ».

وقال: «الفِراسةُ ظَنٌّ وافق الصوابَ، والظن يُخطىء ويُصيب؛ فإذا تحقَّق في الفِراسة، تحقق في حُكْمِها؛ لأنه إذ ذاك يَحكُم بنور الله تعالى لابنفسه».

وقال: أصْل التعلُّق بالخيرات قِصَر الأمل».

وقال: «أنت في سجنٍ ماتبعتَ مُرادَك وشهواتِك؛ فإذا فوَّضْتَ وسلّمتَ استرحتَ».

وقال: «الذكر الكثير أن تَذكره في ذِكْرك له؛ إنَّك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله».

وسئل: «كيف يَستجيزُ للعاقل أن يُزيلَ اللآئمةَ عمن يظلمِهُ؟. فقال: ليَعْلَمَ أن الله سلَّطه عليه».

.وقال: «اصحب الأغنياءَ بالتَّعزُّز، والفقراء بالتذلُّل؛ فإن التعزُّز على الأغنياء

تواضعٌ، والتذلُّل للفقراء شرف».

سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذُ بِكَ مِنْكَ). فقال: «استعملْ الصدق في اللفظتين المتقدِّمتين يبلغ فهمُك إلى هذه الكلمة؛ وهو قوله: أعوذ برضاك من سَخطِك، وبمعافاتك من عقوبتك».

وسُئِلَ: «ماعلامةُ السعادةِ والشقاوة؟. فقال: علامةُ السعادة أن تطيعَ الله، وتخافَ أن تكون مَرْدوداً. وعلامةُ الشقاوةِ أن تَعصَى الله وترجُوَ أن تكونَ مقبولاً».

وقال: من صَحِب نَفْسَه صَحِبه العُجْب. ومن صحب أولياء الله وُفِّق للوصولِ إلى الطّريق إلى الله».

٤ ـ أبو عبدالله بن الجلاء

هو أحمد بنُ يحيى؛ أصله من بغدادَ. أقام بالرَّمْلَة، ودمشق. وهو جلّة من مشايخ الشام. صحب أباه، يحيى الجلاَّءَ، وأبا تُرابٍ النَّخْشَبيَّ، وذا النون المصريَّ، وأبا عُبَيْد البُسْريَّ. عالماً ورعاً، قال اسماعيل بن نُجيد فيه: «كان يقال: إن في الدنيا ثلاثةً من أئمة الصوفية، لارابع لهم الجُنيدَ ببغدادَ، وأبو عثمانَ بنَيْسابورَ، وأبو عبد الله بن الجلاَّء بالشام».

حدث يقول: «الحقُّ استَصْحَب أقواماً للكلام، وأقواماً للخُلَّة؛ فمن استصحبه الحقُّ لمعنى ابتلاه بأنواع المِحَن، فلْيحذر أحدُكم طلبَ رُتبةِ الأكابر».

وقال: «من بَلَغَ بنفسه إلى رتبة سقط عنها، ومن بُلِغ به ثَبت عليها».

سأله رجل مرة: «على أيّ شرط أصحبُ الخَلْقَ؟» فأجاب: «إن لم تَبَرَّهم فلا تُؤذِهم، وإن لم تسرَّهم فلا تَسُوْهُم».

وقال: «لاتُضَيِّعَنَّ حقَّ أخيك، اتكالاً على مابينك وبينه من المَوَدَّةِ والصداقة؛ فإن الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقاً، لايُضَيِّعها إلا مَن لم يُراعِ حقوقَ الله عليه».

سئل: «كيف تكون ليالي الأحباب؟» فأنشأ يقول:

مَـن لـم يبِـتْ والحـبُّ حَشْـوُ فُـؤادِهِ   لـم يَـدْرِ كيـفَ تَفَتَّـتُ الأكبـادُ

وحدث يقول أيضاً: «يُحتاجُ أن يكون للعبد شيءٌ يَعرِف به كلَّ شيء».

وقال: «من استوى عنده المدحُ والذمُّ فهو زاهدٌ؛ ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابدٌ؛ ومن رأى الأفعال كلَّها من الله عز وجلَّ فهو مُوَحِّد».

سئل مرة: «ماتقول في الرجل يدخُلُ الباديةَ بلا زادٍ؟. فقال: «هذا من فِعل رجال الله عز وجل. قال: فإن مات؟. قال: الديَّة على القاتل».

وقال: «اهتمامُك بالرزقِ يُزيلك عن الحق، ويُفقرك إلى الخلق».

وقال: «كلُّ حق يشاركُه باطلٌ، فقد خرج من قِسْمة الحق، إلى قسمة الباطل، فإنَّ الحقَّ غيور».

وقال: «مِنْ غَيْرة الحق أنْ لم يجعَلَ لأحد إليه طريقاً، ولم يُؤْيِس أحداً من الوصول إليه وتَرَكَ الخلْقَ في مفاوز التحيُّر يركُضون، وفي بحار الظن يَغرَقون، فمن ظنَّ أنه واصلٌ فاصَلَه، ومن ظن أنه فاصِلٌ مَنَّاه. فلا وصول إليه، ولا مَهْرَب عنه، ولابُدَّ منه».

وقال: «الدنيا أوسعُ رُقعةً، وأكثرُ زَحْمةً من أن يَجْفَوك واحد، فلا يَرغَب فيك آخر».

سئل عن الحق فأجاب: «إذا كان الحقُّ واحداً يجبُ أن يكون طالبُه وَحدانيَّ الذات».

وقال: «سَمَتْ هِمَمُ العارفين إلى مولاهم، فلم تَعْكُف على شيءٍ سواه. وسَمَتْ هِمَمُ المريدين إلى طَلَب الطريق إليه، فأفنوا نُفوسهم في الطَّلب».

وقال: «من عَلَتْ هِمَّتُه على الأكوان، وصَلَ إلى مُكَوِّنها؛ ومن وَقَفَ بِهِمَّتِه على شيءٍ سوى الحقِّ، فاتَهُ الحق، لأنه أعزُّ من أن يرضى معه بشريكٍ».

٥ ـ رويم بن أحمد البغدادي

هو رُويم بنُ أحمد بن يزيد؛ كُنيتُه أبو محمد؛ وهو من أهل بغداد، وجِلّة مشايخهم، وكان فقيهاً، ومقرئاً. توفي سنة ثلاث وثلاثمائة

قال: أن رجلاً لعن برغوثاً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبيُّ: «لاتَلْعَنْهُ، فإنَّهُ أَيْقَظَ نبيّاً مِنَ الأنبياءِ للصَّلاةِ».

وسُئِلَ عن أدب المسافر ـ يقول: «لايُجاوزُ همُّه قدمَه وحيثُما وقف قلبُه يكون منزلُه».

وقال: «لايزال الصوفيةُ بخيرٍ ماتنافَروا، فإن اصطلحوا هلكوا».

وقال: «من حُكْم الحكيم أن يُوسّع على إخوانه في الأحكام، ويُضيِّق على نفسه فيها؛ فإن التَّوْسِعة عليهم اتباعُ العلم، والتضييق على نفسه من حُكْم الوَرَع».

وقال: «إن الله تعالى غَيَّب أشياءَ في أشياء: غيَّبَ مَكرَه في حِلْمه، وغيَّبَ خِداعه في لُطفِه، وغَيَّب عقابه في كرامته».

وقيل له: «هل ينفع الولدَ صلاحُ الوالدين؟» فقال: «من لم يكُن بنفسه

لايكون بغيره؛ بل من لم يكُن بِربِّه لايكون بنفسه».

وسُئِلَ عن الشاطر، فقال: «من شَطَرتْ نفسه عن الباطل».

وسُئِلَ عن الفقر، فقال: «أخذ الشيء من جِهته، واختيارُ القليل على الكثير عِنْد الحاجة».

وقال: «قُعودُك مع كل طبقةٍ من الناس أسْلَمُ من قُعودك مع الصوفية؛ فإن كلَّ الخَلْق قعدوا على الرُّسوم، وقعدت هذه الطائفةُ على الحقائق؛ وطالب الخلقُ كلُّهم أنفسَهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أنفُسَهم بحقيقة الوَرَع ومُداوَمة الصدق. فمن قَعَدَ معهم، وخالفهم في شيءٍ مما يتحققون فيه، نزع الله نور الإيمان من قلبه».

وقال: «لما عَظَمَتْ فيهم البليةُ استَحْكَمتْ عليهم الفِتنةُ، واستصغروا عند ذلك كلَّ مقام، وعَزَب عنهم التدبيرُ والنظامُ».

وقال: «الإخلاصُ ارتفاع رؤيتك من الفعل».

وسُئِل عن الفُتُوَّة، فقال: هو «أن تَعذُر إخوانَكَ في زلَّاتهم، ولاتعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه».

«سألت رويم بن أحمد، فقلت له: أوصني!». فقال: «أقَلُّ ما في هذا الأمر بذلُ الرُّوح فإن أمكنك الدخولُ مع هذا فيه وإلا فلا تشتغل بتُرَّهات الصوفية».
وقال: « الصبر ترك الشكوى»

وقال: «الرِّضا استلذاذُ البلوى».

وقال: «اليقينُ هو المُشاهَدَة».

وقال: «يعاتَبُ الخلق بالأرْفاق، ويُعاتَب المُحِبُّ بالغِلظة».

وقال: «التوكل إسقاطُ رُؤية الوَسائِط، والتعلُّق بأعلى العلائق».

وسُئِلَ عن المحبة، فقال: هي «الموافَقَة في جميع الأحوال».

وقيل له: «كيف حالك؟» فقال: «كيفَ يكونُ حالُ مَن دينُه هواه، وهِمَّته شَقاه؛ ليس بصالحٍ تَقِيٍّ، ولا عارفٍ نَقِي».

وقال: «من أَحَب لِعِوَضٍ بَغَّضَ العِوَضُ إليه محبوبه».

وسئل عن الشوق، فقال: «أن تشوقَه آثارُ المحبوب، وتُفْنيه مُشاهدتُهُ».

٦ ـ يوسف بن الحسين الرازي

هو يوسفُ بنُ الحسين، أبو يعقوبَ الرازِيُّ. شيخ الرَّي والجبال، أوحد في إسقاط الجاه، وتَرْك التصنُّع، واستعمال الإخلاص.

صَحِب ذا النُّون المِصْريَّ، وأبا تُرابٍ النَّخْشبِيَّ، ورافق أبا سعيدٍ الخرَّازَ في بعض أسفاره. وكان عالماً دَيِّناً. توفي سنة أربع وثلثمائة.

عن ابن عباس أنه قال: قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ عَشِقَ، فَعَفَّ وَكَتَمَ، ثمَّ ماتَ، فَهُوَ شَهيدٌ).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مايُحِبُّ لنَفْسِهِ)

وقال: «عَلِم القومُ بأنَّ الله يراهم، فاستحيوا من نظره أن يُراعوا شيئاً سواه».

وقال: «من ذَكَرَ الله بحقيقة ذِكره، نَسي ذِكْر غيره؛ ومن نَسِي ذِكْر كلِّ شيء في ذِكْره، حَفِظ عليه كلَّ شيءٍ، إذْ كان الله له عِوَضاً من كلِّ شيءٍ».

وقالَ رجلٌ ليوسف: «دُلَّني على طريق المعرفة». فقال: «أَرِ الله الصدقَ منكَ، في جميع أحوالِك، بعد أن تكونَ مُوافقاً للحق، ولاتَرْق إلى حيثُ لم يُرْقَ

بك فتزلَّ قدمُك؛ فإنَّكَ إذا رَقِيت سقَطتَ، وإذا رُقِيَ بك لم تسقط. وإياك أن تَترُكَ اليقين لما ترجوه ظناً».

وقال: «إذا رأيتَ الله قد أقامك لِطَلب شيءٍ، وهو يمنعكَ ذلك، فاعلم أنك مُعَذب».

وسُئِل مرة: «بماذا يُقْطع الطريقُ إلى الله؟» قال: «به، وبخطاب كراماته، ولطائف جَذْبه إلى ساحات توحيده، ومُروج كراماته».

وقال: «يتولدُ الإعجابُ بالعمل، من نِسيان رُؤْية ، فيما يُجْري الله لك من الطاعات».

وقال: «خِفَّة المَعِدَة من الشَّهوات والفُضول قُوَّةٌ على العبادة».

وسئل مرة عن الفقير الصادق، فقال: «من آثر وقتَه؛ فإن كان فيه تَطَلُّع إلى وقتٍ ثانٍ لم يستحقَّ اسم الفقر».

وقال: «من تَفَتَّت عِذارُه، وانقطعَ حزامُه، وساح في مفاوِز المخاطَرات، تجرى عليه أحكامُ السّعايات، وهو يقول في تيهه:

كَيْفَ السَّبيلُ إلى مرضَاةِ من غَضَبا مِنْ غير جُرْمٍ، ولم أعرف له سَبَباً

وقال: «أرغبُ النَّاسِ في الدُّنيا أكثرُهُم ذَمَّاً لها عِندَ أبنائها؛ لأنَّ المذمَّةَ لها حِرفةٌ عندهم».

وقال: «أصلُ العقل الصَّمتُ، وباطِنُ العقل كِتمان السرِّ، وظاهرُ العقل الاقتداء بالسُّنَّة».

وقال: «كلّ مارأيتموني أَفْعَله فافعلوه، إلا صُحْبَةَ الأحداث، فإنهم أفتنُ الفِتن».

وقال: «أَذَلُّ النَّاس: الفقير الطَّموعُ، والمحبُّ لمحبوبه».

وقال: «الخيرُ كلُّه في بيتٍ، ومِفتاحُه التواضعُ، والشرُّ كلُّه في بيتٍ،

ومِفْتاحه التَّكبُّر ومما يدلك على ذلك، أنَّ آدم عليه السلامُ تواضع في ذَنْبه، فنال العفو والكرامة؛ وأنَّ إبليسَ تكبَّر، فلم ينفعْه معه شيءٌ».

وقال: «بالأدب تفهمُ العلم، وبالعِلْم يصِحُّ لك العَمَلُ، وبالعَمَل تنالُ الحِكْمة، وبالحِكْمة تفهمُ الزُّهدُ وتُوفَّق له، وبالزُّهد تترك الدنيا، وبترك الدنيا ترغبُ في الآخرة، وبالرَّغبة في الآخرة تنالُ رضَى الله».

وقال: «إذا أردتَ أن تَعرفَ العاقلَ من الأحمق، فحدِّثه بالمُحال؛ فإن قَبِل، فاعلم أنه أحمق».

وقال: «إن عينَ الهوى عوراء».

وقال: «عارضني بعض الناس في كلام، وقال لي: لاتَسْتَدْرِكِ مُرادك من عِلْمِك إلَّا أن تتوب. فقلتُ مُجيباً: «لو أنَّ التوبةَ طَرَقَتْ بابي ماأَذِنتُ لها، على أنّي أنجو بها من رَبِّي؛ ولو أنَّ الصِّدقَ والإخلاصَ كانا لي عبدين، لبعتهما زُهْداً مني فيهما؛ لأني إن كنتُ عند الله سعيداً، لم أتخلَّف باقتراف الذّنوب والمآثِم؛ وإن كنتُ عنده شقيّاً مَخْذولاً، لم تُسْعِدني توبتي، وإخلاصي، وصِدْقي. وإنَّ الله خلقني إنساناً، بلا عَمَل، ولاشفيع كان لي إليه؛ وهداني لدينه، الذي ارتضاه لنفسه، فقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين﴾.[آل عمران: ٨٥] فاعتمادي على فضْله وكَرَمه أولى بي - إن كنتُ حُرّاً عاقلاً - من اعتمادي على أفعالي المدخولة، وصِفَاتي المَعْلولة؛ لأنَّ مقابلةَ فضله وكَرَمه بأفعالنا من قِلّة المعرفة بالكريم المتفَضِّل».

وقال: «لولا أنّي مُسْتَعْبَدٌ بِتَرْك الذنوب، لأحبَبْتُ أن ألْقَاه بِذُنوب العِباد أجمع؛ فإن هو عذَّبني كان أعْذرَ له في عذابي - مع أنه لو عذَّب الخلقَ جميعاً كان عَدْلاً منه - وإن عفا عني كان أظهر لكرمه عندهم في عفوي، مع أنَّه لَو لَم يَعفُ عن أحدٍ من خَلْقه لكان ذلك منه فَضْلاً وكرماً، وكانت له الحُجَّة البالِغَةُ؛ وذلك أن الملكَ ملكهُ، والسلطانَ سلطانهُ، والخلقَ مُتردِّدون بين عدله وفضله،

بل الكل كرم وإفضال؛ فقد أحسن مع الكل، حيث قال: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[المؤمن: ٤٦] فمن عفا عنه فبفضله، ومن عذَّبهُ فبعَدْلِهِ؛ وهو إلى الفضل أقرب ﴿لايُسْئَلَ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. [الأنبياء: ٢٣]

وقال: «نظرتُ في آفاتِ الخَلْق، فعرفتُ من أين أتوا. ورأيتُ آفة الصوفيَّة في صُحْبةِ الأحداثِ، ومُعاشرة الأضداد، وأَرْفاق النسوان».

وقال: «عاهدتُ ربي أكثر من مائة مرة، ألا أصحبَ حَدَثاً، فَفَسَخها على حُسْنُ الخدود، وقوام القدود، وغَنَج العيون؛ وما سألني الله تعالى معهم عن معصية».

وقال: «في الدُّنيا طُغْيانان: طُغيان العلم، وطُغْيان المال. فالذي يُنجيك من طُغيان العِلْم العِبَادةُ، والذي ينجيك من طُغيان المالِ الزُّهد فيه».

وسُئِل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أَرِحْنَا بِها يا بِلالُ). فقال: «معناه: أرِحْنا بها من أشْغال الدنيا وحديثها، لأنَّه كان، صلى الله عليه وسلم، قُرَّة عينه في الصلاة».

٧ ـ شاه الكرماني

وهو شاهُ بنُ شُجاعٍ، أبو الفوارس. كان من أولاء الملوك.

صحب أبا تراب النَّخْشَبِيَّ، وأبا عبدالله بن الذَّرَّاع البَصْرِيَّ، وأبا عُبَيد البُسْري.

وكان من أجلَّة الفتيان، وله رسالات مشهورة سمَّاها «مرآة الحكماء». توفي قبل الثلثمائة. وأصله من «مَرْو».

قال: «شُغل العارف بثلاثة أشياء: بالنَّظَر إلى مَعْبوده، مُسْتَأْنِساً به؛

والمُلاحظة لمِنَنه وفوائده، شاكراً له؛ والتذكُّر لذنْبه، مُعترفاً به، ومُنيباً تائباً إليه».

وقال: «من صَحِبك، ووافقك على مايُحِبُّ، وخالفَكَ فيما تكره، فإنَّما يصحبُ هواه ومن صَحِب هواه فهو طالب رَاحِة الدنيا».

وقال: «اعْمَلوا الطاعاتِ أَنْزَه مايكون، وانظروا إليها أَقذَر مايكون».

وقال: «لأهل الفَضْل فَضْلٌ ما لم يَرَوه، فإذا رَأَوْه فلا فَضْل لهم. ولأهل الوِلايَة وِلَايَة ما لم يَرَوْها، فإذا رَأَوْها فلا وِلَاية لهم».

وقال: «الفُتُوَّة من طِباع الأحْرار، واللؤمُ من شِيَم الأنذال. وما تَعبَّد مُتَعَبِّد بأكثر من التَّحَبُّب إلى أولياء الله بما يحبون».

وقال: «مَحبَّة أوْلياء الله تعالى دليلٌ على مَحَبَّةِ الله عزَّ وجل».

وقال: «الإعراض عن الحقِّ هو السُّخْط».

وقال: «علامةُ الرُّكونِ إلى الباطل التَّقَربُ من المبطلين».

وقال: «من عرف ربَّه طَمِع في عفوه ورجا فَضْله».

وقال: «عَلامة الحِكْمة مَعْرفة أقدَارِ الناس».

وقال: «علامة التَّقوى الوَرَع؛ وعَلامَة الوَرَع الوقوف عند الشُّبُهاتِ؛ وعلامَة الخوف الحُزْن؛ وعلامَةُ الرَّجاء حسن الطاعة؛ وعلامة الزُّهد قصر الأمل».

وقال: «ماأُعْجِب عَبْد بنفسه حتى يكون مَحْجوباً عن ربه».

وقال: «من عَرَف ربَّه نَسِي كلَّ مادونه، ومن جَهِل ربه تَعلَّق بكل شيء دونه. ومن اعتَزَّ بالعِلْم فاز، ومن اعتَزَّ بالجهل خاب وخسر».

وقال: «الجاهلُ في ظُلمَة جَهْله، فكيف يكونُ إذا كان العالِم في ظُلْمة عِلْمه؛ وظُلمة العِلم أشد».

٨ ـ سمنون بن عمر المحب

سَمْنون بن حَمْزة؛ هو أبو الحسن الخَوَّاص، أبو القاسم.

صحب سَرِيّاً السَّقَطِيَّ، ومحمد بن علي القصَّابَ، وأبا أحمد القَلانسيَّ، وكان يتكلم في المحبَّة بأحسن كلام، وهو من كبار مشايخ العراق توفي بعد الجنيد.

قال: «لو صاح إنسانٌ، لشِدَّة وَجْده بحبه، لملأ ما بين الخافِقين صِياحاً».

وقال: «إذا بسط الجليلُ، غداً، بساط المجد دَخَلَ ذنوبُ الأولين والآخرين في حاشيةٍ من حواشيه. وإذا أبدى عَيناً من عيون الجود ألحق المُسيء بالمُحْسن».

وقال: «كنتُ ببيت المقدس، وكان برد شديد، وعلى جُبَّة وكساء، وأنا أجد البرد، والثلج يسقط؛ فإذا شابٌّ مارٌّ في الصَّحْن، عليه خِرْقتان؛ فقلتُ: يا حبيبي! لو استترتَ ببعض هذه الأروقة، فيكِنَّك من البرد!.. فقال لي:

ويُحسِنُ ظَنِّي أنَّني في فِنائِهِ وهَلْ أَحَدٌ في كِنِّه يَجِدُ القَرَّا؟

وقال: «لايُعبَّر عن الشيء إلا بما هو أرَقُّ منه، ولاشيءَ أرقُّ من المحبة، فيم يعبر عنها؟!

وأنشد:

أنتَ الحبيبُ، الذي لاشَكَّ في خَلَدي مِنه، فإنْ فَقدتكَ النفسُ لم تَعِشِ
يا مُعْطشي بوصالٍ، أنتَ واهبُه هل فيكَ لي راحةٌ، إن صِحْتُ: واعَطَشِي!

وأنشد:

أمْسَى بِخَدِّي للدُّموع رُسُومُ أسفاً عليكَ، وفي الفؤاد كُلومُ

والصبرُ يحسُنُ في المصائِب كلِّها ... إلا عليكَ، فإنه مذمومُ

وأنشد:

كان لي قلبٌ أعيشُ به ... ضاع مني في تَقَلُّبِهِ
رَبِّ! فارْدُدْهُ عَلَيَّ، فَقَدْ ... ضاق صَدْري في تَطَلُّبِهِ
وأَغِثْ، مادامَ بي رَمَقٌ ... يا غِياثَ المستغيثِ بهِ

وأنشد:

يُعاتبني فَيَنْبَسِط انقباضي ... وتَسْكُنُ رَوْعَتي عند العتاب
جَرى فِيَّ الهوى مُذْ كنتُ طفلاً ... فما لي قد كبرتُ عن التصابي

وأنشد:

أَحِنُّ بأطراف النهارِ صبابةً ... وفي الليل يدعوني الهوى فأجيبُ
وأيامُنا تَفْنِي، وشَوْقي زائدٌ ... كأن زمَانَ الشَّوقِ لَيْس يغيبُ

وأنشد:

وكان فُؤادي خالياً قَبْل حُبِّكُمْ ... وكان بذكرِ الخلقِ يلهو ويَمْزحُ
فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلستُ أَرَاهُ عن فِنَائِكَ يَبْرَحُ
رُمِيتُ بِبَيْنٍ منك، إن كنتُ كاذباً ... إن كنتُ، في الدنيا، بغيرك أفرحُ
وإن كان شيء في البلاد بأسرها ... إذا غبتَ عن عيني، بعيني يَمْلُحُ
فإن شئت واصلني، وإن شئت لاتصلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيرك يصلحُ

وسُئِل عن الفقير الصَّادق، فقال: «الذي يأنس بالعُدْم، كما يأنَس الجاهل بالغِنَى؛ ويَستوحش من الغِنَى، كما يستوحش الجاهلُ من الفقر».

وأنشد:

بكَيْتُ، ودمعُ العين للنَّفْس راحةٌ ... ولكنَّ دَمْع الشَّوق يُنْكَى به القلبُ
وذِكْري لما ألقاه ليس بنافعي ... ولكنَّهُ شيءٌ يهيجُ به الكربُ

فلو قيل لي: ما أنت! قلت: معذَّب بنـار مـواجيـدٍ يُضَـرِّمها العَتْـبُ
بُليـتُ بمـن لاأستطيـع عِتَـابـه ويُعْتِبُنـي حتَّى يُقَـالَ لـي الـذَّنـبُ

٩ ـ عمرو بن عثمان المكي

وهو عمرو بن عثمان بن كُرَب بن غُصَص، ينتسب إلى الجُنيد في الصحبة، وصحب أبا سعيد الخَرَّاز، وغيره من المشايخ القدماء. عالم بعلوم الأصول. توفي ببغدادَ سنة احدى وتسعين ومائتين.

حدث عن التوبة فقال: «التوبة فرضٌ على جميع المذنبين والعاصين، صَغُر الذنبُ أو كبُر؛ وليس لأحد عُذر في ترك التوبةِ، بعد ارتكاب المعصية؛ لأن المعاصي كلَّها قد توعَّد الله عليها أهلَها؛ ولايسقُط عنهم الوعيد إلا بالتوبةِ. وهذا مما يُبيِّن أن التوبة فرض».

وحدث أيضاً: «اعلم أن كلَّ ماتوَهَّمه قلبُك، أو سنح في مجاري فكرك، أو خطر لك في معارضات قلبك، من حُسن أو بهاء، أو أنس أو ضياء، أو جمال أو قُبْح، أو نور أو شَبَح، أو شخص أو خيال، فالله تعالى ذكره بعيدٌ من ذلك كله، بل هو أعظمُ وأجلُّ وأكبر؛ ألا تسمع إلى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] وإلى قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَدٌ﴾. [الإخلاص:٢ـ٣]

وقال: «المروءة التغافُل عن زَلَل الأخوان».

وقال: «لايقع على كيفية الوَجْد عبارة، لأنه سرُّ الله تعالى عند المؤمنين الموقنين».

وقال: «لقد علَّم الله نبيَّه، صلى الله عليه وسلم، مافيه الشِّفاءُ، وجوامع

النصر، وفواتحَ العبادة؛ فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هو السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾. [الأعراف: ٢٠٠]

وقال: «المعرفةُ دوامُ محبّة الله تعالى، ودوامُ مخافته، ودوامُ الإقبال عليه، ودوامُ انتصاب القلبِ بذكره. وهي علم القلوب بفَسْخ العُزُوم، وخَلْع الإرادات، وإحياء الفهوم».

وقال: «المعرفةُ صِحَّة التوكل على الله تعالى».

وقال: لقد وبَّخ الله تعالى التاركين للصبر على دينهم، بما أخبرنا عن الكفَّار أنهم قالوا: ﴿امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾. [ص:٦] فهذا توبيخ لمن ترك الصبر، من المؤمنين، على دينه».

وقال: «اعلَمْ أن العلم قائد، والخوفَ سائق، والنفسَ حَرُون بين ذلك، جَمُوح، خَدَّاعَة، روَّاغة. فاحذرها، وراعها بسياسة العِلم، وسُقْها بتهديد الخوف، يتمَّ لك ماتريد».

وقال: «اعلم أن الرِّعاية مصحوبةٌ لك في كلّ الأحوال، من العبادة إلى أن تلقى ربك، كذلك التقوى».

وقال: «الصدقُ في الورع مُفْترض، كافتراض الصبر في الورع. ومعنى الصدق الاعتدالُ والعدل».

وقال: «اعلم أن رأس الزهدِ وأصلَه في القلوب هو احتقارُ الدنيا واستصغارها، والنظرُ إليها بعين القلة. وهذا هو الأصلُ الذي يكون منه حقيقةُ الزهد».

وقال: «إذا كان أنين العبد إلى ربّه عز وجلّ فليس بشكوى ولا جزع».

وقال: «اعلم أن المحبة داخلة في الرِّضا، ولا محبة إلا بالرضا، ولا رضاً إلا بمحبة؛ لأنك لاتحب إلا مارضيتَ وارتَضَيْتَ، ولا ترضى إلا ما أحببت».

وقال: «الرجاءُ داخل في تحقيق الرضا».

وقال: «واغمَّاه مِن عهد لم نَقُم له بوفاء!؛ ومِنْ خلوة لم نصْحبها بحياء!؛ ومِنْ مسألة: ما الجواب فيها غداً!؛ ومن أيام تَفْنى ويَبْقَى ما كان فيها أبداً!».

وقال: «ماصحبتُ أحداً كان أنفع لي صحبته ورؤيته من أبي عبد الله النَّباجيِّ».

حدث محمد بن جعفر: «بلغني أن عمراً المكيَّ دخل أصفهان، فصحبه حدث؛ وكان والدُه يمنعه من صُحْبَتِهِ؛ فمرض الصبيُّ، فدخل عليه عمرو مع قوَّال، فنظر الحدثُ إلى عمرو، وقال له: قُلْ له يقول شيئاً، فقال القوَّال:

مالي مرضت فلم يَعُدْني عائِدٌ مِنكم، ويمرضُ عبدُكُم فأَعُودُ

فتمطَّى الحَدَث على فِراشه، وقعد؛ فقال للقوَّال: زِدْني، بِحقِّك! فقال القوَّال:

وأَشَدُّ مِن مرضي عَلَيَّ صُدُودُكُم وصُدودُ عَبْدِكم عليَّ شَديدُ

فزاد به البرءُ حتى قام وخرج معهم؛ فسُئِلَ عمرو عن ذلك، فقال: إن الإشارة إذا كانت قبل السماع كانت من فوق، فالقليل منها يشفي؛ وإذا كانت بعد السماع كانت من تحت، والقليلُ منها يُهلِك».

١٠ - سهل بن عبد الله التستري

وهو سهل بنُ عبدالله بنِ يونُسَ، وكنيته أبو محمد، صَحِبَ خاله محمد بن سَوَّار، وشاهد ذا النُّون المِصريَّ، سنة خروجه إلى الحج بمكة. تُوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

سُمِع يقول: «الناس نيامٌ، فإذا انتبهوا نَدِموا؛ وإذا ندموا لم تنفعهم الندامة».

وقال: «ماطلعت شمسٌ ولاغربت على أحد ـ على وجه الأرض ـ إلا وهم جُهَّال بالله، إلا مَن يُؤْثِر الله على نفسه وزوجه، ودنياه وآخرته».

وقال: «أدنى الأدب أن تَقِف عند الجهل، وآخرُ الأدب أن تقف عند الشبهة».

وقال: «شُكْر العِلم العمل، وشُكْر العمل زيادة العلم».

وقال: «ما مِن قلب ولانَفْس إلا والله مُطلِّع عليها في ساعات اللَّيل والنهار، فأيُّما قلبٍ أو نَفْس رأى فيه حاجةً إلى سواه سَلَّط عليه إبليس».

وقال: «الذي يلزم الصوفيَّ ثلاثةُ أشياء: حِفظ سِرِّه، وأداءُ فرضه، وصيانة فقره».

وقال: «الله قِبْلةُ النِّية، والنيةُ قِبْلةُ القلب، والقلبُ قِبْلةُ البدنِ، والبدن قِبْلَةُ الجوارح، والجوارح قِبْلةُ الدنيا».

وقال: «ليس في الضرورة تدبير، فإذا صار إلى التدبير خرج من الضرورة».

وقال: «من لم تكن ضَرُورَته لربه، فهو مُدَّعٍ لنفسه».

وقال: «من أراد أن يَسْلَمَ من الغِيبَة فليَسُدَّ على نفسه باب الظُّنون؛ فمن سَلِم من الظَّن سلم من التجسُّس، ومن سلم من التجسُّس سلم من الغِيبَة، ومن سلم من الغِيبَة سلم من الزُّور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان».

وقال: «لايستحقُّ إنسانٌ الرياسة حتى يجتمع فيه أربعُ خصالٍ: يصرف جهله عن الناس، ويحمل جَهْلَهُم، ويترك ما في أيديهم، ويبذل ما في يدِهِ لهم».

وقال: «من أخلاق الصدِّيقين ألا يحلفوا بالله، لاصادقين ولا كاذبين، ولا يَغتابون، ولايغتاب عندهم، ولايُشبِعون بُطونَهم، وإذا وعدوا لم يُخلِفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء في كلامهم، ولا يمزحون أصلاً».

وقال: «ذَرُوا التدبيرَ والاختيارَ فإنَّهما يكدِّران على الناس عيشهم».

وقال: «واعلموا أن هذا زمانٌ لاينالُ أحدٌ فيه النجاةَ إلا بَذبحِ نفسه بالجوع والصَّبرِ والجُهْد، لفسادِ ماعليه أهلُ الزمان».

وقال: «أعمال البِرِّ يعملها البَرُّ والفاجر؛ ولايجتنب المعاصيَ إلا صدِّيق».

وقال: «مَن ظنَّ حُرم اليقين؛ ومَنْ تكلَّم فيما لايعنيه حُرِم الصدق؛ ومن شَغَل جوارحَه بغير ما أمره الله به حُرِم الورع».

وقال: «الفتن ثلاثةٌ: فتنة العامَّة، من إضاعةِ العلم؛ وفتنة الخاصَّة، من الرُّخص والتأويلاتِ؛ وفتنة أهل المعرفة، من أن يلزَمَهم حقٌّ في وقت، فيؤخِّروه إلى وقت ثان».

وقال: «أصولنا سبعةُ أشياء: التمسكُ بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكَفُّ الأذى، واجتنابُ الآثام، والتوبةُ وأداء الحقوق».

وقال: «من أحَب أن يطَّلع الخلقُ على ما بينه وبين الله فهو غافل».

وقال: «لقد أيس العلماءُ والحكماءُ من هذه الثلاث خِلال: مُلازمةُ التوبة، ومتابعة السُّنَّة، وتركُ أذى الخَلْق».

وقال: «البلوى من الله على وجهين: بلوى رحمةٍ، وبلوى عقوبةٍ. فبلوى الرَّحمة يبعَث صاحبه على إظهار فَقره إلى الله، وترك التدبير؛ وبلوى العقوبة يبعث صاحبَه على اختياره وتدبيره».

وقال: «من خلا قلبُه من ذكر الآخرة تَعرَّض لوساوس الشيطان».

وقال: «لامُعين إلا الله، ولادليلَ إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر».

وقال: «الآيات لله، والمعجزاتُ للأنبياء، والكراماتُ للأولياء، والمغوثات للمريدين، والتمكين لأهل الخصوص».

وقال: «العَيْش على أربعة أوجه: عَيْش الملائكة في الطَّاعة؛ وعيش الأنبياء في العلم، وانتظارِ الوَحْي؛ وعَيْشُ الصدِّيقين في الاقتداء؛ وعَيْش سائر الناس: عالماً كان أو جاهلاً، زاهداً كان أو عابداً، في الأكل والشُّرب».

وقال: «الضرورةُ للأنبياء، والقَوامُ للصدِّيقين، والقوتُ للمؤمنين، والمعلومُ للبهائم».

وقال: «الأعمال بالتوفيق، والتوفيقُ من الله، ومِفْتاحها الدعاءُ والتضرُّعُ».

١١ ـ محمد بن الفضل البلخي

هو محمد بنُ الفضل البَلْخِيُّ؛ أبو عبد الله.

توفي سنة تسع عشرة وثلثمائة في سمرقند.

حدَّثنا أبو عبدالله، محمد بن الفضل البلخي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما مِنَ الأنبِياءِ مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ مَا مِثْلُه آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ. وَإنَّما كَانَ الَّذي أُوتيتُ وَحْياً أَوحَى الله إلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكونَ أَكْثرهُمْ تَابعاً يَوْمَ القِيَامَةِ).

وقال: «أعرَف الناس بالله أشدُّهم مُجاهدة في أوامِرِه، وأتبَعهُم لسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم».

وقال: «الرحمن هو الذي يُحسِن إلى البرِّ والفاجر».

وقال: «ذهابُ الإسلام من أربعة:

أولها: لايعلمون بما يعملون. والثاني: يعملون بما لايعلمون. والثالث: لايتعلّمون ما لا يعلمون. والرابع يمنعون الناس من التعلم».

وقال: «الدنيا بطنُكَ، فَبِقَدر زُهدِكَ في بَطْنِك زُهدُك في الدنيا».

وقال: «العَجَب مِمَّن يَقْطَع الأوْدِية والقِفار والمفاوز، حتى يصل إلى بيته وحرمِهِ؛ لأنَّ فيه آثار أنبيائِهِ. كيف لايقطع نَفْسه وهواه، حتى يَصِلَ إلى قلبه، فإنَّ فيه آثار مولاه».

وقال: «العِلْم حِرز، والجهل غَرَر؛ والصدّيق مُؤْنَة، والعدوّ هَمٌ؛ والصِّلَةُ بقاءٌ، والقطيعةُ مُصيبةٌ، والصبر قُوَّةٌ، والجُراةُ عَجز، والكَذِبُ ضَعْف، والصِّدقُ قوة؛ والمعرفة صداقة، والعقل تجربةٌ».

وقال: «أنزل نفسك منزلةَ من لاحاجة له فيها ولا بُدَّ له منها. فإن من مَلَك نفسه عزَّ، ومن ملكته نفسُه ذلَّ».

وقال: «سِتٌّ خصالٍ يُعْرفُ بها الجاهلُ: الغضب في غير شيء، والكلامُ في غير نفع، والعَطِيَّة في غير موضعها، وإفشاءُ السرِّ، والثِّقةُ بكلِّ أحد، وألاَّ يعرف صديقه من عَدوه».

وقال: «خطأ العالم أضرُّ من عَمْد الجاهل».

وقال: «من ذاق حلاوة العِلْم لايصبر عنه».

وقال: «من ذاق حلاوة المعاملة أنِسَ بها».

وقال: «من عَرِف الله اكتفى به، بعد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. [فصلت: ٥٣]

وقال: «العلوم ثلاثةٌ: عِلمٌ بالله، وعِلْم من الله وعلم مع الله:

فالعلم بالله، معرفة صفاته ونُعوته.

والعلم من الله، علم الظاهرِ والباطنِ، والحلالِ والحرامِ، والأمْر والنهي في الأحكام.

والعلم مع الله، علمُ الخوف والرجاء، والمحبة والشوق».

وقال: «البكاء بكاءان: بكاءُ الزاهدين بعيونهم، وبكاءُ العارفين بقلوبهم».

وقال: «العارف يدافع عيشَه يوماً بيوم، ويأخُذُ من عيشه يوماً ليوم».

سُئل: «ماثمرة الشُّكر؟» فقال: «الحبُّ لله والخوف منه».

وقال: «ذِكْر اللسان كَفَّاراتٌ ودرجات؛ وذِكر القلب زُلَفٌ وقُربات».

وقال: «إذا رأيت المريدَ يستزيدُ من الدنيا فذاك من علامات إدباره».

وقال: «الموافقة أصلُ المحبة؛ وأصل الوصال تركُ القرار؛ وأصلُ الفقر معرفةُ التقصير؛ وأصلُ الثباتِ على الحقِّ دوامُ الفقر إلى الله تعالى».

وقال: «من استوى عنده مادون الله نال المعرفة بالله».

وسُئل مرة عن الفُتُوَّة؟ فقال: «حِفظ السرِّ مع الله على الموافقة، وحِفْظ الظاهر مع الخلق بحسن العِشرة واستعمال الخُلُق».

وسئل عن الزهد فقال: «النظر إلى الدنيا بعَين النَّقص، والإعراض عنها تعزُّزاً وتظَرُّفاً، فمن استحسن من الدنيا شيئاً فقد نَبَّه عن قدرها».

١٢ ـ محمد بن علي الترمذي

هو محمد بن علي بن الحسن، أبو عبدالله. من كبار مشايخ خراسان.

حدث: «ليس الفوز هناك بكثرة الأعمال، إنما الفوز هناك بأخلاص الأعمال وتحسينها».

وقال: «من شرائط الخُدَّام التواضعُ والاستسلام».

وقال: «الناس في استماع الحكمة رجلان: عاقل وعامل. فالعاقل يَتعجَّب، وهو لما يسمعه يَشتهي؛ والعامل يتقلَّب، كأن قلبه منه حيَّة تَلتوي».

وقال: «ليس في الدنيا حِملٌ أثقل من البرّ. لأن من بَرَّك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك».

وقال: «كفى بالمَرء عيباً أن يَسرَّه ما يضره».

وقال: «دَعَا الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس، رحمة منه عليهم، فهيَّأ لهم فيها ألوان الضِّيافات، لينال العبدُ، من كلِّ قَوْل وفِعْل، شيئاً من عطاياه. فالأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة. وهي عُرس الموحدين».

وقال: «العاقل من اتَّقى ربه، وحاسب نفسه».

وقال: «من جَهِل أوصافَ العُبودية فهو بنعوت الرَّبَّانيَّة أجهل».

وقال: «صلاحُ خمسة اصناف في خمسة مواطن: صلاح الصِّبيان في الكُتَّاب، وصلاحُ القُطَّاع في السجن، وصلاح النِّساء في البيوت، وصلاحُ الفتيان في العلم، وصلاحُ الكهول في المساجد».

وقال: «ضَمِنَ الله تعالى للعباد الرزقَ، وفَرَضَ عليهم التوكلَ».

وقال: «حقيقةُ محبَّة الله دوام الأنس بذكره».

وقال: «المؤمن بِشره في وجهه، وحُزنه في قلبه، والمنافق حُزنُه في وجهه، وبشره في قلبه».

وقال: «الدنيا عروس الملوك، ومرآة الزهاد. أما الملوك فتَجَمَّلوا بها، وأما الزهاد فنظروا إلى آفتها فتركوها».

سُئِل عن الخلق فقال: «ضعفٌ ظاهر ودعوى عريضة».

وقال: «اجعل مراقبَتك لمن لايغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لاتنقطع نِعَمه عنك، واجعل خُضوعك لمن لاتخرجُ عن مُلكِهِ وسلطانه».

وقال: «مِلاَك القلوب بكمال الخشية، ومِلاكَ النفوس بكمال التقوى».

وقال: «المكلَّم والمحدَّث، إذا تحقَّقا في درجتهما، لم يخافا من حديث النفس. وكما أن النُبُوَّة محفوظة بالنَّسخِ لألقاء الشيطان، كذلك محلُّ المكالمة والمحادثة مصونةٌ من ألقاء النَّفس وفتنتها، محروسة بالحق والسَّكينة، لأن السكينة حجاب المكلَّم والمحدَّث مع نفسه».

سئل: «هل يخاف المحدَّثون سوء العاقبة» أجاب: «خَوفُ هَوْل وقلقٍ، يكون كالخَطَرات ثم يمضي. فإن الله تعالى لايُحِبُّ أن يُكدِّر عليهم مِنَنَه».

١٣ ـ أبو بكر الوراق

هو محمد بن عمر الحكيمُ. من تِرمذ، صحب أحمد بن خَضْرَوَيْه، ومحمد بن سَعْد بن ابراهيم، ومحمد بن عمر بن خُشْنَام البلخي.

له الكتب المشهورة في أنواع الرياضات والمعاملات والآداب.

حدث قائلاً: «الناس ثلاثة: العلماء والأمراء، والقراء. فإذا فسد الأمراء فسد المعاش؛ وإذا فسد العلماء فسدت الطاعاتُ؛ وإذا فسد القُرَّاء فسدت الأخلاق».

وقال: «شُكْر النعمة مشاهدة المِنَّة وحِفظُ الحُرْمة».

وقال: «للقلب ستَّة أشياء: حياةٌ وموتٌ، وصِحَّةٌ وسقم؛ ويَقَظة ونوم. فحياتُه الهُدَى، وموتُه الضَّلالةُ؛ وصِحَّته الطهارة والصَّفاء؛ وسُقمه الكدُورة والعلاقة؛ ويَقَظته الذِّكر، ونومه الغَفْلة.

ولكلٍّ واحدٍ منها علامةٌ:

علامة الحياة هي الرغبة والرَّهبة والعملُ بهما، والموتُ بخلاف ذلك.

والصحة القُوَّةُ واللَّذة، والسُّقم بخلاف ذلك.

واليقظة السَّمع والبَصَر، والنَّوم بخلاف ذلك».

حدث: «الاشتغال بالخَلْق، والتزيُّن لهم حِجابٌ عن المِنَّة، ومن لم يعرف المنة لم يعرف الخِذْلان».

وقال: «صاحِبُ العقلاءَ بالاقتداء، والزُّهادَ بحُسن المدارة، والحَمقى بجميل الصبر».

سأله محمد بن حامد عن شيء يقربه إلى الله تعالى، فقال: أما الذي يقربك إلى الله فَمَسْألَتَهُ؛ وأمَّا الذي يُقرِّبكَ إلى الناس فترَك مَسْألتِهم».

حدث: «من اكتفَى بالكلام، من العِلْم، دون الزُّهْد والفِقْه، تَزَنْدَق ومن اكتفى بالزُّهْد، دون الفِقْه والكلامِ، تَبَدَّع. ومن اكتفى بالفِقْه، دون الزُّهْد والكلامِ، تَفَسَّق. ومن تفَنَّنَ في هذه الأمور كلِّها تَخَلَّصَ».

وقال: «إني أخاف من فلان. فقال: لاتَخَفْ منه؛ فإنَّ قلبَ من تخافه بيد من ترجوه».

وقال: «راحة الدنيا تُؤَدِّي إلى عناء عقابها. وتعبُ الدُّنيا بالحَقِّ يُؤَدِّي إلى راحَةِ ثوابِها. وتاركُ الشهواتِ هو المُصيبُ للشَّهواتِ. والمصيبُ للشهواتِ هو التارك للشَّهوات، والسلام».

وقال: «الأدبُ للعارف كالتوبة للمُسْتأنِف».

وقال: «خضوع الفاسقين أفضلُ من صَوْلَةِ المطيعين».

وقال: «لو قيلَ للطَّمع: من أبوك؟ لقال: الشَّكُّ في المقدور. ولو قيل:

ماحِرفتُك؟ لقال: اكتسابُ الذُّل. ولو قيل: ماغايتُك؟ لقال: الحِرمَانُ».

وقال: «الناسُ كلُّهم في أحوالِ الدنيا أربعة: مَرْحوم، ومَخْدوع، ومُعاقَب، ومُكْره».

وقال: «من صَحَّت مَعرِفَته بالله ظهرتْ عليه الهيبةُ والخَشيةُ».

وقال: «عَوامُّ الخَلق هم الذين سَلِمت صدورهم، وحَسُنت أعمالُهم، وطهُرت ألسنتهم فإذا خلوا من هذا فهم الغَوْغاء لا العوام».

وقال: «إذا فَسَدت العامةُ، غَلبتْ الفُسَّاق على أهلِ الصلاح، وولاةُ الجَوْر على وُلاة العَدْل، والكُفَّارُ على المسلمين».

وقال: «الخاصَّةُ هم الذين فَقُهَت قلوبُهم، وحَسُنت أخلاقُهم؛ وكانوا أئمةً، يدعون الناس إلى الخير والعَمَلِ به؛ وسالَموا السلطانَ عَلَى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعلماء على صِدْق الخَبَر؛ والعامَّة على ظاهر الأمور. فإذا خَلوا من ذلك فهم المُفتَرون. وإذا فسدتِ الخاصَّة غلبتْ الكَذَبةُ على الصادقين، والكَهَنةُ على الموقنين، والمُوَسْوِسُون على المخلصين».

وقال: «أَصْلُ غَلَبة الهوى مُقَارفَة الشّهوات. فإذا غَلَبَ الهوى أظْلمَ القلْبُ، وإذا أظلَمَ القلبُ ضاق الصدرُ، وإذا ضاق الصدرُ ساء الخُلُق، وإذا ساء الخلق أبَغَضَه الخَلْق، وإذا أبغضه الخَلْقُ أبغضهم، وإذا أبغضهم جَفاهم، وإذا جفاهم صار شيطاناً».

وقال: «الحُكماء خَلَفُ الأنبياءِ، وليس بعد النُّبوَّةِ إلا الحِكْمة، وهي إِحكامُ الأمور. وأولُ علاماتِ الحِكمة طولُ الصَّمت، والكلامُ على قَدْر الحاجة».

وقال: «احذَرْ صُحْبة السلطان إبقاءً على نفسك، والملوكِ إبقاءً على عيشك، والأغنياء إبقاءً على مِلْكك، والسُّوقَة إبقاءً على خلُقك والنساءِ والصِّبيانِ إبقاءً على قلبِك، والفُساقِ والمبتدعين إبقاءً على دينك، والفقراء إبقاءً على مالِك،

والعلماءِ إبقاءً على إيمانِك وإسلامك، والأخوانِ في مخالفَتِهم إبقاءً على فَضْلك ومُرُوءَتك».

وقال: «للمؤمن أربع علاماتٍ: كلامُه ذِكْر، وصَمتُه تفكُّر، ونَظَرُه عِبْرَة، وعَمَلُه بِرٌّ».

وقال: «الخلافُ يُهيجُ العداوةَ، والعداوةُ تَسْتَنْزِلُ البلاءَ»

وقال: «العبدُ لايستحقُّ اليقين حتى يقطع كلَّ سَبَب بينه وبين العَرْش إلى الثرى، حتى يكونَ الله مرادَه لاغيره ويُؤْثِر الله على كل ما سواه».

وقال: «من عَشق نَفسه عَشِقه الكِبرُ والحَسَدُ، والذلُّ والمهانة».

وقال: «لاتصحب مَنْ يمدحك بخلافِ ما أنتَ عليه أو بغير مافيك. فإنه إذا غضب عليك ذَمَّك بما ليس فيك».

وقال: «ازهَدْ في حُب الرياسة، والعُلُوِّ في النَّاس، إن أحبَبْتَ أن تذوقَ شيئاً من سُبُل الزاهدين».

وقال: «اليقين نورٌ يستضيءُ به العبدُ في أحواله، فيُبَلِّغُهُ إلى درجات المتقين».

١٤ ـ أبو سعيد الخراز

هو أحمد بن عيسى. من أهل بغداد.

صحب ذا النُّون المِصريَّ، وأبا عبدالله النِّباجيَّ، وأبا عُبَيْدٍ البُسريَّ، وصحب سَرياً السَّقَطِيَّ، وبِشرَ بن الحارث، وهو من أئمة القوم وجلّة مشايخهم. قيل إنَّه أول من تكلَّم في علم الفناء والبقاء. توفي سنة تسع وسبعين ومائتين.

حدث فقال: «إن الله تعالى عَجَّلَ لأرواح أوليائه التلذُّذَ بذِكْره، والوصولَ إلى

قَرْبه؛ وعَجَّل لأبدانهم النِّعمَة بما نالوه من مصالحهم؛ وأجْزَلَ نصيبَهم من كلِّ كائن. فَعَيْشُ أبدانهم عَيْش الجنانِيِّين، وعيشُ أرواحهم عَيْش الرَّبَّانيِّين. لهم لسانان: لسانٌ في الباطن، يُعَرِّفهم صنعَ الصانع في المصنوع؛ ولسانٌ في الظاهر يعلِّمهم عِلْم المخلوقين؛ فلِسان الظاهر يكلِّم أجسامَهم ولسان الباطن يُناجي أرواحَهم».

وقال: «استبشار القلوب بِقُربِ الله تعالى، وسُرورُها به، وهُدوُّها في سُكُونها إليه، وأمْنُها معه من حيثُ الرَّوعات واعفاؤه لها من كلِّ ما دونه أن يُشير إليه، حتى يكون هو المُشير، لأنها ناعمةٌ به ولاتحملُ جفاءَ غيره».

وقال: «اكتبوا ماوقع لي في هذا النَّوم. إن الله تعالى جعل العلم دليلاً عنه ليُعْرَف، وجعل الحِكْمة رحمةً منه عليهم ليُؤلف. فالعلمُ دليلٌ إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تُنالُ المعلوماتُ، وبالمعرفة تنالُ المعروفاتُ. والعِلْم بالتعلم، والمعرفة بالتَّعرُّف. فالمعرفةُ تقع بتعريف الحَقِّ، والعِلْم يُدْرَكُ بتعريف الخَلْق، ثم تجري الفوائدُ بعد ذلك».

وقال: «مَثَل النَّفس مَثَلُ ماءٍ واقفٍ طاهرٍ صافٍ، فإنْ حركْته ظهر ماتحتَه من الحَمَأةِ؛ وكذلك النَّفسُ تظهر عند المحن والفاقَةِ والمخَالفة. ومن لم يعرف ما في نفسه، كيف يعرفُ رَبَّه؟!».

وقال: «واعجباً ممن لم ير مُحْسناً غير الله كيف لايميل بِكليَّته إليه!».

وقال: «كلُّ باطن يخالِفُ ظاهراً فهو باطل».

وقال: «إذا كانت العَين واحدةً فمن أيِّ حالٍ تَلَوَّنت عليك، فاجْرِ فيها؛ فإن التغيير من جِهتك، لأن عَيْن الحقِّ لاتتقلَّب».

وقال: «للعارفين خزائنُ أودعوها عُلوماً غريبةً، وأنباءَ عجيبةً؛ يتكلمون فيها بلسان الأبَدِيَّة، ويخبرون عنها بعبارة الأزَلِيَّة».

وقال: «لولا أن الله عز وجل أدخل موسى، عليه السلامُ، في كَنَفِهِ لأصابه مثلُ ماأصابَ الجَبَل».

وقال: «رأيتُ إبليسَ في النوم، وهو يَمُرُّ عنِّي ناحيةً. فقلت له: تعال! فقال: أَيْشُ أعملُ بكم! أنتم طرحتُم من نُفوسكم ماأُخادع به الناسَ. قلتُ: ماهو؟! قال: الدنيا! فلما ولَّى عنِّي، التفتَ إليَّ، وقال: غير أنَّ لي فيكم لطيفة! قلت: ماهي؟ قال: صُحْبةُ الأحداثِ. قال أبو سعيد: وقَلَّ من يتخلَّص من هذا من الصوفية».

حدث عن المحب فقال: «المحبُّ يتعلَّل إلى محبوبه بكلِّ شيء، ولا يتسلى عنه بشيء، ويتبَع آثاره، ولا يدع استِخْباره.» وأنشد:

أُسائِلُكـمُ عَنْهـا، فهَـلْ مـن مُخَبِّـر ... فمالي بِنُعْم، مُذْنأتْ دَارُها، عِلْمُ
فَلَـو كُنـتُ أدري أيـن خيَّـم أهلُهـا ... وأَيَّ بِـلادِ الله، إذ ظَعنُـوا، أَمُّـوا
إذاً لَسَلَكْنـا مَسْلَـك الريـحِ خَلْفَهـا ... ولَوْ أَصبَحتْ نُعمْ ومِنْ دونها النَّجْمُ

١٥ ـ علي بن سهل الأصبهاني

وهو عليُّ بنُ سَهْل بنِ الأَزْهَر؛ من قدماء مشايخ إصْهَان.

صَحِب محمَّد بنَ يوسف بن مَعْدان، ولَقِي أبا تُراب النَّخْشَبِيَّ.

حدث فقال: «المبادَرَة إلى الطاعات من علاماتِ التوفيق، والتقاعُد عن المخالفات من علامات حُسْن الرعاية، ومراعاةُ الأَسْرار من علاماتِ التَّيقظ، وإظهارُ الدَّعاوَى من رُعونات البشرية. ومن لم يُصَحِّح مبادىء إرادَتِه لا يَسْلَم في مُنْتَهى عواقبه».

وقال: «الغافلون يعيشون في حِلْم الله، والذاكرون يعيشون في رَحْمة الله،

والعارفون يعيشون في لُطْف الله، والصادقون يعيشون في قُرْب الله، والمحِبُّون يعيشون في الأُنْس بالله، والشوقِ إليه».

وقال: «الحضورُ أفضلُ من اليقين، لأنَّ الحضورَ وَطَنَاتٌ، واليقين خَطَرات».

وقال: «حرام على من عرف الله أن يَسْكُن إلى شيء غيره».

وقال: «من وَقْت آدم إلى قيام الساعة، الناسُ يقولون: القَلْبُ! القَلْبُ!. وأنا أحب أن أرى رَجُلاً يصف لي، أَيْشُ القلبُ، وكيف القلبُ، فلا أرى».

وقال: «الأُنْس بالله أن تَسْتَوْحِش من الخَلْق، إلا من أَهْل ولاية الله. فإن الأُنْس بأَهْل وِلاية الله هو الأُنْس بالله».

وقال: «لا يَغُرَّنَّك من الأحْمَق كَثْرة الالتفات وسُرْعةُ الجوابِ».

وقال: «العَقْل مع الرُّوح، يدعوان إلى الآخرةِ، ومخالفةِ الهوى والشهواتِ؛ فلذلك سُمِّي روحاً».

وقال: «المُسْتَهْتِر السالي بالله عن كلِّ شيء».

وقال: «من فَقُه قلبُه أورثَه ذلك الإعْراضَ عن الدُّنيا وأبْنائِها فإن من جهل القلب متابعة سرور لايدوم وأنشد: ليتني مت فاسترحت فإني كلما قلت قد قربت بعدت.

وقال: «الفقيهُ مَن لا يدخل تحت المنسوباتِ إليه».

وقال: «أعاذَنا الله وإياكُم من غُرور حُسْن الأعمال، مع فَسادِ بواطن الأسرار».

وقال: «التَّصَوُّف التبرى عمَّن دونه، والتَخلِّي عمن سواه».

وقال: «العقلُ والهوى متنازعان؛ فَمُعين العقل التوفيق، وقَرِين الهوى

الخِذْلان؛ والنفس واقِفَةٌ بينهما، فأيُّهما ظَفِر كانت في حَيِّزه».

وقال: «التمستُ الغنى فوجدتُه في العِلْم ؛ والتمستُ الفَخْر فوجدتُه في الفَقْر؛ والتمستُ العافية فوجدتُها في الزُّهد ؛ والتمستُ قِلّة الحساب فوجدتُها في الصَّمت؛ والتمستُ الراحةَ فوجدتُها في الأياس».

وقال: «رأيتُ الناسَ قد أَسَرَهم تعظيمُ نفوسِهم، وتحسينُ ألفاظهم؛ فلا يتفرَّغون منهما إلى مَنْ عظَّمهم بتخصيص الخِلْقة، وأنطق ألسِنَتَهم بتوحيده».

سُئِل مرة عن التوحيد، فقال: «قريبٌ من الظُّنون، بعيدٌ من الحقائق».

١٦ ـ أبو العباس بن مسروق الطوسي

هو أبو العبَّاس بنُ مَسْروقٍ، من أهل طُوس، سكن بغدادَ، وتوفيَ بها.

صحب الحارثَ بنَ أَسَد المحاسِبِيِّ، والسَّرِيَّ بنَ المُغَلّس السَّقَطِيِّ، ومحمد بن منصور الطوسي، ومحمد بن الحُسَين البُرْجُلانِيِّ.

تُوُفِّي ببغدادَ سنة تسعٍ وتسعين ومائتين.

سئل مرة عن التوكل فقال: «اعتمادُ القلب على الله».

و«اشتغالُك عَمَّا لك بما عليك، وخروجُكَ ممَّا عليك لمن ذلك له وإليه».

وسئل عن التصوفِ، فقال: «خُلُوُّ الأسرار مما عنه بُدّ، وتعلقُها بما ليس منه بدّ».

وسُئِل عن سماع الرُّباعيات، فقال: «إن قلوبَنا قلوبٌ لم تألف الطاعاتِ طبْعاً، وإنما أَلِفتْها تكلفاً؛ فأخشى إنْ أَبَحْنَا لها رُخْصَة، أن تتخطى إلى رخص. ولا أرى سماع الرُّباعِيَّات إلا لمستقيم الظاهر والباطن، قَوِيِّ الحال، تامِّ العِلْم».

وسئل في العقل، فقال: «من لم يَحتَرِز بعقله، من عقله، لعقله، هلك بعقله».

وسئل: «مَن الزَّاهد؟». فقال: «الذي لا يملكه مع الله سببٌ».

قيل به: «كثْرة النظر في الباطل تَذْهَب بمعرفة الحقِّ من القلب».

حدث فقال: «عِلم الحال أقربُ إلى اليقين من عِلم القِيام، وعلمُ القِيام أعلى وأشرفُ».

وقال: «مَن راقبَ الله تعالى في خَطَرات قلبِه، عَصَمَه الله في حركات جوارِحه».

وقال: «إن الله تعالى وَسَم الدنيا بالوَحْشة، لئلا يكون أُنْسُ المطيعين إلا بالله عزَّ وجلَّ».

وقال: «مَرَرْتُ مع الجُنَيْدِ، في بعض دُروب بغدادَ، فإذا مُغَنٍّ يغنِّي، ويقول:

منــازِلُ كُنــتَ تهــواهــا وتَــألَفُهــا أيــامَ أنْــتَ ـ علــى الأيّــام ـ مَنصــورُ

فبكى الْجُنَيدُ بكاءً شديداً؛ ثم قال لي: يا أبا العباس!. ما أطيبَ منازِل الألْفة والأنْس! وأوحش مقاماتِ المخالفاتِ!. لا أزال أَحِنُّ إلى بَدْء إرادتي، وحِدَّة سَعْيي، وركوبي الأهوال، طمعاً في الوصول. وها أنذا في أيام الفَتْرة أتلهَّف على أوقاتي الماضية».

وبه قال أبو العباس: «أنت في هَدْم عُمْرك منذ خرجت من بطن أمك».

وقال: «المؤمن يَقْوَى بذِكْر الله، والمنافق يقوى بالأكل».

وقال: «من تَحقَّقَ بالتَّقْوى هان عليه الإعراض عن الدُّنيا».

وقال: «تعظيمُ حُرُماتِ المؤمنين من تعظيم حُرُمات الله تعالى، وبه يصلُ العَبْد إلى مُجْمَل حقيقة التقوى».

وقال: «التقوى ألا تَمُدَّ عينَيك إلى زَهْرة الدنيا. ولاَ تَتَفَكَّر بِقَلْبك فيها».

وقال: «أكثر ما يَخاف منه العارفُ فَوْتُ الحق».

وقال: «شجرةُ المعرفة تُسقَى بماء الفِكْرة. وشجرةُ الغفلة تُسْقَى بماء الجهل. وشجرة التوبةِ تُسْقَى بماءِ الندامة. وشجرةَ المحبَّةِ تُسْقَى بماءِ الاتّفاقِ والمراقبةِ والإيثارِ».

وقال: «من يكُن سرورُه بغير الحقِّ فسروره يُورِث الهمومَ. ومن لم يكن أُنسه في خدمة ربّه فهو من أُنسِه في وَحْشَة».

وقال: «متى ما طَمِعْتَ في المعرفة، ولم تُحْكِم قبلها مَدارِجَ الإرادة، فأنت في جَهْل. ومتى ما طَلَبْتَ الإرادةَ قبل تصحيح مقامِ التوبةِ، فأنت في غفلة مما تطلبه».

١٧ ـ أبو عبدالله المغربي

هو أبو عبدالله المَغْرِبِيُّ، صَحِب عَلِيَّ بنَ رُزَيْن. وعاش مائة وعشرين سنة، توفي على جبل طُورِ سَيْناء.

قال: «الأبدالُ بالشام، والنُّجَباءُ باليمن، والأخيار بالعراق».

وقال: «الفقيرُ المجرَّدُ من الدنيا ـ وإن لم يَعْمَلْ شيئاً من أعمال الفضائل ـ ذَرَّةٌ منه أفضلُ من هؤلاء المتعبدين المجتهدين، ومعهم الدنيا».

وقال: «ما رأيتُ أنْصَفَ من الدنيا!. إن خَدَمْتها خَدمتْك، وإن تركتَها تركتْك».

وقال: «أفضلُ الأعمال عِمَارةُ الأوقات بالموافقات».

وقال: «أعظم الناس ذُلّاً فقيرٌ داهَن غَنِياً، وتواضع له. وأعظمُ الناس عِزّا غَنِيٌّ تذلَّل لفقيرٍ، وحَفِظ حُرْمته».

وقال: «أهلُ الخُصوص ـ مع الله تعالى ـ على ثلاث منازِل:

قومٌ يَضِنُّ بهم عن البلاء، لئلا يَستغرِق الجزَعُ صبرَهم؛ فيكرهون حكمه، أو يكون في صدورهم حرج من قضائه.

وقوم يَضِنُّ بهم عن مُساكَنَة أهل المعاصي، لئلا تَغْتَم قلوبُهم، فمن أَجْل ذلك سَلِمت صدُورُهم للعالم.

وقومٌ صَبَّ عليهم البلاء صبّاً، وصبَّرهم وارتضاهم، فما ازدادوا بذلك إلا حُبّاً له، ورِضاً لحكمه.

وله عِبادٌ، منحهم نِعماً تَجَدَّدُ عليهم، وأَسْبَغ عليهم باطنَ العِلْمِ وظاهرَه، وأَخْمَل ذِكْرهم».

وقال: «من ادَّعى العُبودية، وله مُرادٌ باقٍ فيه، فهو كاذب في دعواه. إنما تَصِحُّ العبوديَّةُ لمن أَفْنى مُراداتِه، وقام بمُراد سيِّده. يكون اسمُه ما سُمِّي به، ونَعتُه ما حُلِّي به. إذا سُمِّي باسمٍ أجاب عن العُبوديَّة؛ فلا اسمَ له ولا وَسْم. لا يُجيب إلا لمن يدعوه بعُبودية سيِّده».

وقال: «الفقراءُ الراضون هم أُمَناء الله في أرضه، وحُجَّته على عباده. بهم يَنْدفع البلاءُ عن الخلق».

وقال: «الفقير الذي لا يَرجِع إلى مُسْتَنَدٍ في الكَوْن، غير الالتجاء إلى من إليه فقره، ليُغنيه بالاستغناء به، كما عَزَّزَه بالافتقار إليه».

وقال: «ما فَطِنَتْ إلاَّ هذه الطائفةُ، واحْترقتْ بما فَطِنَتْ».

١٨ ـ أبو علي الجوزجاني

هو أبو علي الجُوزْجَانِيُّ، الحَسنُ بن علي. من كبار مشايخ خُراسان. تكلَّم في علوم الآفاتِ والرِّياضاتِ والمجاهداتِ. وعلوم المعارف والحِكم.

صَحِب محمد بنَ علي التِّرْمِذِيِّ، ومحمد بنَ الفَضْل، وهو قريب السِّن منهم.

قال رحمه الله: «ثلاثةُ أشياء من عَقْد التوحيد: الخوف، والرجاء، والمحبَّة. فزيادةُ الخوف من كَثْرة الذنوب لرؤية الوعيد. وزيادةُ الرجاءِ من اكتساب الخير لرؤية الوَعْد، وزيادةُ المحبَّة من كثرة الذكر لرؤية المِنَّة. فالخائفُ لا يستريح من الهَرَب، والراجي لا يستريح من الطلَب، والمحبُّ لا يستريح من ذِكْر المحبوب.

فالخوف نار مُنَوِّرة، والرجاء نور منوِّر، والمحبَّة نور الأنوار».

وقال في البخل: «هو ثلاثة أحرف: الباء، وهو البلاء، والخاء، وهو الخسران، واللام وهو اللوم.

فالبخيل بلاء في نفسه، وخاسر في سعيه، وملوم في بُخْلِه».

وقال: «السَّابقون هم المقرَّبون بالعطِيَّات، والمرتفعون في المقامات. وهم العلماء بالله من بين البَرِيَّة. عَرفوا الله حق معرفته، وعبدوه بأخلاص العبادة، وآووا إليه بالشوق والمحبة. وهم الذين قال الله عز وجل [فيهم]: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾. [ص: ٤٧]

وقال: «من علامات السعادة على العبد تيسيرُ الطاعة عليه، وموافقته للسُّنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن خُلُقه مع الأخوان، وبَذْل مَعْروفه للخَلْق، واهتمامُه للمسلمين، ومراعاتُه لأوقاته».

وقال: «الشَّقي مَن أظهر ما كتم الله عليه من معاصيه».

وسئل: «كيف الطريقُ إلى الله؟». فقال: «الطرق إليه كثيرة؛ وأَصَحُّ الطرقِ وأَعمرُها، وأبعدُها عن الشُّبَه، اتباعُ السنة قولاً وفِعلاً، وعزماً وعقداً ونية. لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾. [النور: ٥٤] فسأله السائل: كيف الطريق إلى اتباع السنة؟. فقال: مُجانَبَةُ البِدَع، واتباعُ ما اجتمع عليه الصَّدرُ الأوّلُ من علماء الإسلام، والتباعُدُ عن مجالس الكلامِ وأهله، ولزومُ طريق الاقتداء والاتِّباع؛ بذلك أُمر النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله عز وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ ابْرَهِيمَ حَنِيفاً﴾. [النحل: ١٢٣]

وقال: «رَحِم الله أبا يزيدَ البسطامي! له حالُه، وما نَطَق به. ولعلَّه تكلَّم بها على حَدِّ الغَلَبة، أو حال سُكْر. كلامُه له، ولمن تكلَّم عليه، وليس لمن يَحكِي عنه.

فالزم أنت، أولاً: مجاهدةَ أبي يزيدَ، وتَقَطُّعَه ومُعامِلاتِه، ولا تَرْتَق إلى المقام الذي بُلِغ به، بعد تلك المجاهداتِ. فإن بُلِغ بك إلى شيء من ذلك، فاحْكِ إذ ذاك كلامَه. فليس بعاقلٍ من ضَيَّع الأدنى من المقاماتِ، وادَّعى الأعلى منها».

وقال: «الخَلْق كلهم في ميادين الغَفْلة يَرْكُضون، وعلى الظُّنون يعتمدون، وعندهم أنهم في الحقيقة يتقلَّبون، وعن المكاشَفَة ينْطِقون».

توفي رحمه الله في يوم كذا عام كذا محله كذا

١٩ ـ محمد وأحمد ابنا أبي الورد

هما: محمد وأحمدُ ابنا أبي الوَرْد. وهما من كبار مشايخ العِراقِيِّين وجِلَّتهم. وكانا من جُلَساء الجُنَيْد وأقرانِه.

صحبا سَرِيّاً السَّقَطِيَّ، وأبا الفَتْح الحَمَّال، وحارثاً المُحاسِبِيَّ، وبِشْراً الحافيَ.

وطريقتُهما في الوَرَعِ قريبةٌ من طريقة بِشْر.

وبإسناد محمد عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (يَاعَلِيُّ!. كُل النَّوْمَ نِيّاً، فَلَوْلاَ أَنَّ الْمَلَكَ يَأْتِينِي لأَكَلْتُه).

وقال: «في ارتفاع الغَفْلة ارتفاعُ العبوديَّة. ثم الغَفْلة غَفْلتان: غفلةُ رحمةٍ، وغفلةُ نِقْمة. فأما التي هي رَحْمة، فلو كُشِف الغِطاء، وشَهِد القومُ العظَمة، ما انقطعوا عن العُبوديَّة، ومُراعاة السّر. وأما الَّتِي هي نِقْمة فهي الغَفْلة التي تَشْغَلُ العَبْدَ عن طاعةِ الله بمَعْصيته».

قال أحمد بن أبي الورد: «بَسَط بِساط المجد للأولياء، ليأنسوا به، وليرفَع عنهم حِشْمة بَديهة المشاهدة؛ وبِساطَ الهَيْبة بسطَ للأعداء، ليستوحِشوا من قبائح أفعالهم، فلا يشاهدوا ما يَسْتَروِحون منه إليه في المشهد الأعلى».

وقال: «وصل القوم بخمس: بلُزوم الباب، وتَرْك الخِلاف، والنَّفَاذِ في الخِدْمة، والصبر على المصائب، وصِيانَةِ الكرامات».

وسُئِل محمد: «مَن الوَلِيُّ؟». فقال: «من يُوالِي أولياءَ الله ويُعادي أعداءَه».

وقال: «من كانت نَفْسه لا تُحبُّ الدُّنيا فأهل الأرض يُحِبُّونه. ومن كان قلبُه لا يُحِبُّ الدنيا فأهل السماء يحبونه».

وقال أحمد: «إذا زاد الله في الوَلِيِّ ثلاثة أشياء زاد منه ثلاثة أشياء:

إذا زاد جاهُه زاد تواضُعه؛ وإذا زاد مالُه زاد سخاؤه؛ وإذا زاد عُمْره زاد اجتهاده».

وسُئِل محمد: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً) [فاطر:٨] فقال: مَنْ ظَنَّ في إِساءَتِه أنه مُحْسن.

وقال أحمد: «العالم كلُّه في حاشيةٍ من حواشي المُلْك، والمُلْك في ناحية».

وقال محمد: «طَرْح الدنيا إلى من أَقْبل عليها، والأعراضُ عنها، وعمَّن أقبل عليها، من عَمَل الأكياس».

وقال: «من آداب الفقير في فَقْره تركُ الملاَمَةِ، والتعبير لمن ابتُلِي بِطَلب الدُّنيا، والرحمةُ والشفقةُ عليه، والدُّعاءُ له، ليُرِيحَه الله من تَعَبِه فيها».

٢٠ ـ أبو عبدالله السجزي

هو أبو عبدالله السَّجَزِيُّ، من كبار مشايخ خُراسان.

قال: «مَن لم يُقدِّس علمَه لم يُقدِّس فِعله، ومن لم يُقدِّس فِعْلَه لم يُقدِّس بدنه، ومن لم يُقدِّس بدنه لم يقدس قلبَه، ومن لم يُقدِّس قلبه لم يقدس نِيَّته. والأمورُ كلها مبنيةٌ على النية».

وقال: «العِبْرة أن تجعل كلَّ حاضر غائباً، والفِكْرة أن تجعل كلَّ غائب حاضراً».

قال له رجل: «معي دينارٌ، أريد أن أَدْفَعه إليك، فما ترى؟. قال: إن دفعته إليَّ فهو خيرٌ لك، وإن لم تدفعه إليَّ فهو خيرٌ لي وأنت أبصرُ».

وقال: «علامةُ الأولياء ثلاثةٌ: تواضعٌ عن رِفْعة، وزُهْدٌ عن قُدْرة، وإنصافٌ عن قُوَّة».

وقال: «كلُّ واعظٍ لا يقومُ الغَنِيُّ من مجلسه فقيراً، والفقيرُ من مجلسه غنياً، فليس هو بواعظ».

وقال: «بئس العبدُ عبد عصى الله بقلبه وجوارحه، واعْتَذَر إليه بلسانه من غير رُجوعٍ عمَّا سلف».

وقال: «أنفع شيءٍ للمريدين صحبةُ الصالحين؛ والاقتداءُ بهم، في أفعالهم،

وأخلاقهم، وشمائلهم؛ وزيارةُ قبور الأولياء؛ والقيامُ بخدمة الأصحاب والرُّفقاء».

وقال: «لا تُعَيِّر أحداً بذنب، حتى تتيقَّن أن ذنوبَك مغفورةٌ».

وقيل له: «لم لا تلبَسُ المُرَقَّعة؟». فقال: «من النِّفاق أن تلبَس لباس الفِتْيان، ولا تدخلَ في حَمْل أثقال الفُتُوَّة. إنَّما يلبَسُ لِباسَ الفِتْيان من يَصبرُ على حَمْل أثقالِ الفُتُوَّة]. فقيل له: ما الفُتُوَّة؟. فقال: رُؤْيةُ أعذار الخَلْق وتقصيرك، وتمامِهم ونُقْصانِك، والشفقَةُ على الخَلْق كلهم، بَرِّهم وفاجرهم. وكمالُ الفُتُوَّة هو ألاَّ يشغلَك الخلقُ عن الله عزَّ وجلَّ».

الطبقة الثالثة

من أئمة الصوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

١ ـ أبو محمد الجريري

هو أحمدُ بنُ محمَّد بن الحُسَين، أبو محمد الجريري، وكان من كبار أصحاب الجُنَيْد. وصحب أيضاً سهل بن عبدالله التُّسْتَرِيّ.

توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

بسنده: عن ابن عُمَر، قال: قال رسولُ الله، صلَّى الله عليه وسلَّم: (إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أُولاَهُنَّ، أَوْ أُخْرَاهُنَّ، بِالتُّرَابِ).

قال: «التَّسرُّعُ إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة؛ والوقوفُ على حدِّ الانحسار نجاةٌ؛ واللِّياذ بالمَهْرب من علم الدُّنُوِّ وُصْلَة؛ واستفتاح فَقْد تَرْكِ الجوابِ ذخيرةٌ؛ والاعتصامُ من قبول دواعي استماع الخطابِ تَلطُّف؛ وخوفُ فَوْتِ علم ما انطوى من فصاحةِ الفَهْم في حينِ الإقبالِ مَساءة؛ والإصغاءُ إلى تَلَقِّي ما يفضُل من مَعْدنه بُعْد؛ والاستسلامُ عند التلاقي جُرْأَةٌ؛ والانبساطُ في محلِّ الأُنْس غِرَّةٌ».

وقال: «رأيتُ في النَّوم، كأنِ قائلاً يقول لي: لكلِّ شيءٍ عند الله حقٌّ، وإن أعظم الحقوق عند الله حقُّ الحِكْمة. فمن جعل الحِكْمة في غير أهلها، طالبه الله بحقِّها، ومن طالبه بحقها خُصِم».

وسُئِل عن القَرَّاء، فقال: «هو الذي طَلَبَ الآخرةَ، وسعى لها سَعْيَها؛ وأعرض عن الدُّنيا والاشتغالِ بها».

وقيل لأبي محمَّد الجَرِيريِّ: «متى يسقُطُ عن العبد ثِقَلُ المعاملة؟». فقال: «هيهات!. ما بُدٌّ منها، ولكن يقع الحَمْل فيها».

وقال: «أَدَلُّ الأشياءِ على الله تعالى ثلاثةٌ: مُلكُه الظاهرُ؛ ثم تَدْبيرُه في مُلكِه؛

ثم كلامُه الذي يستوفِي كلَّ شيء».

وقال: «مَن استَوَلتْ عليه النفسُ صار أسيراً في حُكْمِ الشهواتِ، محصوراً في سِجْنِ الهوى؛ وَحَرَّم الله على قلبه الفوائدَ، فلا يستلِذُّ كلامه، ولا يَسْتَحْليه وإن كَثُر تَرْدَادُه على لسانه؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[الأعراف:٨]؛ أي: حتى لا يَفْهمونه، ولا يجدون له لَذَّةً؛ لأنهم تكبَّروا بأحوال النَّفْس والخَلْق والدُّنيا، فَصَرَفَ الله عن قلوبهم فَهْمَ مخاطباتِه، وأَغْلَقَ عليهم سبيلَ فَهْم كتابه، وسَلَبَهُمْ الانتفاعَ بالمواعظ، وحَبَسهم في عقولهم وآرائهم؛ فلا يعرفون طريق الحقِّ، ولا يسلكون سبيله».

وقال: «قِوَامُ الأديان، ودَوَام الأيمان، وصلاحُ الأبدان، في خلالٍ ثلاث: الاكتفاءُ، والاتِّقاءُ، والاحتماءُ.

فمن اكتفى بالله صَلُحت سريرته، ومن اتَّقَى ما نهى عنه استقامَت سيرتُه، ومن احتمى مالم يُوافِقْه ارتاضتْ طبيعتُه. فثمرةُ الاكتفاءِ صَفْو المعرفة، وعاقبةُ الاتِّقاء حُسْن الخليقة، وغايةُ الاحتماءِ اعتدالُ الطبيعة».

وقال: «غايةُ هِمَّة العَوَامِّ السُّؤالُ، وبلوغ دَرَجَةِ الأوساطِ الدُّعاء، وهِمَّة العارفين الذِّكْرُ».

وقال: «من تَوَهَّم أن عملاً من أعماله، يُوَصِّلُه إلى مأموله الأَعْلَى والأدنى، فقد ضلَّ/ عن طريقه؛ لأنَّ النبيَّ، صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: (لَنْ يُنَجِيَ أَحَداً مِنْكُم عَمَلَهُ). فما لا يُنْجِي من المَخُوف، كيف يُبْلِغ إلى المأمول؟!. ومن صَحَّ اعتمادُه على فضلِ الله فذلك الذي يُرْجى له الوصول».

وقال: «ذِكْرُك مَنوطٌ بك، إلى أنْ يتَّصِلَ ذِكْرُك بِذكْرِه، إذ ذاك يُرْفَع، ويَخلُص من العِلَل؛ فما قارَن حَدَثٌ قِدَماً إلَّا تلاشى، وبقي الأصل، وذهبت الفروع كأن لم تكن».

وقال: «رُؤْيَةُ الأصول باستعمال الفُروع. وتصحيح الفروع بمُعارضةِ الأصول. ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظَّمَ الله من الوَسائِط والفروع».

وقال: «الرَّجاءُ طريق الزُّهاد، والخَوْفُ سُلُوك الأبطال».

قال رجل لأبي محمَّد الجَرِيرِيِّ: «كنتُ على بساط الأُنس، وفُتح لي طريق إلى البَسْط؛ فزَلَلت زَلة، فَحُجِبتُ عن مقامي، فكيف السبيل إليه؟. دُلَّني على الوصول إلى ما كنتُ عليه. فبكى أبو محمد. وقال: يا أخي! الكُلُّ في قَهْر هذه الخُطّة.

٢ ـ أبو العباس بن عطاء الأدمي

هو أحمدُ بنُ محمد بنِ سَهْلِ بن عطاء، أبو العباس الأَدَمي من ظِرافِ مشايخ الصُّوفيَّةِ وعُلمائِهم. له لسانٌ في فَهْمِ القرآن، يختصُّ به.

صحب إبراهيمَ المارِسْتاني، والجنيدَ بنَ محمَّدٍ، وكان أبو سعيدٍ الخرَّازُ يعظِّمُ شأنه.

يقول: «التصوف خُلُق وليس إِنَابة، وما رأيتُ من أهلِهِ إلا الجنيدَ وابنَ عطاء».

توفي سنة تسعٍ وثلاثمائة، أو إحدى عشرة وثلاثمائة.

وبسنده: عن أبي وَاقِدٍ اللَّيْثي، قال: (قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، والنَّاسُ يَجُبُّونَ أَسْنِمَةَ الإِبِلِ، وَيَقْطَعُونَ إِلْيَاتِ الْغَنَمِ؛ فقال صلى الله عليه وسلم: مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ ـ وَهِيَ حَيَّةٌ ـ فَهُوَ مَيْتَةٌ).

وقال: سُئِل ابنُ عطاء: «ماالمروءة؟». فقال: «ألاَّ تستكثر لله عملاً».

وقال: «في البَيْتِ مَقامُ إبراهيمَ، وفي القَلْب آثارُ الله تعالى؛ ولِلْبَيْتِ أركانٌ، ولِلْقَلْب أركانٌ؛ وأركانُ البيتِ من الصَّخْر، وأركانُ القَلْبِ معادنُ أنوارِ المعْرِفة».

وقال: «خلق الله الأنبياءَ للمُشاهَدَةِ، لقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧]. وخَلَق الأوْلياء للمُجاورَةِ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (عَزَّ جَارُكَ)؛ وخَلَق الصالحين للمُلازمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى﴾[الفتح: ٢٦] وخَلَق العَوَامَّ للمُجَاهَدَة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾[العنكبوت: ٦٩].

وقال: «من أَلْزَمَ نفسَه آدابَ السُّنَّة نوَّر الله قلبَه بنور المعرفة؛ ولا مَقامَ أَشْرف من مَقامِ مُتَابَعةِ الحبيبِ، صلى الله عليه وسلم، في أوامِرِهِ وأفعالِه وأخلاقه، والتأدُّبِ بآدابِه قولاً وفعلاً، وعَزْماً وعَقْداً ونِيَّةً».

وقال: «العِلْمُ الأكْبَرُ الهَيْبَةُ والحياءُ؛ فمن عُرِّيَ منهما عُرِّيَ عن الخيرات».

وقال: «ثلاثةٌ مقرونةٌ بثلاثةٍ: الفِتْنَةُ مقرونةٌ بالمَنِية، والمحبَّةُ مقرونةٌ بالاختيارِ، والبَلْوى مقرونةٌ بالدعْوَى».

وسُئِلَ: «إلى ما تَسْكُنُ قلوبُ العارفين؟». فقال: إلى قوله تعالى: ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لأن في (بِسْمِ الله) هَيْبَتَه، وفي اسمِه (الرَّحْمَن) عونَه ونُصْرَتَه، وفي اسمه (الرَّحِيمِ) مَحَبَّتَه ومَوَدَّتَه». ثم قال: «سبحان من فَرّق بين هذه المعاني، في لَطَافتها، في هذه الأسامي في غوامِضِها».

وقال: «مَنْ عَاملَ الله تعالى على رُؤْيَةِ ما سبقَ مِنْهُ إليهِ، لم يكنْ بعجيبٍ أن يَمْشِيَ على الماءِ، أو في الهواء. وكلُّ أَمْرِ الله عَجَبٌ، وليس شيءٌ مِنهُ بِعَجَبٍ».

وقال: «الإنْصَافُ فيما بين الله وبين العبد في ثلاثةٍ: في الاستعانةِ، والجُهْد، والأدَب.

فمن العبد الاستعانةُ، ومن الله القُرْبة.

ومن العبد الجُهْدُ، ومن الله التوفيقُ.

ومن العبد الأدبُ، ومن الله الكرامةُ».

وقال: «من تأدَّب بآداب الصالحين فإنه يصلحُ لبساط الكرامة؛ ومن تأدَّب بآداب الأولياء فإنه يصلحُ لبساط القُرْبة؛ ومن تأدَّب بآداب الصدِّيقين فإنه يصلحُ لبساط المشاهدة؛ ومن تأدبَ بآداب الأنبياء فإنه يصلحُ لبساط الأُنْس والانبساط».

وقال: «لما عَصَى آدمُ بكى عليهِ كلُّ شيءٍ في الجنَّة، إلا الذهبَ والفضةَ؛ فأوحى الله تعالى إليهما: لِمَ لَمْ تبكيا على آدم؟. فقالا: ما كُنَّا نبكي على من يَعْصِيك. فقال عزَّ وجلَّ: وعِزَّتي وجلالي! لأجعلنَّ قيمةَ كلِّ شيءٍ بكما، ولأجعلنَّ ابن آدم خادماً لكما».

وقال: «إن الشفَقَةَ لم تَزَل بالمؤمن حتى أَوْفَدته على خير أحواله، وإن الغَفْلة لم تَزَل بالفاجر حتى أَوْفَدته على شرِّ أحواله».

وقال: «أعظمُ الغَفْلة غفلةُ العبد عن ربِّه، وغَفْلتُه عن أوامره، وغَفْلتُه عن آداب مُعامَلَتِه».

وقال: «أصحُّ العقولِ عقلٌ وافق التَّوفيقَ. وشرُّ الطاعاتِ طاعةٌ أَوْرَثَتْ عُجْباً، وخير الذُّنوب ذنبٌ أَعْقبَ توبةً وندماً».

وقال: «السكونُ إلى مَألوفاتِ الطبائع يقطعُ بصاحبها عن بلوغ درجاتِ الحقائق».

وقال: «من وَحْشَة القلوب عن مَصادِر الحق أُنسُها بالأجناس، ومن أَنِس قلبُه بالله استوحش مما سواه».

وقال: «أَذِن قلبَك من مُجالسة الذاكرين، لعلَّه يَنْتَبِه عن غفلته. وأَقِمْ شخصَك في خدمةِ الصالحين لعلّه يتعوَّد ـ ببركتها ـ طاعةَ ربِّ العالمين».

وقال: «السُّكونُ إلى الأسباب اغترارٌ، والوقوفُ مع الأحوال يقطع بك عن مُحَوِّلها».

٣ ـ محفوظ بن محمود النيسابوري

هو محفوظُ بنُ محمود، من أصحاب أبي حَفْص النَّيسابُورِيّ. وهو من قدماء مشايخ نَيسابُور وجِلَّتهم؛ وكان ـ بعد موت أبي حفص ـ يَصْحَب أبا عثمان، ويلازِمُه طول عُمْره، وكان من أَوْرَع المشايخ ، وأَلْزَمِهم لطريقتهم. وكان قد صَحِب أيضاً حَمْدوناً القَصَّارَ، وسَلْماً البارُوسِيَّ، وعليّاً النَّصْراباذِيّ، وغيرَهم من المشايخ.

توفي سنة ثلاثٍ ـ أو أربع ـ وثلاثمائة بنَيْسابور. ودُفِن بجنب أبي حفص.

قال: «التوكلُ أن تأكلَ بلا طَمَع ولا شَرَه».

وقال: «التائِبُ الذي يتوب مِن غَفَلاتِه وطاعاته».

وقال: «لا تَزِن الخلقَ بميزانِك، وزِنْ نفسَك بميزان المؤمنين، لِتَعْلَمَ فضلَهم وإفلاسَك».

وقال: «من ظَنَّ بمسلمٍ فِتْنةً فهو المفتونُ».

وقال: «أكثرُ الناسِ خيراً أسلمُهم صدراً للمسلمين».

وسئل محفوظ عن دعاء النبي، صلى الله عليه وسلَّم: (أَعوذُ بِكَ مِنْكَ). فقال: «سمعتُ أبا صالح حمدوناً، يقول: لا يجوز هذا الدُّعاء إلا للنَّبيِّ، صلى الله عليه وسلَّم، أو من دعا به مُتَّبِعاً له».

وقال: «من أبصر محاسنَ نفسِه ابتُلِيَ بمساوىء النَّاس. ومن رأى عَيْب نفسه سَلِم من رُؤْيةِ مساوىء النَّاس».

وقال: «صَحِّحْ عملَك بالإخلاص، وصَحِّح إخلاصَك بالتَّبَرِّي من الحَوْل والقُوَّة».

وقال: «من أراد أن يُبصِر طريق رُشْدِه فليتَّهِم نفسَه في الموافَقاتِ فضلاً عن المخالفات».

٤ ـ طاهر المقدسي

طاهرُ المَقْدِسِيُّ. وهو من جِلّة مشايخ الشَّام وقُدَمائِهم. رأى ذا النُّون المِصْرِيَّ، وصَحِب يحيى الجلاّء، وكان عالماً. وهو الذي يسميه الشِّبْلِيُّ: «حَبرْ أهلِ الشَّام».

وسُئِلَ: «لم سُمِّيتْ الصوفيَّةُ بهذا الاسم؟». فقال: «لاستِتارِها عن الخَلْق بلوائح الوَجْد، وانكِشافِها بِشَمائِل القَصْد».

وقال: «حَدُّ المعرفةِ التجرُّدُ من النفوس وتدبيرها، فيما يَجِلُّ أو يَصْغرُ».

وقال: «لا يَطِيبُ العَيْشُ إلا لمن وَطِيء بساط الأُنس، وعلا على سرير القُدْس؛ وغَيَّبه الأنس بالقدس، والقُدْس بالأُنس؛ ثم غاب عن مشاهدتهما بمطالعة القُدُّوس».

وقال طاهر: «المفاوِزُ عنه مُنْقَطِعة، والطرُق إليه مُنْطَمِسة. تَوَقَّ من عُلاَلاَته، واحْذَرْ أماكنَ الاتِّصال فإنها خُدَع، وقِفْ حيث وقَفَ العوامُّ تَسْلَمْ». وأنشد:

وكذَّبتُ طَرْفي فيكَ والطَّرْفُ صادقٌ ... وأسمعتُ أُذْني منكَ ما لَيْس تَسْمَعُ
ولَمْ أَسْكُنِ الأرضَ التي تَسْكُنونَها ... لِكَيلاَ يقولُوا إِنَّني بكَ مُولَعُ
فَلا كَبدي تَهْدَى، ولا لَكَ رَحْمَةٌ ... ولا عَنْك إقصارٌ، ولا فيكَ مَطْمَعُ

٥ ـ أبو عمرو الدمشقي

أبو عَمْرٍو الدِّمَشْقِيُّ، وهو من أجل مشايخ الشَّام، بل واحدها، عالمٌ بعلوم الحقائق.

صَحِب أبا عبدالله بن الجلاَّء، وأصحابَ ذي النُّون المِصْرِيِّ. وهو من أَفْتَى المشايخ. ردَّ على من تكلَّم في قِدَم الأرواح والشَّواهِد.

توفي سنة عشرين وثلاثمائة.

من أقواله: «كما فرض الله على الأنبياءِ إظهارَ الآياتِ والمعجزاتِ ليؤمنوا بها، كذلك فرض على الأولياء كِتْمانَ الكراماتِ، حتى لا يَفْتَتِنَ الخَلْق بها».

وقال: «خواصُّ خِصال العارفين أربعةُ أشياء:

السياسيةُ، والرياضةُ، والحراسةُ، والرعايةُ. فالسِّياسة، والرياضة ظاهران؛ والحراسة، والرِّعايةُ باطنان. فبالسياسة يَصِلُ العبد إلى التَّطهير، وبالرياضةُ يصلُ إلى التحقيق. والسياسة حِفْظُ النَّفس ومعرفتها، والرياضةُ مخالفةُ النفس [ومعاداتُها]، والحراسةُ معاينةُ بِرِّ الله في الضمائر، والرعايةُ مراعاةُ حقوقِ المَوْلَى بالسرائر. وميراثُ السياسة القيامُ على وفاءِ العبودية، وميراثُ الرياضة الرِّضا عند الحُكْم، وميراثُ الحِراسةِ الصفْوَةُ والمشاهدةُ، وميراثُ الرِّعايةِ المحبَّةُ والهيْبَةُ ثم الوفاءُ متَّصل بالصفاء، والرضا متَّصل بالمحبَّة، عَلِمَه مَنْ عَلِمَه، وجَهِله مَنْ جَهِلَه».

وقال: «التصوف رُؤْية الكَوْن بعين النقص، بل غَضُّ الطَّرْف عن كل ناقصٍ ليشاهد مَن هو مُنَزَّه عن كل نَقْص».

وسُئِل عن حديث النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: (صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ). فقال: «أشار إلى استِواء الحالِ؛ أي لا تَرْجِعوا عن الحَقِّ بأفطار، ولا

تَقْبلوا عليه بِصَوْمٍ؛ لِيَكُنْ صومُكم كإفْطارِكم، وإفطارُكم كصومِكم، عند دوام حُضُورِكم».

وقال: «مقامُ الخَطَرات بعيد من مقام الوَطَنات؛ لأنَّ الخواطرَ تلْمع ثم تختفي، والوطناتُ تبدو وتَثْبُت ثم تَتَحَقَّق. والدَّعاوَى تتولَّد من الخواطر، فإن المدَّعي يَظُن أن مالاح ثَبَت، ولا دَعْوَى لصاحب الوَطَناتِ مجال».

وقال: «حقيقة الخَوفِ ألا تخاف مع الله أحداً».

وقال: «علامة قساوةِ القَلْبِ أن يَكِل الله العبدَ إلى تدبيره فَيَأْلَفَهُ، ولا يسألَه حُسْنَ الكِلاءَة والرِّعاية؛ والنبي صلى الله عليه وسلَّم، يقول: (اكْلأني كِلاَءَةَ الطِّفْلِ الوَليدِ).

وقال: «استحسانُ الكَوْن ـ على العموم ـ دَليلٌ على صِحَّة المحبة؛ واستحسانُه ـ على الخصوص ـ يُؤَدِّي إلى فِتَن وظُلُمات».

وقال: «الأشخاصُ بظُلَمِها كامنةٌ، والأرواح بأنوارها مُشْرِقة؛ فمن طالع الأشخاصَ بظُلَمها أَظْلَم عليه وقتُه، ومن شاهَد الأرواحَ بأنوارِها دلّته على مُنَوِّرِها».

وأخيراً قال أبو عَمْرو الدِّمَشْقِيُّ: «إذا صَفَتْ الأرواحُ أثّر على الهياكِل أنوارُ الموافَقاتِ».

٦ ـ أبو بكر بن حامد الترمذي

هو محمَّد بنُ حامد بن محمَّد بن إسماعيلَ بن خالدٍ، وكُنْيَتُه أبو بكرٍ. وهو من أعيان مشايخ خُراسانَ، وأطْهَرِهِمْ خُلقاً، وأحسنِهم سياسةً.

لَقِيَ المشايخ بِبَلْخ، مثل: أحمدَ بنَ خَضْرَوَيْه.

وبسنده: عن ابن عُمَر، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ خَافَ الله أَخَافَ الله مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ؛ وَمَنْ لَمْ يَخَفِ الله أَخَافَهُ الله مِنْ كُلِّ شَيْءٍ).

وبسنده أيضاً: عن ابن عبَّاس، قال: قال رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم: (طَلَبُ الْحَلَالِ جِهَادٌ. وَإِنَّ الله يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ).

وقال: «الفِكْرة على خمسة أوجه:

فِكْرةٌ في آياتِ الله وعلاماتِهِ، يتولَّد منها المعرفةُ.

وفِكْرة في آلاء الله ونعْمائِه، يتولَّد منها المحبَّةُ.

وفِكْرة في وَعْد الله وثوابه، يتولَّد منها الرَّغبةُ في الطاعةِ والموافقةِ.
وفِكْرة في وعيد الله وعقابه، يتولَّد منها الرهبةُ من المخالفَةِ.

وفِكْرة في جَفاء النفس في جَنْبِ إحسانِ الله إليها، يتولَّد منها الفِكْرة فيما سَلَف، والحياءُ من الله تعالى ذِكْره».

وقال: «إذا تمكنَتْ الأنوارُ في السِّر، نطقتْ الجوارحُ بالبِرِّ».

وسئل: عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله والله هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥]. فقال: «أنتم فقراءُ إلى رحمتِه، وهو غنيٌّ عن أفعالكم، وأنتم محتاجون إلى رحمته».

وقال: «لم يَجِدْ أحدٌ تمامَ الهِمَّة بأوصافها إلا أهل المحبَّة؛ وإنما وجدوا ذلك من اتِّباعِ السُّنَّة، ومجانَبةِ البِدْعة؛ فإن رسول الله كان أعلى الخلقِ همَّة، وأقربهم زُلْفَة».

وقال: «إنكارُ وِلاية الأولياء، في قلوب الجُهَّال، من ضيق صدورهم عن المصادِر، وبُعْد علومهم عن موارِدِ القُدْرَة».

وقال: «الوَلِيُّ في سَتْر حالهِ أبداً، والكونُ كلُّه ناطقٌ عن وِلايته، والمدَّعِي

ناطقٌ به، والكون كله يُنكِر عليه».

وقال: «أقربُ القلوبِ إلى الله قلبٌ رَضِي بِصُحْبَةِ الفقراء، وآثر الباقي على الفاني. وشهد سوابِقَ القضاء، فأَيِسَ من أفعاله».

وقال: «ما عَجَزتَ عن شيءٍ فلا تعجَزْ عن رُؤْية ضَعْفِك».

وقال: «الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله تعالى».

وقال: «إذا أوصلك الله إلى مقامٍ، ومنعَك حُرْمَةَ أهلِه، والالتذاذَ بما أَوْصَلَكَ إليه، فاعلم أنَّك مغرور مُسْتَدْرَج».

وقال: «العلماءُ بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوزونها إلا بإذْن».

وقال: «ما استصغرتُ أحداً من المسلمين إلا وجدتُ نَقْصاً في إيماني ومعرفتي».

وقال: «من لم تُرْضِه أوامرُ المشايخ وتأديبهُم فإنه لا يتأدَّبُ بكتاب ولا سُنَّة».

وقال: «الطريقُ واضِحٌ، والدليل عالِمٌ، والزاد تامٌّ، والمركَبُ قويٌ ولكنْ منع القومَ من الوصول الاستدلالُ بغير الدليل، والركضُ في الطريق على حَدِّ الشهوة، وأخذُ الزاد من غير وجهه، وإضعافُ المركَب بِقلَّةِ تَعَهُّده».

وقال: «إذا سَلِم لك وقتٌ من أوقاتِك عن الغفلة فَغَرْ على ذلك الوقت أن تُتْبِعَه بما يخالفه؛ فإن مخالفة الأوقات على المرورِ من اعوجاج الباطن».

وقال: «رأسُ مالك قلبُك ووقتُك، وقد شغلتَ قلبك بهواجِس الظنون، وضيعتَ أوقاتَك بارتكاب مالا يَعْنيك. فمتى يَرْبَحُ من خَسِرَ رأسَ ماله؟!».

وقال: «أسوأُ الناس خُلُقاً من لا يعيش بعيشة أهل صحبته، ومن لا يَظْهَر صديقُه من عدوِّه».

وقال: «الإنسان في خَلَقِه أحسن منه في جديد غيره».

٧ ـ أبو إسحاق إبرهيم الخواص

هو ابرهيم بنُ أحمدَ بنِ اسماعيل، كنيتُه أبو إسحاق. وهو أحد من سَلك طريقَ التوكل. وكان أوْحد المشايخ في وقته؛ ومن أقران الجُنَيْد، والنُّورِي له في السياحات والرياضات مقاماتٌ يطول شرحُها.

توفي في جامع الرَّي، سنة إحدى وتسعين ومائتين، إن صح وتولى أمره في غسله ودفنه يوسفُ بنُ الحسين.

وقال: «مرض ابرهيمُ الخوَّاصُ بالرَّي، في المسجد الجامع، وكان به عِلَّةُ القيام، وكان إذا قام يدخلُ الماء، ويغتسلُ، ويعودُ إلى المسجد، ويركعُ ركعتين، فدخلَ الماء مرةً ليغتسلَ، فخرجت روحُه، وهو في وسط الماء».

وقال: «سمعتُ جعفر بنَ محمد الخُلْدِيَّ، يقول: سمعتُ ابرهيم الخوَّاص، يقول: «من لم يَصْبِر لم يَظفَر».

وقال: «من لم تبك الدُّنيا عليه لم تضحك الآخرةُ إليه».

وقال: «ليس العلمُ بِكثرة الروايةِ؛ إنما العالِمُ من اتَّبَعَ العِلْم، واستَعْمَلَه، واقتدى بالسُّنَن، وإن كان قليلَ العلمِ».

وسُئِل عن الورَع ـ فقال: «ألَّا يتكلم العبدُ إلا بالحق، غَضِبَ أم رَضِيَ، ويكونَ اهتمامُه بما يرضِي الله تعالى».

وقال ابرهيمُ: «العلمُ كله في كلمتين: لا تتكلفْ ما كُفيتَ، ولا تضيِّعْ ما استُكفيتَ».

وقال ابراهيمُ: «المُتاجِرُ برأسِ مالِ غيرِه مُفْلِسٌ».

وقال: «لِيكنْ لك قلبٌ ساكن، وكَفٌّ فارغة، وتَذْهَبُ النفسُ حيثُ شاءتْ».

وقال: «رأيتُ شيخاً من أهل المعرفة عَرَّج، بعد سبعة عشر يوماً، على سببٍ في البرّية، فنهاه شيخٌ كان معه، فأبى أن يقبل، فسقط ولم يرتفع عن حُدود الأسباب».

وقال: «دواءُ القلبِ خمسةُ أشياءَ: قراءةُ القرآن بالتَّدَبُّر، وخلاءُ البطن، وقيامُ الليل، والتضرعُ عند السَّحَر، ومجالسةُ الصالحين».

وقال: «عَلَى قَدْر اعزاز المؤمن لأمر الله، يُلْبِسُه الله من عِزِّه، ويقيمُ لَه العِزَّ في قُلُوب المؤمنين؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال: «عقوبةُ القلبِ أشدُّ العقوباتِ، ومَقامُها أعْلَى المقاماتِ، وكرامتُها أفضلُ الكراماتِ، وذكرُها أشرفُ الأذكار. وبِذِكْرِها تُسْتَجْلَبُ الأنوارُ، وعليها وَقَعَ الخطابُ، وهو المخصوصُ بالتنبيه والعتابِ».

وقال: «اختارَ مَنِ اختارَ من عباده، لا لِسَابِقَةٍ لهم إليه، بل لإرادة له فيهم. ثم عَلِمَ ما يخرج منهم، وما يبدُو عليهم، فقال عز وجل: ﴿اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الدخان: ٣٢]، أي مِنا بما فيهم مِنْ أنواع المخالفات، لأن مَن اشترى سِلْعة يعلمُ عُيوبَها لا يردها».

٨ ـ عبدالله بن محمد الخراز الرازي

هو أبو محمدٍ عبدُالله بنُ محمد الخراز، من كبار مشايخ الرَّازيِّين.

جاور بالحَرَمِ سنينَ كثيرة. وهو من الورعين، القائلين بالحق، والطالبين قوتهم من وجهٍ حلال.

صحب أبا عمرانَ الكبير، ولقي أبا حفصٍ النَّيْسابوري.

توفي قبل العشرِ وثلاثمائة.

قال عبدالله: «العُبُوديَّة ظاهراً، والحريَّةُ باطناً، من أخلاقِ الكرام».

وقال: «من تَكَرَّمَ عن الشّغْلِ بالدنيا اشْتَغَلَ بما هو مأمورٌ به».

وقال: «العِبارة يعرفُها العُلماء، والإشارَةُ يعرفها الحكماء واللطائف يقفُ عليها السادةُ من الشيوخ».

وقال عبدالله: «الْهِمَمُ تَختلِفُ في الدَّارَيْن. وليس مَن همَّته في الْمَشْهَدِ الأعلى الحورُ والقصورُ، والاشتغالُ بنعيم الجنان وزُخْرفِها؛ كمن هِمَّتُه مجالسةُ مولاه، والنظرُ إلى وجهِهِ الكريم».

وسئل عبدالله عن علامةِ الصبر، فقال: «تركُ الشكوَى، وإخفاء الضُّر والبلوَى».

وقال: «العبدُ هو العاجزُ عن دَرْك مُنْيَته إلا من جهة سيده».

وقال: «صيانةُ الأسرارِ عن الالتفاتِ إلى الأغْيار، من علاماتِ الإقبالِ على الله تعالى».

وقال: «أَحْسَنُ العبيدِ حالاً ،من أَبْصَرَ نِعم الله عَلَيْه، بأن أَهَّلَهُ لمعرفته، وأَذِنَ لَهُ فِي قُرْبه، وأباحَ له سبيلَ مناجاتِه، وخاطَبه على لسانِ أَعَزِّ السُّفَرَاء محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وعَرَف تقصيرَه عن القيام بِمَواجِبِ أداءِ شُكْرِه، إذْ شكرهُ يستوجب شكراً إلى مالا نهاية.

وأَخَسُّ العبيد عبدٌ عَدَّ تسبيحَه وصلاتَه، وظَنَّ أنه يستحق بها على ربِّه شيئاً. فلولا الفضلُ والرحمةُ، لعاينتَ الأنبياءَ عليهم السلامُ، في مقامِ الإفلاس. كَيْفَ! وأجلُّهم حالاً، وأقربُهم منزلةً، والقائمُ بمقامِ الصدقِ حيثُ عجزَ عنه الرسلُ، يقولُ: (وَلاَ أَنَا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَتِهِ). فمن رأى بعد هذا لنفسِه مقاماً، فهو لِبُعْدِه عن طريق المعارف».

٩ ـ بنان بن محمد الحمال

هو بُنانُ بنُ محمدِ بنِ حَمْدانَ بنِ سعيد، وكنيتُه أبو الحسن. واسِطِيُّ الأصلِ، سكن مِصْرَ، وأقامَ بها، وبها توفي، في شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة.

بسنده: عن عبدالرحمن بن شبل قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: (إنَّ الفُجَّارِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. قَالُوا: يا رَسُولَ الله مَنْ هُمْ؟ قَالَ: النِّسَاءُ. قالُوا: يَارَسُولَ الله! أَلَيْسُوا أُمَّهَاتِنَا، وَأَخَوَاتِنَا، وَأَزْوَاجِنَا؟. قالَ: بَلَى! وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أُعْطُوا لَمْ يَشْكُرُوا، وإِذَا ابْتُلُوا لَمْ يَصْبِرُوا).

وقال: «إن الله تعالى خلق سبعَ سمواتٍ، في كل سماء له خَلْقٌ وجنودٌ، وكلٌّ له مطيعون؛ وطاعتهُم على سبع مقامات:

فطاعةُ أهلِ السماء الدنيا على الخوف والرجاء.

وطاعةُ أهلِ السماء الثانية على الحُبِّ والحُزْن.

وطاعةُ أهلِ السماء الثالثةِ على المِنَّةِ والحياء.

وطاعةُ أهلِ السماء الرابعةِ على الشوق والهَيْبَة.

وطاعةُ أهلِ السماء الخامسةِ على المناجاة والإجْلال.

وطاعةُ أهلِ السماء السادسةِ على الإنَابَةَ والتعظيم.

وطاعةُ أهلِ السماء السابعةِ على المِنَّةِ والقُرْبَة».

وقال: «من كان يَسُرُّه ما يَضرُّه متى يُفلح؟».

وقال: «سمعتُ ابنَ أبي محمدِ الصائغ، وهو عبدُالواحد بنُ بكرٍ، وقال: «إنْ

أفردتَه بالرُّبوبية أفردَكَ بالعنايةِ؛ والأمرُ بيدك: إن نصحتَ صافَوْك، وإن خلَّطت جَافَوْك».

وقال عن الصوفية: «الثِّقَةُ بالمضْمون، والقيامُ بالأوامر، ومراعاةُ السِّر، والتخَلِّي عن الكَوْنَيْن بالتَشَبُّث بالحق».

وقال بُنان: «من أُلبِس ذُلَّ العَجْز فقد مات مِنْ شاهِدِه؛ ومن أُلبِس عِزَّ الاقتدار فقد حَيَّ بشاهده، وجُعل سبباً لحياة الهياكل، فهذا هو الفرقُ بين النفس والرُّوح».

وقال: «رؤيةُ الأسبابِ عَلَى الدَّوَام قاطعةٌ عن مُشاهدةِ المسبِّب. والإعْراضُ عن الأسبابِ جملةً يؤدِّي بصاحبِه إلى رُكوب البَواطل».

وقال: «ليس بمتحققٍ في الحبِّ من راقب أوقاتَه، أو تحمَّل في كِتْمان حُبه، حتى يَنْهتِكَ فيه، فيفْتَضِح ويخلَع العِذار، ولا يبالي عَمَّا يَرِد عليه من جهة مَحْبوبه أو بِسَبَبِه، ويتلذذ بالبلاء في الحب، كما يتلذذ الأغيار بأسباب النعم».

١٠ ـ أبو حمزة البغدادي البزاز

هو أبو حمزةَ البغداديُّ البَزَّازُ. صحب السريَّ بن المُغَلِّس السَّقَطِي، وبشراً الحافي.

كان يتكلمُ ببغدادَ، في مسجد الرصافة، قبل كلامه في مسجد المدينة. وكان ينتمي إلى حسن المسوحِيّ. وكان عالماً بالقراءات.

وكان من رُفَقَاء أبي تراب النَّخْشَبي في أَسْفَاره، وهو من أولاد عيسى بن أَبَان. وكان أحمدُ بنُ حنبل، إذا جرى في مجلسه شيءٌ من كلام القَوْم، يقول لأبي حمزة: «ما تقولُ فيها يا صوفي؟».

توفّي سنة تسع وثمانين ومائتين.

قال: «مِنَ الْمُحَالِ أَنْ تُحِبَّهُ ثُمَّ لا تذكره. ومن المحال أن تَذْكُرَ ثم لا يُوجِدَك طعمَ ذِكْره. ومن الْمُحَالِ أَنْ يُوجِدَكَ طَعْمَ ذِكْره ثم يشغلَك بغيره».

قال رجل: «سألتُ أبا حمزة؛ فقلت: أَسْأَل؟. فقال: سَلْ!. فقلت: لِم أَسأَل. فقال: لأنَّكَ تسألُ أن تسألَ».

وقال: «خرجتُ من بلاد الروم، فوقفتُ على راهبٍ؛ فقلت له: عِندك مِنْ خَبَرِ مَنْ قد مضى؟. قال: نعم! ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧].

وقال: «استراح من أَسْقَطَ عن قلبه مَحَبَّةَ الدنيا. وإذا خلا القلب من مَحَبَّةِ الدنيا دخله الزُّهدُ، وإذا دخله الزهدُ أَوْرَثَهُ ذلك التوكل».

وقال: «من رُزِق ثلاثةَ أشياء، مَعَ ثلاثةِ أشياءَ، فقد بحا من الآفات:

بطنٌ خالٍ، مع قلبٍ قانعٍ؛ وفَقْرٌ دائمٌ، مع زُهْد حاضرٍ؛ وصَبْرٌ كاملٌ، مع ذِكْرٍ دَائمٍ».

وقال: سمعتُ محمد بنَ عبدِالله بنَ المُتَأَنِّي البغدادي، يقول: سمعت الْجُنَيْدَ، وقال: «وافَى أبو حمزةَ من مَكَّة، وعليه وَعْثاء السفَر؛ فسلَّمتُ عليه، وشَهيَّتُهُ، فقال: سِكْبَاج وعَصِيدَة، تُخَلِّيني بهما. فأخذت مَكّوكَ دقيق، وعشرة أرطال لحم، وباذِنْجَان، وخَلا، وعشرة أرطال دِبْس، وعَمِلْنَا له عَصِيدَة وسِكْبَاجَة، ووضعناها في حَيْزٍ لنا، وأَسْبلتُ السِّتْرَ، فدخل وأكله كُلّه؛ فلما فرغ دخلتُ عليه، وقد أتى على كُلِّهِ، فقال لي: يا أبا القاسم! لا تعجبْ! فهذا ـ من مكة ـ الأَكْلةُ الثالثةُ».

وقال: «ليس السخاءُ أن يعطِي الواجِدُ المُعْدِمَ، إنما السخاءُ أن يعطى المعدمُ الواجدَ».

وقال: «حُبُّ الفقر شديد، ولا يصبر عليه إلا صِدِّيق».

وقال: «إذا فتح الله عليك طريقاً من طُرُق الخير فالزمْه، وإياك أن تنظرَ إليه، وتفتخر به؛ ولكن اشتغل بشكر من وَفَّقَكَ لذلك، فإنَّ نظرَك إليه يُسْقِطُك عن مَقامك، واشتغالَك بالشكر يُوجِبُ لك منه المزيد، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. [ابراهيم: ٧]

وقال: «مَنْ عَلِمَ طريقَ الحقِّ سهُلَ عليه سُلوكها، وهو الذي عَلِمَها بتعليم الله إياه. ومن عَلِمَها بالاستدلال فمرةً يُخطىء ومرةً يُصِيب. ومن تَبع فيه أثر الدليل الصادِق الناصِح بَلَغَ عن قريبٍ إلى مَقْصِدِه. ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلاَّ متابعةُ الرسول صلّى الله عليه وسلم في أحوالِه وأفعالِه وأقوالِه».

وقال: «إذا سَلِمَتْ منك نفسُك فقد أدَّيْتَ حقَّها، وإذا سَلِمَ منك الخلقُ فقد أدَّيْتَ حُقُوقَهَمْ».

١١ ـ أبو الحسين الوراق النيسابوري

هو محمدُ بنُ سعدٍ، أبو الحسين الوراق. وهو من كِبارِ مشايخ نَيْسابور، ومن قدماء أصحابِ أبي عثمان.

توفي قبل العشرين وثلاثمائة.

وقال: «الكَرَمُ في العفو ألاَّ تذكُرَ جنايَةَ صاحبك، بعْد أن عفوتَ عنه».

وقال: «اللَّئيمُ لا يُوَفَّق للعَفْو من ضِيق صدره».

وقال: «حياةُ القلبِ في ذِكْر الحيِّ الذي لايموت. والعيشُ الهنيُّ، مع الله لا غير».

وقال: «لا يَصِلُ العبدُ إلى الله إلا بالله، وبموافقَةِ حبيبِه، صلى الله عليه

وسلم، في شرائعه. ومَن جَعَل الطريقَ إلى الوصولِ في غير الاقتداءِ يضلُّ، مِنْ حيثُ يظنُّ أنه مهتدٍ. ومن وَصَلَ اتَّصَل. وما رجعَ مَنْ رجع من الطريق إلا مِنَ الاِشْفاقِ على النَّفْس، وطَلَبِ الراحة؛ لأنَّ الطريقَ إلى الله صعبٌ لِمَن لَمْ يدخلْ فيه بوَجْدٍ غالبٍ، وشَوْق مُزْعج؛ فيَهُون عليه إذْ ذاك حملُ الأثقال، وركوبُ الأهوال؛ فإذا انقادَتْ له النفسُ على ذلك، وهان عليه ما يَلْقى في طَلَب المحبوب سهَّل الله عليه سبيلَ الوصول».

وقال: «أجَلُّ شيءٍ يفْتَح الله تعالى به على عبده التقوى؛ فإنّ مِنْه يَتَشَعَّبُ جميعُ الخيرات، وأسبابُ القُرْبَة والتَّقرُّب، وأصلُ التقوى والإخلاصُ، وحقيقتُه التخلي عن كل شيء إلا ممن إليه تقواك».

وقال: «الصدقُ استقامةُ الطريقة في الدين، واتباعُ السنةِ في الشرع».

وقال: «الشَّهْوةُ أغلبُ سلطانٍ على النفس، ولا يُزيلُها إلا الخوفُ المزعجُ».

وقال: «اليقينُ ثمرةُ التوحيد؛ فمن صفا في التوحيد صفا له اليقينُ».

وقال: «من لم يَفْن عن نفسه، وسِرِّه، ورُؤيةِ الخلْق، لا يحيا سِرُّه لمشاهدةِ الخيرات والمِنَن».

وقال: «مخافةُ خوف القطيعةِ أَذْبلَتْ نفوس المحبين، وأَحرَقَتْ أكبادَ العارفين، وأَسهَرتِ لَيْلَ العابدين، وأَظْمَأَتْ نهارَ الزاهدين، وأكثرتْ بكاء التائبين، ونغَّصَتْ حياةَ الخائفِين».

وقال: «التوكلُ استِواءُ الحال عند العُدْم والوجود، وسُكونُ النفس عند مَجَارِي المَقْدور».

وقال: «علامةُ مَحبَّةِ الله تعالى متابعةُ حبيبه صلى الله عليه وسلم».

وقال: «أصل الفُتُوَّةِ خمس خصالٍ: أولُها الحفَاظُ، والثاني: الوَفاءُ، والثالثُ: الشُّكر، والرابعُ: الصبرُ، والخامسُ: الرضا».

وقال: «في رُؤية النفس نسيانَ مِنَن الله تعالى عليك».

وقال: «أنفعُ العلم العلمُ بأَمْرِ الله ونَهْيِه، وَوَعْدِه وَوَعيده، وثَوابِه وعِقابه. وأَعْلى العُلُوم العلمُ بالله وصِفَاتِه وأسمائِه».

وقال: «الأنسُ بالخَلْق وحشةٌ، والطُّمَأْنينَةُ إليهم حُمْق، والسكونُ إليهم عَجْزٌ، والاعتمادُ عليهم وَهْنٌ، والثقةُ بهم ضَياع. وإذا أراد الله بِعَبْدٍ خيراً جعل أُنْسَه به وبذكره، وتوكله عليه، وصان سِرَّه عن النظرِ إليهم، وظاهِرَه عن الاعتماد عليهم».

وقال: «من غَضَّ بصرَه عن مُحَرَّم أورثه الله تعالى بذلك حِكمةً على لسانِه، ينتفعُ بها سامعوه؛ ومن غضَّ بصره عن شُبْهَةٍ نَوَّرَ الله قلبَه بنورٍ يهتدى به إلى طرُقِ مَرْضَاته».

وقال: «من أسكن نفسَه محبةَ شيءٍ من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع وَمَنْ طَمِعَ في شيءٍ ذَلَّ، وبِذُلِّه هَلَك».

وقال: «لا يصلُ العبدُ إلى شيءٍ من التَّقْوى، وعَلَيهِ بَقِيَّةٌ من الزُّهدِ والوَرَع. والتقوى مقرونةٌ بالراحة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢].

١٢ ـ أبو بكر الواسطي

هو أبو بكر الواسِطِيُّ، مُحمدُ بن موسى. وكان يعرف بابن الفَرْغَانِيّ.

من قدماء أصحاب الجُنَيْد، وأبي الحسين النُّورِيّ. وهو من علماء مشايخ القَوْم، لم يتكلم أحدٌ في أصول التصوف مثل ما تكلم هو. وكان عالماً بالأصول، وعُلوم الظاهر.

توفي بعد العشرين وثلاثمائة.

وقال: «شاهِدْ بمُشاهَدَة الحقِّ إياك، ولا تَشْهَدْه بمشاهدتك له».

وقال: «ابتُلينا بزمانٍ ليس فيه آدابُ الإسلامِ، ولا أخلاقُ الجاهليةِ، ولا أحلامُ ذوي المروءةِ».

وقال: «الأُسَرَاءُ على وجوه: أسيرُ نفسه وشهوتِه، وأسيرُ شَيْطانه وهواه، وأسيرُ مالا معنى له: لفظِه أو لحظِه، هم الفُسَّاق. ومادام للشواهد على الأسرار أَثَرٌ، وللأغراض على القلب خَطَرٌ، فهو مَحْجُوب، بعيدٌ من عَيْن الحقِيقَةِ. وما تورَّع المتورِّعون، ولا تزهَّد المتزَهِّدون إلا لعظَم الأَغْراض في أسرارهم. فَمَنْ أَعْرض عنها أدباً، أو تورَّع عنها ظَرْفاً، فَذَلِك الصادق في ورعه، والحكيم في أدبه».

وقال: «أفقرُ الفقراء من ستر الحقُّ حقيقةَ حَقِّه عنه».

وقال: «الحبُّ يُوجبُ شوقاً، والشوق يُوجبُ أُنساً، فمن فَقَد الشَّوْق والأُنْسَ فلْيَعْلَمْ أنه غير مُحِبٍّ».

وقال: «كيف يرى الفضلَ فضلاً من لايأمن أن يكون ذلك مَكْراً؟».

وقال: «الموحِّد لا يرى إلا رُبُوبية صِرْفاً، تولتْ عُبودِيَّة محضاً، وفيه مُعالجة الأقدار، ومُغالَبة القِسْمة».

وقال: «الخوْفُ والرجاءُ زمامان يمنعان من سوءِ الأدبِ».

وقال: «الخوفُ حجابٌ بين العبد وبين الله تعالى؛ والخوفُ هو الإياسُ، والرَّجاءُ هو الطَّمَعُ؛ فإن خِفْتَه بَخَّلْتَهُ، وإن رَجَوْتَه اتَّهَمْتَه».

وقال: «من حال به الحالُ كان مَصْرُوفاً عن التوحيد، ومن انقُطِعَ به انقَطَع، ومن وُصِل به وَصَل. وفي الحقيقة لا فَصْل ولا وَصْل».

وقال: «كائناتٌ محتومةٌ، بأسبابٍ معروفةٍ، وأوقات معلومة، اعتراضُ السريرة لها رُعُونة».

وقال: «الرضا والسخطُ نعتان من نعوتِ الحق، يجريان على الأَبَدِ بما جريا في الأَزَل، يُظْهِران الوَسْمين على المقبولين والمطرودين؛ فقد بانَتْ شواهدُ المقبولين بضيائِها عليهم، كما بانت شواهدُ المطرودين بظُلَمِها عليهم. فأنَّى تنفع مع ذلك الألوان المصَفَّرَة، والأكمام المقَصَّرةُ، والأقدام المتَنَفِخَةُ».

وقال: «التَّعَرُّضُ للحق، والسبيلُ إليه، تَعرُّض للبلاء، ومن تعرَّض للبلاء لا يسلم منه. ومن أراد السلامة فليتباعد من مَرَاتِع الأهوال».

وقال: «الوِقَاية للأَشْبَاح، والرِّعايةُ للأرواح».

وقال: «الوقتُ أقلُّ من ساعة، فما أصابك من نعمة أو شِدَّة ـ قبل ذلك الوقت ـ [فأنت عنه خالٍ، إنما ينالُكَ مِنْهُ مافي ذلك الوقْتِ]؛ وما كانَ بعدَ ذَلك فلا تَدْرِي أيصِلُ إلَيْكَ أَمْ لا».

وقال: «الذاكرون ـ في ذكره ـ أكثر غَفْلَةً من الناسين لذكره، لأنَّ ذِكْرَه سواه».

وقال: «حياةُ القلبِ بالله تعالى، بل بقاءُ القلوبِ مَعَ الله، بل الغَيْبَةُ عن الله بالله».

وقال: «أربعةُ أشياء لا تليقُ بالمعْرِفةِ: الزُّهدُ، والصَّبرُ، والتَّوَكُّلُ، والرِّضا؛ لأن كلَّ ذلك من صِفَة الأشباحِ». وقال: «مُطالَعَةُ الأغواضِ على الطَّاعاتِ من نِسْيان الفَضْل». لا أدري ما هي المعرفة التي لا يليق بها أمر الله فإن الله تعالى قد أمر نبيه بالزهد والصبر والتوكل والرضا وبادله من كتاب الله.

وأخيراً: قال أبو بَكْرٍ الواسِطِيُّ: «النَّاسُ على ثلاثِ طبقات:

الطبقةُ الأولى، مَنَّ الله عليهم بأنْوارِ الهِدايةِ، فهم معصومون من الكُفْر

والشِّرك والنِّفاق.

والطبقةُ الثانية، مَنَّ الله عليهم بأَنوارِ العِناية، فهم معصومون من الصَّغائِر والكبائر.

والطبقةُ الثالثةُ، مَنَّ الله عليهم بالكِفَاية، فهم معصومون عن الخَواطر الفاسِدَةِ، وحَرَكَاتِ أهلِ الغفلة».

وباقي الناس أين هم؟

١٣ ـ الحسين بن منصور الحلاج

هو الحُسَين بنُ منصور الحلاج، أبو مُغيث. وهو من أهل بيضاء فارس. ونشأ بواسِط، والعراق.

وصحب الجُنَيْد، وأبا الحسين النُّوري، وعَمْراً المكي، والفُوَطي، وغيرهم.

قال محمدُ بنُ خَفيف في حقه: «الحسينُ بنُ منصورٍ عالمٌ ربانيٌّ».

قُتل ببغدادَ بِبَاب الطَّاقِ، يومَ الثلاثاء، لستٍّ بقين من ذي القَعْدة، سنة تِسعٍ وثلاثمائة.

قال: «حجبَهُم بالاسم فعاشوا؛ ولو أَبْرَزَ لهم عُلوم القُدْرةِ لَطَاشوا؛ ولو كَشَفَ لهُم الحجابَ عن الحقيقةِ لماتوا».

وقال: «إلهي!. أنتَ تعلمُ عَجْزي عن مواضِعِ شكرك، فاشكر نَفْسك عَنّي، فإِنَّه الشكرُ لا غيرُ».

وقال: «من لاحظَ الأعمالَ حُجِبَ عن المعمول له؛ ومن لاحظَ المعمولَ لهُ حُجِبَ عن رُؤيةِ الأعمالِ».

وقال: «أسماءُ الله تعالى، من حيثُ الإِدراك اسمٌ؛ ومن حيثُ الحقِّ حقيقةٌ».

وقال: «خاطِر الحق هو الذي لا يعارِضُه شيء».

وقال: «إذا تخلَّصَ العبدُ إلى مقامِ المعرفةِ أوحى الله تعالى إليهِ بِخَاطِرِه، وحَرسَ سِرَّه أن يَسْنَح فيهِ خاطرٌ غيرَ الحقِّ».

وسُئِل الحسينُ: «لِمَ طَمِع موسى ـ عليه السلامُ ـ في الرُّؤيةِ وسَأَلَها؟». فقال: «لأنَّه انفردَ للحقِّ، وانفردَ الحقُّ به، في جميع معانيه. وصار الحقُّ مُواجِهَه في كُلِّ منظورٍ إليه، ومُقابِلَه دون كلِّ مَخضور لَدَيه؛ على الكَشْفِ الظاهرِ إليه، لا على التَّغَيُّب؛ فذلك الذي حَمَله على سؤال الرُّؤية لا غَيْرُ».

وقال عن المريد: «هو الرامِي بقَصْدِه إلى الله عزَّ وجلَّ؛ فلا يعرج حتى يَصِل».

وقال: «المريد الخارجُ عن أسبابِ الدَّارَيْن، أَثَرةً بذلك على أهلها».

وقال: «إنَّ الأنبياءَ ـ عليهمُ السلامُ ـ سُلِّطوا على الأحوالِ، فَمَلَكُوها، فهم يُصَرِّفونها، لا الأحوالُ تُصَرِّفُهم. وغيرُهم سُلِّطَتْ عليهمُ الأحوالُ، فالأحوالُ تُصَرِّفُهُم، لا هم يُصَرِّفونَ الأحوالَ».

وقال: «الحقُّ هو المقصودُ إليه بالعبادات، والمَصْمود إليه بالطَّاعات. لا يُشْهَدُ بغيره، ولا يُدْرَك بسواه. بِرَوائح مُراعَاتِه تقوم الصِّفاتُ، وبالجَمْع إليه تدرك الراحاتُ».

وقال: «لا يجوزُ لمن يرى أَحداً، أو يذكرُ أحداً، أن يقول: إني عَرَفْتُ الأَحَدَ، الذي ظَهَرتْ منه الآحادَ».

وقال: «ألسنةٌ مُسْتَنْطَقاتٌ، تحت نُطقِها مُسْتَهْلَكات. وأَنْفُس مُسَتَعْمَلاتٌ، تحت استعمالها مُسْتَهْلَكات».

وقال: «حياءُ الرَّب أزالَ عن قلوبِ أوْليائِه سرورَ المِنَّة؛ بل حياءُ الطاعةِ

أزالَ عن قلوب أوليائِه شهودَ سُرورِ الطاعةِ».

وقال: «من أَسْكَرتْه أنوارُ توحيدٍ، حَجَبتْه عن عبارَةِ التجريدِ؛ بل من أَسْكَرتْه أنوارُ التجريدِ، نطقَ من حقائِق التَّوْحيد؛ لأنَّ السَّكْران هو الذي ينطقُ بكل مكتوم».

وقال: «من التمس الحقِّ نور الإيمانِ، كان كمن طَلَب الشمسَ بنور الكواكب».

وقال لرجل من أصحاب لجبَّائِيِّ: «لَمَّا كان الله تعالى أَوْجَدَ الأجسامَ بلا عِلّة، كذلك أوجد فيها لفاتها بلا عِلَّة. وكما لا يملكُ العبدُ أصلَ فعلِه، كذلك لا يملك فعلَه».

وقال: «ما انفَصَلَت البشريةُ عنه، ولا اتَّصَلَت به».

١٤ ـ أبو الحسن بن الصائغ الدينوري

هو أبو الحسَن بنُ الصَّائغ الدَّيْنُورِيُّ. عليُّ بنُ محمَّد بن سَهلْ. كان من كبار المشايخ. أقام بمصر، وتوفي بها.

وقال: «لم أر ـ فيمن رأيتُ من المشايخ ـ أَنْوَر من أبي يعقوبَ النَّهْرَ جُورِيِّ.

تُوُفِّي بمصرَ، سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وبسنده: عن أبي بَكْرَة؛ عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، في قول الله تعالى: (ثُلّة مِنَ الأوَّلينَ. وَثُلّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) قال: (هُمَا فِي هَذِهِ الأُمَّةِ)[الواقعة: ٣٩، ٤٠].

سُئِل أبو الحَسن، عن صِفَة المُريد، فقال: «صفتُه ما قال الله عز وجلَّ: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَلَّا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ

إلاَّ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال: «مَن توالتْ عليه هُمومُ الدنيا، فليذكرْ هَمّاً لا يزولُ، ليستريحَ منها».

وسُئِل: «ما الذي يجب على الإخوان، إذا اجتمعوا؟». فقال: التَّوَاصِي بالحقِّ، والتَّوَاصِي بالصَّبْرِ. قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وقال: «ينبغي للمُريد أن يتركَ الدنيا مرَّتين: يتركها مرةً بنَضَارتها ونعيمها، وألوانِ مطاعِمِها ومشاربها، وجميع ما فيها.

ثم إذا عُرِفَ بِتَرْكِ الدنيا ويُبَجَّلُ ويُكَرَّم بها؛ فينبغي أن يَسْتُرَ إذ ذاك حالَه، بالإقبالِ على أهلِها؛ لئلا يكونَ ذكرُه - في تركه الدنيا - ذَنْباً هو أعظم من الإقبالِ على الدنيا وطلبها، أو فتنةً أعظمَ منها».

وقال: «من فَساد الطَّبْع التمني والأملُ».

وقال: «كان بعضُ مشايخنا يقول: من تعرَّض لمحبَّته، جاءته المِحَن والبلايا بالأوْقَار».

وقال: «أهلُ المحبَّة - في لهيب شوقهم إلى محبوبهم - يتنَعَّمون في ذلك اللَّهيب، أحسن مما يتنعَّم أهلُ الجنة، فيما أُهِّلوا له من النعيم».

وقال: «مَحبتُك لنفسك هي التي تُهلِكها».

وسُئِل أبو الحَسَن: «ما المعرفةُ؟». فقال: رؤية المِنَّةَ، في كلِّ الأحوال؛ والعجزُ عن أداء شكر النعم، مِن كلِّ الوجوه؛ والتَّبَرِّي من الحَوْل والقُوَّة، في كل شيء».

وسُئِل أبو الحَسَن: «بماذا يَتَسَلَّى المحب في المحبة؟. وبماذا يُرَوِّح فؤاده عن هَيَجانه؟. فأنشأ يقول:

لَوْ أَشْرَبُ السُّلْوَانَ، ما سَلِيتُ ... ما بي غِنًى عَنكَ، وإن غَنِيتُ

وقال: «الأَحْوالُ كالبروق؛ فإذا ثبتتْ فهو حديثُ النفس، ومُلائمةُ الطَّبع».

وسئل أبو الحَسَن، عن الاستدلال بالشاهِد على الغائب، فقال: «كيف يُسْتَدل بصفات من يشاهَد ويُعايَن، وهو ذو مِثْل، على صفة من لا يشاهَد في الدنيا، ولا يعايَن، ولا مِثْل له، ولا نَظِير».

١٥ ـ ممشاذ الدينوري

هو مُمْشاذُ الدِّيْنَوَرِيُّ. صَحِب يحيى الْجَلَّاءَ، وَمَنْ فوقه من المشايخ. عظيمُ المَرمَى في هذه العلوم، أحد فِتْيان الجبال، كبيرُ الحال، ظاهر الفُتُوَّة.

توفي سنةَ تِسْعٍ وتسعين ومائتين، إن كان حَفِظه.

وقال: «طريقُ الحقِّ بعيدٌ، والصَّبر مع الحقِّ شديد».

وقال: «جماعُ المعرفة صِدْقُ الافتقارِ إلى الله تعالى».

وقال: «لو جمعتَ حِكْمة الأولين والآخِرين، وادَّعَيْتَ أحوال السادة من الأولياء، فلَنْ تصلَ إلى درجاتِ العارفين، حتى يسكنَ سِرُّكَ إلى الله تعالى، وتثقِ [به] فيما ضمِن لَكَ».

وقال: «خرج مُمشاذُ من بابِ الدار، فَنَبح عليه كلبٌ، فقال مُمْشاذُ: (لا إِلَهَ إلَّا الله) فمات الكلبُ مكانَه».

وقال: «ما أَقْبَح الغَفْلةَ عن طاعةِ من لا يغفلُ عن بِرِّك؛ وما أُقْبَح الغَفْلةَ عن ذِكْر من لا يَغْفَل عن ذِكْرك».

وقال: «فَراغُ القَلْب، في التَّخَلِّي مما تمسَّك به أهلُ الدنيا، من فُضُول دُنياهُم».

وقال: «للعارِف مرآةٌ، إذا نظر فيها تَجَلى له مولاه».

وقال: «ما كَتَب صحيحٌ إلى صحيحٍ، وما لَقِيَ صحيحٌ صحيحاً وما افترقا في الحقيقة».

وقال: «من يكُن الله تعالى هِمَّتَه، لم تَسْتَقْطِعْه الأقدارُ، ولم تَمْلِكه الأخْطارُ».

وقال: «ما دخلتُ، قطُّ، على أحدٍ من شيوخي، إلا وأنا خالٍ من جميع مالي؛ أنظر بركاتِ ما يَرِد عليَّ من رُؤيته أو كلامه؛ فإن مَن دخل على شيخٍ بحظِّه، انقطع بحظِّه عن بركاتِ رؤيته، ومُجالسته، وأدبِه، وكلامه».

وقال: «رأيتُ في بعض أسفاري شيخاً، تَوَسَّمْتُ فيه الخَيْر. فقلت: يا سيِّدي! كلِمةً تُزَوِّدُنِي بها. فقال: هِمَّتك فاحْفَظْها، فإنَّ الهِمَّة مُقَدِّمة الأشياء. ومن صَلُحَتْ له هِمَّتُه، وصَدَق فيها، صَلُح له ما وراءها: من الأعْمال، والأحْوال».

وقال: «أَدَبُ المُريد في أربعةِ أشياءَ: التزامُ حُرُمات المشايخ؛ وخِدْمَةُ الإِخْوان، والخروجُ عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع على نفسه».

وأين حرمات الله يا شيخ؟

وقال مُمشاذُ: «الأسبابُ عَلائِقُ؛ وفي التَّعْريج مَوانع؛ والاستثناءُ إلى مَسْبوقِ القضاء فَراغَةٌ؛ وأحسنُ الناسِ حالاً من أَسْقط عن نفسِه رُؤْيَةَ الخَلْق، ورَعَى سِرَّه في الخَلَوات، واعتمد على الله تعالى في جميع أُمورِه».

وقال: «صُحْبة أهلِ الصَّلاح، تُورِثُ في القَلْب الصَّلاحُ، وصُحْبة أهلِ الفسادِ تورِث فيهِ الفسادَ».

سُئِل مُمْشاذُ عن التوكل ، فقال: «التوكل حَسْم الطمع عن كلِّ ما يَميلُ إليه قلبُك ونفْسُك».

وقال مُمْشاذُ: «أرْواح الأنبياءِ في حال الكَشْف والمُشاهَدة؛ وأرواحُ الصدِّيقين في القُرْبَة والاطِّلاع».

١٦ ـ إبرهيم القصَّار

هو ابرهيمُ بنُ داودَ الرَّقِّيُّ، أبو إسحق القصار. من جِلَّةِ مشايخ الشام؛ من أقران الجُنَيْد، وابن الجلَّاء.

وصَحِبه أكثر مشايخ الشَّام، توفي سنة سِتٍّ وعشرين وثلاثمائة.

وقال: «قيمةُ كلِّ إنسان بقدرِ همَّته. فإن كانت هِمَّتُه الدنيا، فلا قيمة له وإن كانتِ هِمَّتُه رضاء الله تعالى، فلا يمكن استدراكُ غاية قيمته ولا الوقوفُ عليها».

وقال: «التَّوكّل السُّكون إلى مَضمون الحق».

وقال: «الراضِي لا يَسْأل. وليس من شَرْطِ الرِّضا المبالغة في الدُّعاء».

وقال: «المعرفةُ إثباتُ الرَّب ـ أو قال: الحق ـ عزَّ وجَلَّ، خارجاً عن كل موهوم؛ لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (تَفكَّرُوا فِي آلَاءِ الله، وَلَا تَفَكَّرُوا في الله)».

وقال: «حسبك من الدنيا صُحْبَة فقير، وخِدْمة وليّ».

وقال: «القُدرة ظاهرة، والأعين مفتوحة؛ ولكنَّ أنوار البصائر قد ضَعُفَتْ».

وقال: «الأبصارُ قويَّةٌ، والبصائر ضعيفة».

وقال: «مَن اكتفى بغير الكافي، افتقر مِنْ حيث استغنى».

وقال: «الكفاياتُ تصل إليك بلا تعب والاشتغال والتعب، كلُّها في الفُضُول».

وقال: «كِفاياتُ الفقراء هي التوكّل. وكِفاياتُ الأغنياء هي الاستنادُ إلى الأملاك».

وقال: «أضعفُ الخلق من ضَعُفَ عن رَدِّ شهواته؛ وأقوى الخلقِ من قَوِيَ عَلَى رَدِّهَا».

وقال: «مادام لأغراض الكَوْن في قَلْبِكَ خَطَر، فاعلمْ أنه لا خَطَرَ لك عند الله».

وقال: «مَنْ تَعَزَّزَ بِشَيءٍ غير الله فقد ذَلَّ في عِزِّه».

وقال: «الأولياءُ مُرْتَبِطُون بالكراماتِ والدَّرجاتِ؛ والأنبياءُ مَكْشُوفٌ لهم عن حقائق الحقِّ، فالكراماتُ والدرجاتُ - عندهم - وَحْشَة».

وقال: «علامةُ محبّة الله تعالَى إيثارُ طاعتِه، ومتابعةُ نَبِيِّه، صلّى الله عليه وسلَّم».

وقال: «الأنبياءُ مُنْبَسِطُونَ على بِسَاط الأُنْسِ، والأولياءُ على دَرَجاتِ الكرامة».

١٧ - خير النَسَّاج

هو خَيْرُ النَسَّاجُ، وكُنْيَتُه أبو الحَسَن محمد بن اسماعيل. كان أصله من سَامَرَّا، وأقام ببغدادَ، عاش مائة وعشرين عاماً وتاريخ وفاته مجهول لنا والله أعلم.

صَحِب أبا حَمْزَة البغداديَّ، وسَأَل السَرِيَّ السَّقَطِيَّ عن مسائلَ.

حدث فقال: «مَن عَرَف مِن الدُّنيا قَدْرَها وجَد مِن الآخرةِ حقها؛ ومَن جَهِل من الآخرةِ حقَّها قتَلَه من الدُّنيا نَزْرُها».

وقال: «الصَّبر من أخلاقِ الرِّجال؛ والرضا من أخلاق الكِرام».

وقال: «شَرْح صدورِ المتقين، وكَشْفُ بصائر المهتدين، بنورِ حقائق الإيمان».

وقال: «من لاحظ شُكْرَه استصغَر نِعَمه».

وقال خَيْر: «من سَبَق بِخَطْوة لا يُدرَك، إذا كان صادقاً مُجْتهداً».

وقال: «الإخلاصُ هو الَّذي لا يُقبَلُ عملُ عاملٍ إلا به».

وقال خَيْر: «العَمَلُ الذي يُبْلِغ الغاياتِ هو رؤيةُ التقصير والعَجزِ والضَّعْف».

وقال: «لا نسبَ أشرف مِن نسبِ مَن خَلَقه الله تعالى بيده، فلم يَعْصمه؛ ولا عِلْم أشرف مِن عِلْم من عَلّمه الله الأسماءَ كلّها، فلم يَنْفَعْه في وَقْتِ جريانِ القَدَر والقضاءِ عليه؛ ولا عِبادَة أتمّ ولا أكثر من عِبادَة إبليسَ؛ لم يُنْجِه ذلك من المَسْبوق عليه».

وقال: «توحيدُ كلِّ مخلوقٍ ناقص، لقيامِه بغيره، وحاجته إلى غيره. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُم الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾[فاطر:١٥] أي المحتاجون إليه في كل نَفَس (وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عنكُمْ، وعن توحيدكم، وأفعالكم، (الْحَمِيدُ) الذي يقبَل منكَ مالا يحتاجُ إليه، ويُثِيبُك عليه ما تَحتاج إليه».

وقال خير: «ميراثُ أفعالِك ما يليق بأَفْعالك. فاطلب ميراثَ فَضْلِه، فإنه أَتَمُّ وأَحْسَنُ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:٥٨].

وقال خير: «الخوف سَوْط الله في الأرض، يُقَوِّم به أَنْفُساً قد تعودَتْ سوء الأدب. ومتى ما أساءت الجوارحُ الأدبَ فهو مِنْ غَفْلة القلب، وظُلْمَةِ السِّر».

١٨ ـ أبو حمزة الخراساني

هو أبو حَمْزةَ الخُراسانيُّ. وكان أَصْلهُ من نَيسابُورَ، صَحِب مشايخ بَغْدادَ. وهو من أَقْران الجُنَيْد؛ وهو من أَفْتَى المشايخِ، وأَوْرَعِهم.

يذكر أنه قال: «من نَصَح نَفْسه كَرُمت عليه؛ ومن تَشاغَل عن نصيحتِها هانتْ عليه».

وسئل أبو حَمْزة الخُراسانيُّ عن الأُنْس، فقال: «ضِيقُ الصَّدْر عن مُعاشرة الخَلْق».

وقال: «الغَريبُ المُسْتَوْحِش من الإلْف».

وقال: «من استَشْعَر ذِكر الموت حُبِّب إليه كلُّ باقٍ، وبُغِّض إليه كلُّ فانٍ».

وقال: «العارفُ يخاف زَوالَ ما أُعطِي؛ والخائفُ يخاف نُزولَ ما وُعِد؛ والعارفُ يُدافع عَيْشَه يوماً ليوم، ويأخذ عَيْشَه يوماً ليوم».

وسُئل أبو حَمْزَة الخُراسانيُّ عن الصُّوفِيِّ، فقال: «مَن صُفِّي من كل دَرَن، فلم يبقَ فيه وسخ المخالفات بحال».

وقال: «مَن استَوحَش مِن نَفْسه أَنِس قلبُه بمُوافَقَة مَوْلاه».

وقد سأله رجل، فقال: أوصني. فقال أبو حَمْزة: «هَيِّىء زادَكَ للسَّفَر الَّذي بين يَدَيْك؛ فَكأنِّي بك وأنتَ في جُمْلة الرَّاحلين عن مَنْزِلك! وهَيِّىء لِنَفْسك منزلاً تَنْزل فيه ـ إذا نزل أهلُ الصَّفْوَة منازلهم ـ لَئِلَّا تبقى متحسِّراً».

قال أبو حَمْزة، لبعض أصحابه: «خَفْ سَطْوةَ العَدلِ، وارجُ رَأْفَةَ الفَضْل؛ ولا تأمَنْ مِنْ مكره، وإِنْ أَنْزَلك الجِنان؛ ففي الجنَّة وَقَع لأبيك آدمَ ما وقع؛ وقد يُقطَع بقوم فيها، فيقال لهم: ﴿كُلوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ﴾

[الحاقة: ٢٤]؛ فَشَغَلَهم عنه بالأكل والشُّرْب، ولا مَكْر فوق هذا، ولا حَسْرة أعظم منه». قبحه الله لم يطلب رسول الله أكثر من الجنة أفيدعي هذا الخرساني أنه خير من رسول الله .

وقال: «مَن خَصَّه الله تعالى بِنَظْرَة شَفَقَةٍ، فإنَّ تلك النظرةَ تُنْزِلُه منازل أهلِ السَّعادة، وتزَيِّنُه بالصِّدق ظاهراً وباطناً».

سُئِل أبو حَمْزة الخُراسانِيُّ: «هل يَتَفرَّغ المحِبُّ إلى شيءٍ سوى مَحْبوبه؟. فقال: لا! لأنه بلاءٌ دائمٌ، وسرورٌ مُتَقَطِّع، وأوجاع مُتَّصِلة لا يَعْرفها إلا مَن باشرها».

وسَمِع أبو حَمْزة بعض أصحابه، وهو يلوم بعضَ إخوانه على إِظهار وَجْده، وغَلَبَة الحالِ عليه، وإظهار سِرّه في مَجْلس فيه بعضُ الأضداد. فقال أبو حمزة: أَقْصِر يا أخي! فالوَجْد الغالبُ يُسقِط التمييز، ويجعلُ الأماكن كلها مكاناً واحداً، والأعيانَ عيناً واحدةً. ولا لَوْم لمن غَلَب عليه وَجْدُه، فاضطَرَّه إلى أن يُبديَه.

١٩ ـ أبو عبدالله الصبيحي

هو الحُسَين بن عبدالله بن بكر وكُنْيَتُه أبو عبدالله الصبيحي كان من أهل البَصْرة.

سُئِل عن أصول الدين، فقال: «اثْباتُ صِدْق الافتقار إلى الله تعالى، وحُسن الاقتداء برسول الله، صلى الله عليه وسلم. وفروعه أربعة أشياء:

الوفاءُ بالعُهُود، وحِفْظ الحُدُود، والرِّضا بالموجُود، والصَّبْر على المفْقُود».

وقال: «الرُّبوبيَّةِ سَبقتْ العُبوديَّة؛ وبالرُّبوبيَّة ظَهرتْ العبودِيَّةُ. وتمامُ وفاءِ العبوديَّة مُشاهدةُ الرُّبوبيَّة».

سمعتُ أبا عبدالله الصُّبَيْحِيّ ـ وسُئِل عن التَّسَلِّي والانقطاع ـ فقال: «لا يَقْطَعُك عن الشَّيءَ ما هو مِثْله، أو دونه؛ وإنما يَقْطعُك عنه ماهو أَتَم منه وأَغلى؛ والنَّظَرُ في عَواقِب الأُمور من أحوال العاجزين؛ والتَّقَحُّم على الموارِد من أحوال الرجال؛ والخُمودُ بالرِّضاء، تحت مَوارِد القضاء، من أحوال العارفين».

وقال: «يجب أن يكون الوَاجِد ـ إذا كان وجدُه صحيحاً ـ أن يكون في حال وجده محفوظاً، لا يجري عليه لسانُ الذَّم بحال».

وقال: «المُبَقَّى في أوصافه يحومُ حول الشَّرَك، لفَرحِه ببقائِه؛ فإنه أبداً يُشاهِد شاهِدَه».

وقال: «الغريبُ هو البعيد عن وطنه، وهو مُقِيمٌ فيه».

وقال: «الغريبُ الذي لا جِنسَ له».

وقال: «الغريبُ من صَحِب الأجناس».

وقال: «أَتمُّ الخوف، ما كان على صِفَة الوَجْد، لا على فَقْد ما يرجو أو يتمنَّى».

وقال: «ابتَلى الخلائق، بأَسْرِهم بالدَّعاوَى العريضة في المَغِيب؛ فإذا أَظَلَّتْهم هَيْبة المشهدِ خَرِسوا، وانْقَمَعوا، وصاروا لا شيءَ. ولو صَدَقوا في دَعَاوَاهُم لبرزوا ـ عند المشاهدة ـ كما بَرَز نبيُّنا، صلى الله عليه وسلم. وتَقَدَّم الخلائقَ بِقَدَم الصدق حين طُلِب إليه الشفاعةُ، فقال: (أنَالَها). لم تَرُعْه هيبَةُ الموقف، لما كان عليه من قَدَم الصدق.

وليس تخرس الألسنةُ ـ في المشاهدة ـ إلاَّ لبُعْدها من الصدق، فمَن صدق في المحبّة تكلَّم عنه الضمير، إذا سكتَ عن النُّطْق اللسانُ».

٢٠ ـ أبو جعفر بن سنان

هو أحمدُ بن حَمْدان بن عَلِيّ بن سِنان أبو جعفر. من كبار مشايخ نَيْسابور. صَحِب أبا عثمان ولَقِي أبا حَفْص. وهو أحدُ الخائفين الوَرِعين.

وبَيْتُه بَيْتُ الزُّهد والورع.

توفي أبو جعفر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

كتب الحديث الكثير، ورواه.

بسنده: عن الشيباني، قال: (سَأَلْتُ ابنَ أَبي أوْفى: أَرَجَمَ رَسُولُ الله، صلّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؟ قَالَ: نَعَمْ! قُلْتُ: بَعْدَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ النُّورِ؟؛ أَمْ قَبْلَهَا؟. قَالَ: لاَ أَدْرِي!).

وعن أبيه قال: «مَن لَزِم العُزلة والخَلْوة يكون أقل لفضيحته في الدنيا، إلى أن يَبْلُغ إلى فضيحة الآخرة».

وقال: «سُئِل بعض الحكماء: مِنْ أين معاشُك؟. فقرأ: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هٰؤُلاَءِ وَهٰؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ٢٠].

وقال: «لو أَمَرك بمعرفته، ولم يَتَعَرَّف إليك، كنتَ أجهلَ به مِمَّن أَنْكَره».

وقال: «تكبُّر المطيعين على العُصاة ـ بطاعتهم ـ شَرٌّ من معاصيهم، وأَضَرُّ عليهم».

وقال: «غَفْلَتُك عن توبةٍ من ذنب ارتكبته شرٌّ من ارتكابه».

وقال: «جَمالُ الرجل في حُسن مقاله؛ وكمالُه في صِدْق فَعَاله».

وقال: «علامة من انقطع إلى الله على الحقيقة ألا يرد عليه ما يَشْغَله عنه».

وقال: «أنتَ تَبْغَض العاصي بذنب واحد تظنُّه، ولا تبغض نفسك مع ما تتيقنه من ذنوبك».

وقال: «ذَمُّك لأخيك بعيوبه يُوقِعُك فيما تَذُمُّه، وشَرٌّ منه؛ ولو وُفِّقتَ لَدَعَوتَ له ورحمته؛ وخِفْتَ على نفسك مِنْ مِثْله؛ وشكرتَ الله تعالى، حيث لم يَبْلُك بما بلاه به».

وقال: «مَن عَلم مِن نفسه ما يعلم، ثم يُحبُّها بعد ذلك، فقد أَحَب ما أبغض الله تعالى».

وقال: «كبيرُ الإساءة ـ مع التَّوبة والنَّدامةِ ـ أصغرُ من صغيرها مع الإصْرار؛ لأَنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وقليلُ الإحسان ـ مع الإخلاص ـ أكثرُ من كثير الإحسان، مع الرِّياء والعُجْب والآفات».

وقال: «لا يعظم حُرُمات الله إلا مَن عَظَّم الله؛ ولا يُعظِّ الله إلا مَن عَرَفَه؛ ومَن عَرَفَه خَضَع له، وانقاد في خضوعه. وخُضوعُه يتولد من تعظيمه لربه. فإذا عَظَّمه صَغُر كلُّ ما سواه عنده، فَيَتَولّد له من ذلك تعظيمُ حُرُمات المؤمنين، وذلك لعظيم حرمة الله في قلبه، أن يُعظِّم كلَّ من يطيع ربَّه أو يعرفه».

الطبقة الرابعة

من أئمة الصوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ
مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥

١ـ أبو بكر الشبلي

أبو بكر الشِّبْلِيُّ. هو جعفر بن يونُس.

وهو خُراسانِيُّ الأصل، بغدادي المنشأ والمولِد. وأصله من أُسْرُوشَنَة. ومولده ـ كما قيل ـ سَامَرَّا.

صَحِب الجُنيْد، ومن في عصره من المشايخ.

وكان عالماً، فقيهاً على مذهب مالك.

توفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وبسنده: عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لبلال: (الْقَ الله فَقِيراً، ولا تَلْقَهُ غَنِيّاً!. قالَ: يَارَسُولَ الله!. كَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟!. قالَ: مَاسُئِلْتَ فَلاَ تَمْنَعْ، وَمَا رُزِقْتَ فَلاَ تَخْبَأْ. قالَ: يَارَسُولَ الله!. كَيْفَ لي بِذَاكَ؟!. قالَ: هُوَ ذَاكَ، وَإِلاَّ فَالنَّارُ!).

يذكر أنه: وقيل له: إنّ أبا تُراب ذكر أنه جاع في البادية، فرأى البادية كلها طعاماً ـ فقال: «عَبْد رُفِق، ولَو بَلَغ إلى مَحلِّ التحقيق لكان كمن قال: (إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي)».

وسُئِل عن الوفاء ـ فقال: «هو الإخلاص بالنُّطق، واستغراقُ السرائر بالصدق».

وقال: «ما ظنك بعِلْم، عِلْمُ العلماءِ فيه تهمة؟».

وقال: «كان الشِّبْلِيُّ إذا نظر إلى أصحابه، يسافرون؛ ويرى تقطُّعَهم في أسفارهم، يقول: ويلكم!. أَبُدٌّ ممّا ليس منه بد؟! بل بُدٌّ ممّن ليس منه بُدٌّ؟.».

وقال: «الأرواح تلطَّفتْ؛ فتعلَّقتْ عند لذعات الحقيقة؛ فلم تر غير الحق معبوداً يستحق العبادة؛ فأيقنت أن المحدَث لا يُدرِك القديمَ بصفاتٍ معلولة. فإذ صفَّاه الحقُّ أَوْصَله إليه، فيكون الحقُّ أوصله إليه ، لا وَصَل هو».

وقال: «التصوف ضبط حواسّك، ومراعاة أنفاسك».

وقال: «التصوف التآلف والتعاطف».

وسُئِل متى يكون الرجلُ مُريداً؟ ـ فقال: «إذا استوتْ حالُه في السَّفَر والحضَر، والمَشْهَد والمغيب».

وقال: «(أنتم) منكم مخفوضة، و(أنا) مني منصوبة».

وسُئِل عن الزهد ـ فقال: «تحويلُ القلبِ من الأشياء إلى ربِّ الأشياء».

وقال: «من عَرَف الله خَضَع له كلُّ شيءٍ؛ لأنّه عاين أثر مُلكه فيه».

وسُئِل أيضاً: ما الدنيا؟ ـ فقال: «قِدْر تَغْلِي، وكنيف يُمْلأ».

وسُئِل: بِم يُقْمع الهوى؟ ـ فقال: «برياضات الطباع، وكشف القناع».

وقال: «ليس يَخْطر الكونُ ببالي. وكيف يخطر الكونُ ببال مَن عرف المكَوِّن؟».

قال أحد أصحابه: «رأيت الشِّبليَّ في المنام، فقلتُ له: يا أبا بكر! من أسعدُ أصحابك بصحبتك؟ فقال: أعظمُهم لحُرُماتِ الله، وألْهَجُهم بذكر الله، وأقومُهم بحقِّ الله، وأسرعُهم مبادرة في مرضاة الله؛ وأعرفهم بنُقصانه، وأكثرهم تعظيماً لما عظَّم الله من حُرْمة عباده».

وقيل للشِّبْليّ: نراك جَسيماً بَدِيناً؛ والمحبة تضني؟! فأنشأ يقول:

أحَبَّ قَلْبي، وما دَرَى بدني ... ولو دَرَى ما أقام في السِّمَنِ

وقال: «لو قَبِلني العالمُ بمَن فيه، لكانت مُصيبة عَلَيَّ؛ إذ لَوْ لم يكن

شربهم شربي، وذوقهم ذوقي، لم يقبلوني».

وقال: «أَعْمَى الله بصراً يراني، ولا يرى فيَّ آثارَ القدرة: فأنا أحدُ آثار القُدْرة، وأحدُ شواهد العِزَّةِ، لقد ذَللْتُ حتى عَزَّ في ذُلِّي كلُّ ذُلٍّ، وعززتُ حتَّى ما تعزَّز أحدٌ إلاّ بي أو بمَنْ تعزَّزْتُ به. وما افترقنا. وكيف نفترق، ولم يَجْر علينا حالُ الجَمْع أبداً؟!».

وقال: «ليكُنْ همُّك معك، لا يتقدم ولا يتأخر».

وقال الجُنيدُ للشِّبْلِيِّ: «لو رددتَ أمركَ إلى الله لاسترحت!. فقال الشبلي: يا أبا القاسم! لو رد الله أمرك إليك لاسترحت!. فقال الجنيد: سيوف الشبلي تقطر دماً!.».

وقال: «سَهْوُ طَرْفَة عَيْن عن الله ـ لأهل المعرفة ـ شِرْك بالله».

وقال: «مَن عرف الله لا يكون له غَمٌّ أبداً».

وقال: «الفَرَحُ بالله أولى من الحُزن بين يَدَي الله».

وقال: «قلوبُ أهل الحقِّ طائرةٌ إليه بأجْنِحة المعرفة، ومُستبشرة إليه بمُوالاةِ المحبّة».

وقال: «الحرِّيةُ هي حريةُ القلب لا غيرُ».

وقال: «ليس مَن احتجبَ بالخَلْق عن الحقِّ، كمن احتجب بالحقِّ عن الخَلْق. وليس مَن جذبته أنوار قُدْسِه إلى أُنْسِه. كمنْ جَذَبتْه أنوارُ رحمته إلى مغفرته».

وقال: «أَحبَّكَ الخلقُ لنَعْمائِك، وأنا أُحِبُّك لبَلائِك».

أين أنتم من وأما بنعمة ربك فحدث.

وقال: «مَن كان بالحقِّ تلفُه، كان الحقُّ خَلَفَه».

وقال: «ما أحوجَ الناسَ إلى سَكْرةٍ!. فقلتُ: يا سيِّدي! أيُّ سَكْرة؟. فقال: سَكْرة تغْنيهم عن ملاحظة أَنْفُسهم، وأفعالِهم، وأَحْوالِهم.

وجاء رجل إلى الشِّبْلِيِّ، فقال: كم تُهلك نفسك بهذه الدَّعاوَى، ولا تدعُها؟! فأنشأ يقول، متمثِّلاً:

إنِّي، وإنْ كنتَ قد أسأتَ بي اليو ... مَ، لَراجٍ للعَطْفِ منك غدَا
أستدفِعُ الوقتَ بالرجاء، وإنْ ... لم أرَ منك ما أرْتَجي أبَدَا
أَغُرُّ نفسي بكم، وأَخْدعُها ... نفسٌ ترى الغَيَّ فيكم رَشَدَا

وقال: «رفع الله قَدْر الوسائط بعلو هِمَمِهم. فلَو أَجْرى على الأولياءِ ذرَّةً مما كشف للأنبياء، لبطلوا وتقطَّعوا».

وقال: «الحقُّ يُفْني بما به يُبْقِي، ويُبْقِي بما به يُفْنِي؛ [يُفْنِي بما فيه بقاء، ويُبْقِي بما فيه فناء]. فإذا أفنى عبداً عن إياه، أوصله به، وأشْرفَه على أسراره».

وسُئِل الشِّبْلِيُّ، وسئل: إلى ماذا تَحِنُّ قلوبُ أهلِ المعارف؟. فقال: إلى بدايات ما جرى لهم في الغَيْب، من حسن العناية في الحضرة بَغْيَبَتِهم عنها».

٢ ـ أبو محمد المرتعش

هو أبو محمد، عبدُالله بنُ محمد، المُرْتَعِشُ النَّيْسَابُورِيُّ من مَحَلَّة الحِيرَة.

صَحِب أبا حَفْصٍ الحدَّاد، وأبا عُثمان الحدَّادَ. ولَقِيَ الجُنَيْدَ وصَحِبه. وأقام ببغدادَ حتى صار أحدَ مشايخ العراق وأَئِمَّتهم؛ كان مشايخ العراق، يقولون: عجائبُ بغداد ـ في التصوف ـ ثلاث: إشاراتُ الشِّبْلِيِّ، ونُكَتُ المُرْتَعِش، وحكاياتُ جعفر الخُلْدِيِّ».

توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

وقال: «سكون القلب إلى غير المَوْلَى تعجيلُ عقوبةٍ من الله في الدنيا».

وقال المُرتَعِشُ: «ذهبتْ حقائقُ الأشياء، وبقيت أسماؤها؛ فالأسماءُ موجودة، والحقائق مفقودة. والدَّعَاوَى في السرائر مكنونةٌ، والألسنةُ بها فصيحة؛ والأمور عن حُقوقها مصروفةٌ. وعن قريب، تُفقَد هذه الألسنة، وهذه الدَّعَاوَى؛ فلا يوجد لسان ناطق، ولا مدَّعٍ مُطْنِب».

وقال: «ما توجَّهتُ إلى الله تعالى بسِرٍّ خاصيٍّ إلاَّ في ظاهرٍ عاميٍّ».

وقال المُرتَعِشُ: «الوسْوَسةُ تؤدِّي إلى الحيرة، والإلهام يؤدِّي إلى زيادة فَهْمٍ وبيان».

وقال: «أصولُ التوحيد ثلاثة أشياء: معرفةُ الله تعالى بالرُّبُوبِيَّة؛ والإقرارُ له بالوحدانيَّة؛ ونَفْيُ الأندادِ عنه جملةً».

وقال: «أفضلُ الأعمال تصحيحُ العُبوديَّة على المشاهدة، ومُلازمةُ الخِدْمة على السنة».

وسُئِل المرتَعِش: «بماذا يَنال العبدُ حبَّ الله تعالى؟ فقال: ببغض ما أبغض الله؛ وهي الدنيا، والنفس».

وسُئِل المرتَعِشُ مرة أخرى: «بماذا ينال العبدُ المحبَّة؟. قال: بمُوالاة أولياءِ الله، ومُعاداة أعدائِه. ثم نظر إلى بعض جلسائه.

وقال المُرتَعِشْ: «تصحيحُ المعاملاتِ كلِّها بشيئين؛ وهما: الصبر، والإخلاص. الصبر عليها، والإخلاص فيها».

وقال: «الإرادةُ حَبْس النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله، والرضا بموارد القضاء عليه».

وقال: «إنَّ فلاناً يمشي على الماء!. فقال: عندي أنَّ مَن مكَّنه الله مِن مُخالفة هواه، فهو أعظمُ من المشي على الماء، وفي الهواء».

وقال: «المسلمُ محبوب إلى الخَلْق، والمؤمن غَنِيٌّ عن الخَلْق».

وسُئِل المُرتَعِشُ عن التصوف فقال: «الإشكالُ، والتلبيسُ، والكتمانُ».

وقال رجلٌ للمُرتَعِش: أوصني!. فقال: «إذهب إلى مَن هو خيرٌ لك مِنّي، ودَعْني إلى من هو خيرٌ لي منك».

وجاء رجل إلى المرتَعِش، فقال: «أيّ الأعمال أفضل؟. فقال: رؤية فضل الله».

رُؤِي المرتَعِشُ ـ في العَشْر الأواخر من رمضان ـ خارجاً من المسجد الجامع. فقيل له: ما الذي أخرجك من المسجد؟! فقال: مشاهدة القُرَّاء، وتعظيم طاعاتِهِم عندهم».

وقال المُرتَعِشُ: «مَن ظنَّ أنَّ أفعاله تُنجِيه من النار، أو تُبلغُه الرضوان؛ فقد جعل لنفسه، ولِفعْله، خطرا. ومن اعتمد على فَضْل الله، بلَّغه الله إلى أقصى منازِل الرضوان. قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. [يونس: ٥٨]

وقال: «اعتمِدْ على ضمانِ الله لك في رزقك. واجتهد في أداء ما افترضه عليك، تكن من خواصِّه».

وقال المُرْتَعشُ: «السكونُ إلى الأسباب يقطع القلوبَ عن الاعتماد على المُسبِّب».

٣ ـ أبو علي الروذباري

هو أحمدُ بنُ محمد بن القاسم بن منصور أبو علي الروذباري.

وهو من أهل بغداد. سكَن مصر، وصار شيخها.

صَحِب أبا القاسم الجُنَيْد، وأبا الحُسَين النُّورِيَّ، وأبا حمزة، وحَسـ المُسُوحِيَّ؛ وصحب بالشام ابن الجلاء.

وكان عالماً، فقيهاً، عارفاً بعِلم الطريقة، حافظاً للحديث.

تُوُفِّي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وبسنده عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ذاك مَخافةُ الإجلال.

وبسنده أيضاً عن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله تَعالَى لَيَعْمُر بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ، ويُكْثِرُ لَهُم الأَمْوَالَ؛ وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُنْذُ خَلَقَهُمْ بُغْضاً. قِيلَ: يَا رَسُولَ الله! وَكَيْفَ ذَلِك؟!. قَالَ: بِصِلَتِهِمْ أَرْحَامَهُمْ).

وسُئِل عن الإشارة ـ فقال: «الإشارةُ الإبانةُ عما يتضمنُه الوجدُ من المشار إليه، لاغير. وفي الحقيقة، إنّ الإشارة تَصْحبُها العِلَل، والعِلَل بعيدةٌ من عين الحقائق».

وسُئِل عن المريد والمراد ـ فقال: «المريدُ الذي لا يريد لنفسه إلاّ ما أراد الله له. والمرادُ لا يريد من الكونين شيئاً غيره».

وسُئِل أبو علي عمَّن يسمع الملاهي، ويقول: هي لي حلال؛ لأنِّي قد وصلتُ/ إلى درجة لا يؤثِّر فِيَّ اختلاف الأحوال. فقال: نعم! قد وصل لعمري؛ ولكن إلى سَقَر».

وسُئِل عن التَّصوُّف ـ فقال: «هذا مذهب كله جَد، فلا تخلطوه بشيء من الهزل».

وقال: «فضلُ المقال على الفَعال مَنْقَصة؛ وفضلُ الفَعال على المقال مَكْرُمة».

وقال: «لا رضي لمن لا يصبر؛ ولا كمال لمن لا يشكر؛ وبالله وصل العارفون إلى محبّته، وشكروه على نِعْمته».

وقال: «لو تكلَّم أهلُ التوحيد بلسان التجريد لما بقي مُحِقٌّ إلاَّ مات».

وعن التوبة قال: «الاعتراف، والندم، والإقلاع».

وقال: «والأهم قَبْل أفعالهم، وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالِهم».

وقال: «المشاهداتُ للقلوب؛ والمكاشفاتُ للأسرار؛ والمعايناتُ للبصائرِ؛ والمراعاتُ للأبصار».

وقال أبو عليّ: «مَن نظر إلى نفْسه مرةً، عَمِي عن النظر بالاعتبار إلى شيءٍ من الأكوان».

وقال: «ما ادَّعَى أحدٌ قطُّ إلا لخُلوِّه عن الحقائق. ولو تحقّق في شيءٍ لنطقتْ عنه الحقيقةُ، وأغناه عن الدَّعاوَى».

وقال: «أنْفعُ اليقينِ ما عظَّم الحقَّ في عينيك؛ وصغَّر ما دونه عندك؛ وأثبت الخوفَ والرجاءَ في قلبك».

وقال: «ما أظهر من نِعَمه دليلٌ على ما أبطن من كرَمه».

وقال: «مِنَ الاغترار أن تُسِيءَ فيُحسنَ إليك، فتَتْرِكَ الإنابةَ والتَّوْبَةَ، تَوهُّماً أنَّك تُسَامَح في الهفواتِ، وترى أنّ ذلك في بَسْط الحقِّ لك».

وقال أبو عليّ: كيف تَشْهدُه الأشياءُ، وبه فنيتْ بذواتها عن ذواتِها؟. أم كيف غابتْ الأشياءُ عنه، وبه ظهرتْ وبصفاته؟.

فسُبْحان من لا يشهدُه شيءٌ! ولا يغيبُ عنه شيءٌ!».

وقال: «تشوّقت القلوبُ إلى مشاهدة ذات الحق، فأُلْقِيَتْ إليها الأسامي، فرَكَنتْ إليها. والذّاتُ مُسْتَتِرةٌ إلى أوانِ التَّجلِّي؛ وذلك قولُه تعالى ﴿وَلله الأسماءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠] أي وَقِفُوا معها عن إدراك الحقائق».

وقال: «أظهر الحقُّ الأسامِيَ، وأبداها للخَلْق ليَسكُنَ بها شوقُ المُحِبِّينَ إليه،

وتَأنَسَ بها قلوبُ العارفين له».

وقال أبو عليّ: «أستاذي في التصوف الجُنَيْد. وأستاذي في الفقه أبو العبَّاس بن سُرَيْج. وأستاذِي في الأدب ثَعْلب. وأستاذي في الحديث إبرهيمُ الحربِيُّ».

٤ ـ أبو عليّ الثقفيَ

هو محمد بنُ عبدالوهّاب أبو علي الثقفي. لقى أبا حَفْص، وحَمْدُوناً القَصَّار.

وكان إماماً في أكثر علوم الشرع، مُقدَّماً في كل فن منه. عطَّلَ أكثر علومه، واشتغل بعلم الصوفية، وتكلم فيه أحسن كلام.

«توفي أبو عليّ سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة».

أسند الحديث عن أنَس؛ أنَّ رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، قال: (مَنْ جَاءَ مِنكُم الجُمْعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ).

وبسنده أيضاً عن أنَس بن مالك، رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله، صلّى الله عليه وسلّم، قال: (الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ).

وقال: «كمالُ العبوديّة هو العجزُ والقصورُ عن تدارِكُ مَعْرِفة عِلَل الأشياء بالكلية».

وقال: «لكل شيءٍ حدٌّ وكمال. فمن صَحِب الأشياءَ على حدودها فقد أفلح وأبحح؛ ومن قصَّر عن حدودها فقد ضيَّع حقَّها؛ ومن تجاوز حدَّها، فقد أشرف على هلاك نفسه».

قال أبو علي الثَّقَفِيُّ لبعض أصحابه: «ينبغي ألّا تفارق هذه الخلالَ الأربعةَ:

صِدْق القول، وصِدْق العمل، وصِدْق المَودَّة، وصِدْق الأمانة».

وقال: «لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صواباً؛ ومِن صوابِها إلا ما كان خالصاً؛ ومِن خالِصها إلاّ ما وافق السُّنة».

وقال: «من صَحِب الأكابرَ على غير طريق الحُرْمَة حُرِم فوائدهم، وبركاتِ نظرهم؛ ولا يظهر عليه من أنوارهم شيء».

وقال: «تمام العلمِ انقطاعُ الرجاء عن بلوغ كنهه».

وقال: «أُفٍّ من أشغال الدنيا، إذا أقبلت!. وأُفٍّ من حسراتها إذا أدبرت!. والعاقل من لا يركن إلى شيء، إذا أقبل كان شُغلا، وإذا أدبر كان حسرةً».

وقال: «لا تَلتمسْ تقويمَ مالا يستقيمُ، ولا تأديبَ مَن لا يتأدَّب».

وقال: «العلم حياة القلب من الجهل، ونور العين من الظُّلْمة».

وقال: «يا مَن باع كلَّ شيءٍ، بلا شيء! واشترى لا شيءَ بكلِّ شيء!».

وقال: «الفروعُ الصحيحةُ لا تتفرَّع إلاَّ من أصلٍ صحيح. فمَن أراد أنْ تَصحَّ له أفعالُه على السنَّة، فليُصَحِّح الإخلاصَ من قلبه؛ فإنّ تصحيح ظواهرِ الأعمالِ بصحَّة بواطن الإخلاص».

حضرتُ مجلسَ أبي عليّ الثَّقفِيِّ.

وقال: «مَن غلبه هواه توارَى عنه عقله».

وقال: «الغَفْلةُ وسَّعتْ على الخَلْقِ الطُّرُقَ في معايشهم، وأفعالهم. والورعُ واليقظَة ضَيَّقتْ عليهم ذلك».

وقال: «المعروفُ كَنْزٌ لا يبعُد من بَرٍّ ولا فاجر».

وقال: «أربعةُ أشياءَ، لا بُدَّ للعاقل من حفظهنّ: الأمانة، والصدق، والأخ الصالح، والسَّريرة».

وقال: «لو أنَّ رجلاً جَمع العلومَ كلَّها، وصَحِب طوائفَ الناسِ، لا يبلغ مَبْلغَ الرجال إلا بالرياضة من شيخ، أو إِمام ، أو مؤدِّب، أو ناصِح. ومَن لم يأخذْ أَدَبَه مِن آمِرٍ له وناهٍ، يُريه عيوبَ أعماله، ورُعوناتِ نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات.

وقال: «ليس شيء أولى بأن تُمسِكَه، من نفسك؛ ولا شَيءَ أولى بأَنْ تَغلبَه من هواك».

وقال أبو عليّ: «يأتي على هذه الأمة زمانٌ لا تطيب المعيشةُ فيه لمؤمنٍ، إلاَّ بعد استناده إلى مُنافِق».

٥ ـ عبدالله بن محمد بن منازل

هو أبو محمَّد، عبدُالله بنُ محمد بن مُنازِل. مِن أَجَلِّ مشايخ نَيْسابور، له طريقة يتفرَّد بها.

صَحِب أبا صالح، حَمْدون بنَ أحمدَ، القصَّار؛ وأخذ عنه طريقتَه. وكان عالماً بعلوم الظاهِر. كتب الحديثَ الكثيرَ، ورواه.

توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. وأسند الحديث.

وبسنده عن أبا هُرَيرة، يقول: قال رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنِ اتَّخَذَ كلباً، لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ وَلاَ غَنَمٍ، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كلَّ يَومٍ قِيرَاطٌ).

وقال: «لا خير فيمنْ لم يذُقْ ذُلَّ المكاسب، وذُلَّ السؤال، وذلَّ الرد».

وقال: «مَن رَفَع ظِلَّ نفسه عن نفسه عاش الناسُ في ظِله».

وقال: «عبِّر بلسانك عن حالِك، ولا تكن بكلامِك حاكياً أحوال غيرك».

وقال: «من ألزم نفسه شيئاً لا يحتاج إليه ضَيَّع من أحوالِ مثلِه، مما يحتاج

إليه، ولا بُدَّ له منه».

وقال: «مَن عظُم قدرُه عند الناس يجب أن يَحتقِر نفسَه عنده. ألا ترى أنّ إبرهيم، صلى الله عليه وسلم، لما اتخذه الله خليلاً، قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[ابراهيم: ٣٥].

وقال: «من دخل في هذا الأمر بضَعْفٍ قَوِي فيه. ومَن دخله بقوة ضعُفَ وافتَضَح».

وسُئِل عن العبُودِيَّة، فقال: «هي اضطرار، لا اختيار فيه».

وقال: «لا يجتمعُ التسليمُ والدعوى بحال».

وقال: «اتركْ التكلُّف والتدبيرَ. وانظر إلى الحال والتحويل».

وقال: «لو صَحَّ لعبدٍ في عمره نَفَس منْ غير رِياءٍ ولا شِرْك لأثَّرتْ بركاتُ ذلك عليه إلى آخر الدهر».

وقال: «الإنسانُ عاشِقٌ على شَقَاوَته».

وقال: «يموتُ الإنسانُ ولا يخلِّف بعده شيئاً أكثر من التدبير».

وقال: «ذَكَر الله تعالى أنواعَ العبادات. فقال: ﴿الصَّابرينَ والصَّادِقينَ والقانتينَ والمُسْتَغْفِرينَ بِالأَسْحَارِ﴾.[آل عمران:١٧] فختم المقامات كلَّها بمقام الاستغفار؛ ليرَى العبدُ تقصيرَه في جميع أفعاله وأحواله، فيستغفر منها».

وقال: «كيف ينظر الإنسان إلى أمامه ووراته، وهو غائب عن مَقامِه ووقته؟!».

وقال: «لم يُضَيِّع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع السنن. ولم يُبْتَل أحدٌ بتضييع السُّنَن إلا أوشك أن يُبْتَلى بالبِدَع».

وقال: «التفويض مع الكَسْب خير من خُلُوِّه عنه».

وقال: «كان الواجبُ على أبي عَلِيّ الثَّقَفِيِّ أَنْ يتكلّم لنفسه، لا للخلق. لذلك لا يصل إليه بركاتُ كلامه».

وقال: «أحكام الغيب لا تشاهَدُ في الدُّنيا، ولكنْ تُشَاهَد فضائحُ الدَّعْوَى».

وقال لبعض أصحابه: «قد عشِقْتَ نفْسَك، وعشِقْتَ من يَعْشَقك!».

وقال: «العبُوديَّةُ الرجوعُ في كلّ شيءٍ إلى الله تعالى على حدِّ الاضطرار».

وقال: «لا ينبغي أن يتفَرَّغَ العبدُ إلى السننِ إلا بعد فراغه من أداء الفرائض».

وقال: «أنت تُظهِرُ دعوَى العبوديَّة، وتُضمِرُ أوصافَ الربوبيّة».

وقال: «كل فَقْرٍ لا يكون عن ضرورة لا يكون فيه فضيلة».

وقال: «من احتجتَ إلى شيءٍ من علومه، فلا تنظُرْ إلى عيوبه، فإنَّ نظرَك يحرمُك بركة الانتفاع بعلمه».

٦ ـ أبو الخير الاقطع التيناتي

هو أبو الخَيْر الأَقْطَع. وأصله من المغرب، سكن التِّينَات . وله آيات وكراماتٌ يطول ذكرها.

صَحِب أبا عبدالله بنَ الجلاء، توفي سنة نيِّف وأربعين وثلاثمائة.

قال: «دخلتُ مدينة رسول الله، صلّى الله عليه وسلَّم؛ وأنا بفَاقَةٍ. فأقمتُ خمسةَ أيام ما ذقتُ ذَواقاً؛ فتقدَّمتُ إلى القبر، وسلمتُ على النبي، صلّى الله عليه وسلَّم، وعلى أبي بكرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ الله عنهما. وقلت: أنا ضيفُكَ الليلةَ، يا رسول الله!. وتَنَحَّيتُ ونمتُ خلف المنبر. فرأيتُ في المنام النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلَّم، وأبو بكر عن يمينه، وعُمَر، عن شِماله، وعلي بن أبي طالب بين

يديه، رضي الله عنهم.

فحركني عليٌّ، وقال: قُمْ، قد جاء رسول الله، قال: فقمتُ إليه، وقبَّلْتُ بين عينيه؛ فدَفَع إلي رغيفاً، فأكلتُ نصفَه، وانتبهتُ، فإذا في يدي نصفُ رغيف».

وقال: «القلوبُ ظُروف: فَقَلْب مملوءٌ إيماناً، فعلامتُه الشفقةُ على جميع المسلمين، والاهتمامُ بما يَهُمُّهُمْ، ومعاوَنَتُهم بما يعود صلاحُه إليهم؛ وقلبٌ مملوءٌ نفاقاً، فعلامتُه الحِقْد، والغلُّ، والغشُّ، والحسد».

وقال: «لَنْ يَصْفُوَ قلبُك إلا بتصحيح النيَّةِ لله تعالى؛ ولن يَصْفُوَ بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى».

وقال: «ما بلَغ أحدٌ إلى حالةٍ شريفة إلا بملازمة الْمُوافقة، ومُعانَقَة الأدب، وأداء الفرائض، وصُحْبَة الصالحين، وحُرْمة الفقراء الصادقين».

وقال: «حرامٌ على قلبٍ مأسورٍ بحُبِّ الدنيا أن يسيحَ في رُوح الغيب».

وقال: «إنَّ الذّاكر لله تعالى لا يقوم له ـ في ذكره ـ عِوَض؛ فإذا قام له العِوَض خرج من ذِكْره».

وقال: «مَن لم يكن له مع الله صُحْبة دائمة، بمعرفة اطلاعه عليه، ومُراعاته لتصريف الموارد به، ومشاهدة منه قاطعة، اعترضتْ عليه الأحزان، من ظهور المِحَن، وتغيير الزمان».

وقال: «الدَّعْوَى رعونة، لا يحتمل القلبُ إمساكَها فيلقيها إلى اللسانِ، فتنطق بها ألسنةُ الحمقى، ولا يعرف الأعمى ما يُبْصِره البصيرُ من محاسنه وقبائحه».

٧ ـ أبو بكر الكتاني

هو محمدُ بنُ عليِّ بن جعفر الكَتَّانِيُّ. وكُنيتُه أبو بكر؛ أصله من بغداد.

صَحِبَ الجُنَيْدَ، وأبا سعيدٍ الخرَّازَ، وأبا الحُسين النُّورِيَّ. وأقام بمكَّة، مجاوراً بها.

توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وقال: «إن لله ريحاً تُسمَّى الصَّبِيحَةُ، مخزونةً تحت العرش، تهب عند الأسحار، تحمل الأنين والاستغفار، إلى الملكِ الجبار».

وقال: «إذا سألتَ الله تعالى التوفيقَ فابدأ بالعمل».

وسأله بعضُ المريدين، فقال له: «أوصني!. فقال: كن كما تُرِي الناسَ، وإلاّ فأَرِ الناسَ ما تكون».

وقال: «كُنْ في الدُّنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك».

وقال: «الشُّكر في موضع الاستغفار ذنب؛ والاستغفارُ في موضع الشكر ذَنْب».

وقال: «رَوْعَةٌ عند انتباهٍ عن غَفْله، وانقطاعٌ عن حظ النفسانيَّة، وارتِعادٌ من خوفِ قطيعة، أفضلُ من عبادة الثقلين».

وقال: «وُجودُ العطاء من الحقِّ شهودُ الحقِّ بالحقِّ؛ لأنّ الحقَّ دليلٌ على كل شيءٍ؛ ولا يكون شيء ـ دونَه ـ دليلاً عليه».

وقال: «الشهوةُ زِمامُ الشيطان؛ فمن أَخَذ بزمامه كان عبدَه».

وسُئِل الكتَّانيُّ عن حقيقة الزُّهد، فقال: «فَقْدُ الشيءِ، والسرورُ ـ من القلب ـ بفقده، وملازمةُ الجهد إلى الموت، واحتمالُ الذلِّ صبراً، والرضا به حتى تموت».

وقيل للكتانيِّ: «مَن العارف؟. فقال: من يوافق معروفه في أوامرِه، ولا يخالفه في شيءٍ من أحواله، ويتحبَّبُ إليه بمحبَّة أوليائه، ولا يَفترُ عن ذكره طرفة عين».

وقال: «الصوفيَّةُ عبيدُ الظواهر، أحرارُ البواطن».

وقال: «سماعُ العوامِّ على متابعةِ الطّبْع، وسماعُ المريدين رغبةٌ ورَهْبة، وسماعُ الأولياءِ رؤية الآلاء والنعم، وسماعُ العارفين على المشاهدة، وسماعُ أهلِ الحقيقة على الكَشْف والعِيان. ولكل واحدٍ من هؤلاء مصدر ومقام».

وقال: «الموارِدُ تَرِد، فتصادف شَكْلاً أو موافقةً؛ فأيُّ وارِدٍ صادفَ شَكْلاً مازَجَه، وأيُّ وارِدٍ صادفَ مُوافِقاً ساكَنَه».

وقال: «المستمِعُ يجب أن يكون في سماعه غير مُسْتَرْوِحٍ إليه. يَهيجُ منه السماعُ وَجْداً، أو شوقاً، أو غلبةَ وارِدٍ عليه، يُفْنيه عن كلِّ مَسكونٍ ومألوف».

وقال: «إنّ الله نظر إلى عبيد مِن عبيده، فلم يرهم أهلاً لمعرفته، فشغلهم بخدمته».

ونظر محمدُ بنُ عليٍّ الكَتَّانِيُّ إلى شيخ كبير أبيض الرأس واللحية، يسأل. فقال: هذا رجل أضاع أمر الله في صِغَره، فضيَّعه الله في كِبَره».

وقال: «إذا صح الافتقار إلى الله صحَّ الغنى به، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه».

وقال: «الغافلون يعيشون في حلم الله، والذاكرون يعيشون في رحمة الله، والعارفون يعيشون في لطف الله، والصادقون يعيشون في قرب الله».

وسُئِل الكَتَّانِيُّ عن السُّنَّة التي لم يتنازعُ فيها أحد من أهل العلم، فقال: «الزهدُ في الدنيا، وسخاوة النفس، ونصيحة الخلق».

وقال: «من كان الله هَمَّه لا يستقطعه من الكون شيء، ولا يأسره من زينتها قليل ولا كثير».

وسُئِل الكَتَّانِيُّ عن المُتَّقِي، فقال: «مَن اتَّقَى ما لَهِج به العوامُّ، من متابعة الشهوات، ورُكوبِ المخالفات؛ ولزمِ باب الموافقة؛ وأَنِس براحة اليقين؛

واستَنَدَ إلى ركن التوكل؛ وأتته الفوائد من الله عز وجل، في كل حال، فلم يغفل عنها».

وسئل عن الصوفي، فقال: «مَن عزفتْ نفسُه عن الدنيا تَظَرُّفاً، وعَلَتْ هِمَّتُه عن الآخرةِ؛ وسَخَتْ نفسُه بالكلِّ، طلباً وشوقاً إلى من له الكل».

وقال: «حقائق الحق إذا تجلَّت لسِرٍّ أزالتْ عنه الظنونَ والأمانِيَّ؛ لأن الحقَّ إذا استولى على سرٍّ قَهَرَه، ولا يبقى للغير معه أثر».

وقال: «العلم بالله أَتمُّ من العبادة له».

٨ ـ أبو يعقوب النهرجوري

هو أبو يعقوب، إسحاقُ بنُ محمد. صحب الجُنَيْد، وعَمْرو بن عثمان المكِّيَّ، وأبا يعقوب السُّوسِيَّ.

أقام بالحرَم سنين كثيرة مجاوِراً، توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة.

قال: «الصدقُ مُوافقةُ الحقِّ في السر والعلانية. وحقيقة الصدق القول بالحق في مواطن التهلكة».

وقال: «العابدُ يعبد الله تحذيراً؛ والعارف يعرفه تشويقاً».

قال في قول القائل: (احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسَوءِ الظَّنِّ). فقال: «بسوء الظن بأنفسكم، لا بالناس».

وقال: «مفاوِزُ الدنيا تقُطَع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تُقطَع بالقلوب».

وقال: «من كان شبعَهُ بالطعام، لم يزل جائعاً.

ومن كان غِناه بالمال، لم يزل مفتقِراً. ومن قصد بحاجته الخَلْق، لم يزل محروماً.

ومن استعان في أمره بغير الله، لم يزل مخذولاً».

وقال: «الذي حصَّلَ أهلُ الحقائق في حقائقهم: أن الله تعالى غير مفقود فيطلب؛ ولا ذو غاية فيدرك. ومن أراد موجوداً فهو بالموجود مغرور. وإنما الموجود ـ عندنا ـ معرفة حال، وكشف علم بلا حال».

وقال: «الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب التقوى، والناسُ سفر».

وقال: «لا زوال للنعمة إذا شُكِرَتْ، ولا بقاء لها إذا كُفِرَتْ».

وقال في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾.[يوسف: ٢٠] فقال: «لو جعلوا ثمنه الكونَين لكان بَخْساً في مشاهدته، وما خُصَّ به».

وقال: «مشاهدةُ الأرواحِ تحقيق، ومُشاهدة القلوب تعريف».

وقال: «إذا اقتضاني ربِّي بعض حقه، الذي له قِبَلِي، فذاك أوانُ حزني. وإذا أذن لي في اقتضاء بِرِّه، فذاك أوانُ سروري ونعمتي؛ إذ كان بالجود، والفضل، والوفاء، موصوفاً؛ والعبد بالعجز والضعف موصوفاً».

وقال: «أعرف الناس بالله أشدُّهم تحيُّراً فيه».

وقال: «اليقينُ مشاهدةُ الإيمان بالغيب».

وقال: «مَن عرف الله لم يغتر بالله».

وقال: «الجمْعُ عينُ الحقِّ الذي قامتْ به الأشياءُ. والتفرقة صفوة الحقِّ من الباطن».

وقال: «لا يصل العارف إلى ربِّه إلا يقَطْع القلبِ عن ثلاثة أشياء: العِلْم، والعَملُ، والخَلْق».

وقال لرجل: «يا دنيء الهمة!. فقال: لم تقول هذا؟! أيها الشيخ!. قال:

لأن الله تعالى يقول: ﴿قل مَتَاعُ الدُّنيَا قَلِيلٌ﴾[النساء: ٧٧]. فانظر كم نصيبك من ذلك القليل، وكم في يدك منها، وأنت تبخل بها، وتريد أن يُكرِمَك الناسُ بسببها. لو بذلتها كنت قد بذلتَ قليلاً، ولو منعتها كنت قد منعتَ قليلاً. فلا أنت بالمنع ملوم، ولا أنت بالبذل محمود».

٩ ـ أبو الحسن المزين

هو أبو الحَسَن، عليُّ بنُ محمد المزين. من أهل بغداد. صَحِبَ الجُنَيدَ، وسَهْل بنَ عبدالله، ومَن في طبقتهما من البغداديين. وأقام بمكة مجاوراً.

تُوُفِّيَ سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

قال: «الذنبُ ـ بعد الذنب ـ عقوبةُ الذنب. والحسنةُ ـ بعد الحسنة ـ ثوابُ الحسنة».

وسُئِل المزَيِّنُ عن المعرفة، فقال: «أن تعرف الله تعالى بكمال الرُّبوبيَّة، وتعرف نفسَك بالعبوديَّة، وتعلم أنَّ الله تعالى أَوَّلُ كل شيء، وبه يقوم كلُّ شيء، وإليه مصيرُ كلِّ شيء، وعليه رزقُ كلِّ شيء».

وقال: «الطرُقُ إلى الله تعالى بعدد النجوم. وأنا مفتقر إلى طريق إليه، فلا أجده».

وقال: «من طلب الطريق إليه بنفسه تاه في أول قدم؛ ومن أُريدَ به الخيرُ دُلَّ على الطريق، وأُعين على بلوغ المقصد. فطوبَى لمن كان قصده إلى ربه، دون عرض من أعراض الأكوان».

وقال: «من استغنَى بالله أحوجَ الله الخلقَ إليه».

وقال: «متى ظهرت الآخرة فنيتْ فيها الدنيا؛ ومتى ظهر ذكر الله فنيت فيه

الدنيا والآخرة. فإذا تحقَّقت الأذكارُ فَنِي العبدُ وذِكْرُه، وبقى المذكور بصفاته».

وقال: «للقلوب خواطرُ، يشوبُها شيءٌ من الهوى لكنَّ العقول - المقرونة بالتوفيق - تزجر عنها وتنهى».

وسُئِل أبو الحَسن المُزَيِّنُ عن التوحيد، فقال: «أن تُوحِّد الله بالمعرفة، وتُوحِّده بالعبادة، وتُوحِّده بالرّجوع إليه في كل مالَك وعليك؛ وتعلم أنّ ما خطر بقلبك، أو أمكنك الإشارة إليه، فالله تعالى بخلاف ذلك؛ وتعلمَ أنّ أوصافه مباينة لأوصاف خَلْقه. باينَهم بصفاته قِدَماً كما باينوه بصفاتهم حدثاً».

وقال: «من افتقر إلى الله تعالى، وصحح فقره إليه، بملازمة آدابه، أغناه الله به عن كل ما سواه».

وقال: «مِلاكُ القلب في التبري من الحول والقوة».

وقال: «من أعرض عن مشاهدة ربِّه شغله الله بطاعته وخدمته. ولو بدا له نَجمُ الاحتراق لغيَّبه عن وساوس الافتراق».

وقال: «المعجَبُ بعمله مُستدْرَج. والمستحسِن لشيءٍ من أحواله مَمْكورٌ به. والذي يظن أنه موصول فهو مغرور. وأحسن العبيد حالاً مَن كان محمولاً في أفعاله وأحواله؛ لا يشاهد غير واحد، ولا يأنس إلاّ به، ولا يشتاق إلاّ إليه».

وسئل المُزَيِّن عن الفقير الصادق، فقال: «الذي يسكن إلى مَضمون الله له؛ ويزعجه دخول الأرفاق عليه، من أيّ وجه كان».

١٠ - أبو علي بن الكاتب

هو أبو عليّ بنُ الكاتب؛ الحَسنُ بنُ أحمد. من كبار مشايخ المصريين.

صَحِب أبا بكر المصريَّ، وأبا عليٍّ الرُّوذَبارِيَّ، وغيرَهما من المشايخ.

توفي سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

وقال: «إذا انقطع العبد إلى الله بكُلِّيته، فأوّل ما يُفيده الله الاستغناء به عن سواه».

وقال: «المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيثُ العقولِ فأخطأوا؛ والصوفيّة تزهوه تعالى من حيث العلم فأصابوا».

وقال: «يقول الله تعالى: وصل إلينا، من صبر علينا».

وقال: «إذا سمع الرجلُ الحكمة فلم يقبلْها، فهو مذنب؛ وإذا سمعها، ولم يعمل بها، فهو مُنافِق».

وقال: «صُحْبةُ الفُسَّاق داء، ودواؤها مفارقتُهم».

وقال: «إذا سكن الخوفُ في القلب لم ينطق اللسانُ إلا بما يعنيه».

وقال: «قيل لأبي عليٍّ بن الكاتب: إلى أيِّ الجنبتين أنت أميل؟ إلى الفقر أو إلى الغنى؟. فقال: إلى أعلاهما رتبةً؛ وأسناهما قدراً».

وقال: «إنَّ الله تعالى يرزق العبدَ حلاوة ذكره؛ فإن فرح به وشكره، آنسَه بقُربه؛ وإنْ قصَّر في الشكر، أجرى الذكرَ على لسانه، وسلبه حلاوته».

وقال: «روائح نسيم المحبة تفوح من المحِبِّين، وإن كتموها؛ وتظهر عليهم دلائلها، وإن أخفوها، وتدل عليهم، وإن ستروها».

وقال: «الهمَّة مُقدِّمة الأشياء. فمن صحح همتَه بالصدق، أتتْ عليه توابِعُه على الصحة والصدق؛ فإن الفروع تتبع الأصول. ومن أهمل همَّتَه، أتتْ عليه توابعُه مُهمَلَة. والمهمَلُ من الأحوال والأفعال، لا يصلح لبساط الحق».

١١ ـ أبو الحسين بن بنان

هو أبو الحُسين بنُ بُنَان؛ وهو من جِلّة مشايخ مصر. صحب أبا سَعِيدٍ الخرَّاز، وإليه ينتمي.

وقال: «كل صوفي يكون همُّ الرزق قائماً في قلبه، فلزومُ العمل أقربُ له إلى الله. وعلامةُ ركون القلب، والسكونِ إلى الله، أن يكون قويًّا عند زوال الدنيا وإدبارها عنه، وفقدِه إياها؛ ويكونَ بما في يد الله أقوى وأوثق منه بما في يده».

وقال: «اجتنبوا دناءةَ الأخلاق، كما تجتنبون الحرام».

وقال: «الحريَّةُ أن يكون السِّرُّ حرًّاً إلاّ من عبودية سيده. يصحُّ له بذلك العبوديَّة للحق، والحرِّية عن الخلْق».

وقال: «ذِكْر الله باللسان يُورِث الدرجات؛ وذِكْره بالقلب يُورِث القربات».

وقال: «الوِحدةُ جليس الصدِّيقين».

وقال: «آثارُ المحبةِ إذا بدتْ، ورياحها إذا هاجتْ، أماتتْ قوماً، وأحيت قوماً، وأفنتْ أسراراً، وأبقتْ أسراراً. تؤثِّر آثاراً مختلفة، وتُبدِي سرائر مكنونة، وتكشف عن أحوال مستترة».

وقال: «لا يُعظِّم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى».

١٢ ـ أبو بكر بن طاهر الأبهري

هو عبدالله بن طاهر بن حاتم الطائي، أبو بكر كان من أجلِّ المشايخ

بالجبل، وهو من أقران الشِّبْلِيِّ.

صَحِب يوسفَ بن الحُسين، ورافَق مُظَفَّراً القِرْميسِينِيَّ.

توفي قُرب الثلاثين وثلاثمائة.

وبسنده عن رَكْب المِصريِّ، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم (طوبَى لِمَنْ تَواضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ؛ وَذَلَّ فِي نَفْسَهُ، فِي غَيْرِ مَسْكَنَةٍ؛ وَأَنْفَقَ مَالاً جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ والحِكْمَةِ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ والمَسْكَنَةِ. طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ نفسه، وَ طَابَ كَسْبُهُ، وصَلُحَتْ سَرِيرَتُه، وكَرُمَتْ عَلاَنِيَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْفَقَ الفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ.

وقال: «الجمعُ جَمْعُ المتفرِّقاتُ، والتفرقةُ تفرقةُ المجموعات. فإذا جمعتَ؛ قلت: الله، ولا سواه. وإذا فرَّقتَ، نظرتَ إلى الكَوْن».

وقال: «جَمَعهم في آدمَ، وفرَّقهم في ذرِّيته».

وقال: «إنّ الله تعالى أَطْلع نبيَّه، صلّى الله عليه وسلم، على ما يكون في أمته ـ من بعده ـ من الخلاف، وما يُصيبُهم فيه؛ فكان إذا ذكر ذلك وجد إِغانَةً في قلبه منه، فاستغفر لأمته، صلّى الله عليه وسلَّم».

وقال: «احتياج الأشرار إلى الأخيار صلاحُ الطائفتين؛ واحتياجُ الأخيار إلى الأشرار فتنة الطائفتين».

وسئل مرة: «مابالُ الإنسان يحتمل من معلِّمه مالا يحتمل من أبويه؟. فقال: لأنَّ أبويه سببُ حياته الفانية، ومعلِّمَه سببُ حياته الباقية.

وقال: «من حُكْم الفقيرِ ألّا يكون له رغبة؛ فإن كان ولا بد، فلا تجاوز رغبتُه كفايتَه».

وقال: «إذا أحببتَ أخاً في الله، فأقِل مخالطته في الدنيا».

وقال: «في المِحَن ثلاثة أَشياء: تطهير، وتكفير، وتذكير. فالتطهيرُ من الكبائر؛ والتكفير من الصغائر؛ والتذكيرُ لأهل الصفاء».

سئل عن الحقيقة فأجاب: الحقيقةُ كلُّها عِلْم. فسألته عن العلم. فقال: العلم كُلُّه حقيقة».

وقال: «رأيتُ رجلاً يودِّع الكعبة، ويبكي، وينشد:

ألا رُبَّ مَن يدنو، ويزعم أنَّه يُحبُّك، والنائي أوَدُّ وأقْرَبُ

وقال: «من خاف على نفسه شقّ عليه ركوبُ الأهوال. ومن شقَّ عليه ركوبُ الأهوال، لا يرتقي إلى سُمُوِّ المعالي في الأحوال. قال النبي: صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الله يُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ).

وقال: «التوكُّل ألا تعجز عن حُكم وقتك. والمعرفةُ ألا تضيِّع حُكم وقتك».

١٣ ـ مظفر القرميسيني

هو مُظَفَّرٌ القِرْمِيسِينيُّ؛ هو من كبار مشايخ الجَبل وجلتهم، ومن الفقراء الصادقين. صَحِب عبدالله الخراز، ومن فوقه من المشايخ، وكان أوحد المشايخ في طريقته.

قال مُظَفَّرٌ القِرْميسينيُّ: «الصومُ ثلاثة: صومُ الروح، بِقِصَر الأمل؛ وصومُ العقل، بخلاف الهوى؛ وصومُ النفس، بالإمساك عن الطعام والمحارِم».

وقال: «التواضع قَبولُ الحقِّ مِمَّن كان».

وقال: «إذا صحت لك مودَّة أخيك فلا تبال متى يكون الالتقاء».

وسئل عن التصوف، فقال: «الأخلاق المرضية».

وقال مُظَفَّرٌ: «مَن صَحِب الأحداثَ على شرط السلامة والنصيحة، أداه ذلك إلى البلاء؛ فكيف بمن صحبهم على غير شروط السلامة؟!».

وقال مُظَفَّر: «أَخَسُّ الأرفاق أرفاقُ النِّسوان، على أي وجه كان».

وقال مُظَفَّر: «من عامَل الله بالصدق استوحش من صُحبة المخلوقين».

وقال مُظَفَّر: «العارف قلبه لمولاه، وجسده لخَلْقه».

وقال مُظَفَّر: «من أفقره الله إليه أغناه به؛ ليعرِّفُه بالفقر عبوديته، وبالغنى ربوبيته».

وقال: «من قتله الحبُّ أحياه القربُ».

وقال: «الجوعُ ـ إذا ساعدته القناعةُ ـ مزرعةُ الفِكْرة، ويَنْبوع الحكمة، وحياة الفِطنة، ومصباحُ القلب».

وقال مُظَفَّر: «يُحاسِبُ الله المؤمنين ـ يوم القيامة ـ بالمنة والفضل، ويحاسب الكفار بالحجة والعدل».

وقال مُظَفَّر: «أفضل ما يلقى به العبدُ ربَّه نصيحة من قلبه، وتوبة من ربه».

وقال: «ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً، وسعيُك فيها اضطراراً ورفضُك لها اختياراً».

وقال مظفر: «خير الأرفاق ما فتح الله لك به من وجه حلال، من غير طلب ولا سعي».

وقال مظفَّر؛ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾[الكهف: ١١٠]. قال: عملاً يصلح أن يلقى به ربَّه».

وقال مُظَفَّر: «من آواه الله إلى قُرْبه أرضاه بمجاري المقدور عليه، فإنَّه ليس على بِساط القُرْبَة تَسخُّط».

وقال مُظَفَّر: «بصحة الإيمان، وكمال التقوى، يفتح الله تعالى على العبد خير

الدنيا والآخرة؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة الأعراف: ٩٦].

وسُئِل مُظَفرُ: «ما خير ما أُعطِيَ العبد؟. قال: فراغُ القلب عما لا يعنيه، ليتفرغ إلى ما يعنيه».

وقال مُظفَّر: «ليس لك من عمرك إلا نَفَس واحدة؛ فإن لم [تُفْنها فيما لك، فلا] تُفْنها فيما عليك».

وقال مُظَفَّر: «أفضلُ أعمال العبيد حفظُ أوقاتهم. وهو ألاّ يُقَصِّروا في أمر، ولا يتجاوزوا عن حد».

وقال مُظفّر: «من تَأَدَّب بآداب الشرع تأدب به متبعوه. ومن تهاون بالآداب هلَك وأهلك».

وقال مُظَفّر: «من لم يأخذ الأدب عن حكيم لا يتأدب به مريد».

١٤ ـ أبو الحسين بن هند الفارسي

هو عليُّ بنُ هِنْد الفارِسيُّ القُرشِيُّ أبو الحسين. من كبار مشايخ الفُرس وعلمائهم.

صَحِب جعفراً الحذَّاء، ومن فوقه من المشايخ بفارس. وصَحِب أيضاً الجُنَيد وعَمْراً المَكِّيَّ.

قال: «ليس حكُم ما وصفنا حكَم ما نازلنا».

وقال: «المتمسِّكُ بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الأوقات. والمتمَسِّك بكتاب الله لا يخفى عليه شيء من أمور دينه ودنياه، بل يجري ـ في أوقاته ـ على المشاهدة، لا على الغفلة؛ يأخذ الأشياء من معدنها، ويضعها في معدنها».

وقال: «اسْتَرِحْ مع الله، ولا تَستَرِحْ عن الله. فإنَّ مَن استراح مع الله نجا، ومَن استراح عن الله هَلكَ. والاستراحةُ مع الله تروُّح القلب بذكره؛ والاستراحةُ عن الله مُداومةُ الغفلة».

وقال: «أُصولُ الخيرات أربعة: السخاءُ، والتواضعُ، والنُّسُك، وحسن الخلق».

وقال: «أَصلُ كلِّ خير ملازمةُ الأدب في جميع الأحوال والأفعال».

وقال: «عمارة القلب في أربعة أشياء: في العلم، والتقوى، والطاعة، وذكر الله. وخرابه من أربعة أشياء: من الجهل، والمعصية، والاغترار، وطول الغفلة».

وقال: «دُمْ على الصفاء إن كنتَ تطمع في الوفاء».

وقال: «في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً﴾ [الكهف: ١١٠] قال: «عملا يصلح أن يلقى به ربه عزَّ وجلَّ».

وقال: «من آواه الله إلى قُرْبه، أرضاه بمجاري المقدور عليه؛ فإنه ليس على بساط القُربة تسخُّط».

وقال: «الاستقامة تُقوِّم العبيدَ في أحوالهم، لا الأحوال تُقوِّمهم».

وقال: «مَن أكرمه الله تعالى بمعرفة أُحرمة والاحترام للأكابر، أوقع حرمته في قلوب الخَلْق؛ ومن حُرِم ذلك نَزَع الله حرمته من قلوبهم، فلا تراه إلا ممقوتاً، وإن حَسُنتْ أخلاقُه، وصَلُحتْ أحواله، لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (مِنْ تَعْظِيمِ جَلالِ الله إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ).

وقال: «من عظم قدرُ الخلق كلِّهم عنده، فذاك لعلمه بتخصيص خَلْقِهم من بين الحيوانات؛ وذلك من تعظيم الله في قلبه أن يعظم ما خَصَّصه الله عزَّ وجلَّ».

وقال: «حُسن الخُلُق على معانٍ ثلاثة: مع الله بترك الشكوى، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط وطيب نفس، ومع الخَلْق بالبِرّ والحِلْم».

قال، وسمعتُ أبا الحُسين بنَ هِنْد، يقول: «القلوبُ أوعيةٌ وظروف. وكُلُّ وِعاءٍ وظرف يصلُح لنوع من المحمولات:

فقلوب الأولياء أوعية المعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المُحِبِّين أوعية الشوق، وقلوبُ المشتاقين أوعية الأنس. ولكل من هذه الأحوال آداب، من لم يستعملها في أوقاتها هلك، من حيث يرجو النجاة».

وقال: «اجتهدْ ألاّ تفارق بابَ سيِّدك بحال، فإنَّه ملجأ الكُلِّ؛ فمن فارق تلك السُّدَّة لا يرى - بعدها - لقدميه قراراً ولا مَقاماً».

١٥ - إبراهيم بن شيبان القرميسيني

هو ابو إسحاق القِرْمِيسِينِيُّ ابراهيم بن شيبان، شيخ الجبل في وقته.

صَحِب أبا عبدالله المَغْرِبيَّ، وإبرهيم الخوَّاص. وكان شديداً على المُدَّعين، متمسِّكاً بالكتاب والسنة، لازماً لطريقة المشايخ والأئمة.

وأسند الحديث.

وبسنده: عن ابن عباس، قال: (نَظَرَ رَسُولُ الله، صَلّى الله عليه وسَلَّمَ، إلَى حَنْظَلَةَ الرَّاهِب، وَحَمْزَةَ تَغْسِلُهُمَا الملائكة».

وقال: «مَن أراد أن يتعطَّل ويتبطَّل فليلزم الرُّخَص».

وقال: «إن الخوفَ إذا سكنَ القلبَ أحرق مواضعَ الشهواتِ فيه، وطرد عنه رغبةَ الدنيا، وبعَّده عنها؛ فإنّ الذي قطعَهم، وأهلكهم، محبة الراكنين إلى الدنيا».

وقال: «علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصِحَّة العبودية، وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة».

وقال: «السِّفْلَة من لا يخاف الله تعالى».

وقال: «السِّفْلة من يعصي الله تعالى».

وقال: «السِّفْلة من يعطي لعوض».

و«السِّفْلَةُ من يمُن بعطائه على آخذه».

وقال: «التوكُّل سِرٌّ بين الله وبين العبد، فلا ينبغي أن يطلع على ذلك السر أحد».

وقال: «من أراد أن يكون حُرّاً من الكون فليخلص في عبادة ربّه؛ فمن تحقق في عبادة ربه صار حراً مما سواه».

وقال: «قال لي أبي: «يا بني! تعلَّم العلمَ لآداب الظاهر؛ واستعمل الورعَ لآداب الباطن؛ وإياكَ أن يشغلك عن الله شاغل؛ فقَلَّ من أعرض عنه، فأقبل عليه!».

وقال له ابنه: يا أبي! بماذا أَصِل إلى الورع؟ فقال لي: بأكل الحلال، وخدمة الفقراء. فقلت له: مَن الفقراء؟. فقال: الخَلْق كُلُّهم فقراء؛ فلا تُمَيِّزْ في خِدْمة من يُمكنُك مِن خدمته، واعرف فضلَه عليك في ذلك».

وقال: «التواضُع ـ من تصفية الباطن ـ تُلقَى بركاتُه على الظاهر. والتكبُّر ـ من كدورة الباطن ـ تظهر ظلمتُه على الظاهر».

وقال: «أهل المشاهدة لا يغيبون عنه قياماً ولا قعوداً، ولا نائمين ولا منتبهين. ولهم أحوال، يشتمل عليهم أنوارُ قُرْبه، فيغرقون فيها، ولا يتفرغون إلى الخلق، وما هم فيه. وتلك أحوال الدهشة، تراهم دَهِشين متحيرين، غائبين حاضرين؛ غائبين بأسرارهم، حاضرين بأبدانهم».

وقال: «عوَّض الله المؤمنين ـ في الدنيا ـ مما لهم، في الآخرة، بشيئين: عوَّضهم عن الجنة بالجلوسَ في المساجد؛ وعوَّضهم عن النظر إلى وجهه تعالى النظرَ إلى إخوانهم من المؤمنين».

وقال: «من ترك حُرمة المشايخ ابتُلِيَ بالدعاوَى الكاذبة، وافتضح بها».

وقال: «من تكلَّم في الإخلاص، ولم يطالبْ نفسه بذلك، ابتلاه الله بهتك سِتره عند إخوانه وأقرانه».

١٦ ـ أبو بكر بن يزدانيار

هو الحُسينُ بنُ عليِّ بن يَزْدَانيارَ أبي بكر، من أهل أُرْمِية. له طريقة في التصوف يختصُّ بها؛ وكان ينكر على بعض مشايخ العراق أقوالهم. وكان عالماً بعلوم الظاهر، وعلوم المعاملات والمعارف.

[وأسند الحديث].

وبسنده عن جابر، أن النَّبِيَّ، صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: (المُؤْمِنُ يَأْكُلُ في مِعي وَاحِدٍ، والْكَافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أَمْعَاء).

وقال: «إِياك أن تطمعَ في [الأنْس بالله، وأنت تحِبُّ الأُنس بالناس. وإياك أن تطمعَ في] حُب الله، وأنت تحبُّ الفضول. وإيَّاك أن تطمعَ في المنزلة عند الله وأنت تحبُّ المنزلةَ عند الناس».

وقال: «وردتُ القيامة، فرأيتُ آدم عليه السلام، والناسُ يسلِّمون عليه، ويصافحونه. فذهبتُ لأُصافِحه، وأُسَلِّمَ. فقال: أُغربْ عني! أنت الذي وقعتَ في أولادي الصوفية؟!. لقد قرَّتْ عيناي بهم!. فجاء قوم، فحالوا بيني وبينه».

وقال: «تُراني تكلَّمتُ بما تكلَّمتُ به، إنكاراً على التصوف والصوفية؟!.

واللهِ! ما تكلَّمتُ إلا غَيْرَةً عليهم؛ حيثُ أفشوا أسرارَ الحقِّ، وأَبْدَوها إلى غير أهلها؛ فحملني ذلك على الغَيْرَةِ عليهم، والكلام فيهم، وإلاَّ فهم السادةُ، وبمحبتهم أتقرَّبُ إلى الله تعالى».

وسئل: ما الفرقُ بين المُريد، والعارف؟ ـ فقال: «المريدُ طالب، والعارف مطلوب؛ والمطلوبُ مقتول، والطالب مرعوب».

وقال: «المحبَّةُ أصلُها الموافقةُ؛ والمحبُّ هو الذي يُؤْثِر رضا محبوبه على كلِّ شيء».

وقال: «الرُّوحُ مزرعةُ الخير، لأنها مَعدِنُ الرحمة؛ والنفسُ والجسدُ مزرعةُ الشرِّ، لأنها معدنُ الشهوة؛ والروحُ مطبوعةٌ بإرادة الخير؛ والنفسُ مطبوعةٌ بإرادة الشر؛ والهوى مدبِّرُ الجسد، والعقلُ مُدبِّر الروح؛ والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى؛ والمعرفة في القلب؛ والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان؛ والهوى صاحبُ جيش النَّفْس؛ والعقلُ صاحبُ جيش القلب؛ والتوفيق من الله مَدَدُ العقل؛ والخِذْلانُ مَدَدُ الهوى؛ والظَّفَر لمن أراد الله سعادتَه؛ والخِذْلانُ لمن أراد الله شقاوته».

وقال: «رِضَا الخلق عن الله رِضَاهم بفعله؛ ورضاه عنهم أن يوفِّقهم للرضا عنه».

وقال: «المعرفةُ صحةُ العلم بالله. واليقينُ النظر بعين القلب إلى ما عند الله تعالى، مما وعده وادخره».

وقال: «المعرفةُ تحقُّق القلبِ بوحدانية الله تعالى».

وقال: «المعرفةُ ظهورُ الحقائق وتلاقي الشواهد».

وقال: «من استغفر الله ـ وهو ملازم للذنب ـ حَرَّمَ الله تعالى عليه التوبةَ، والإنابة إليه».

١٧ ـ أبو اسحق إبراهيم بن المولد

هو أبو سحاق، إبرهيمُ بنُ أحمد بن المُوَلَّد. مِن كبار مشايخ الرَّقَّة وفتيانهم.

صَحِب أبا عبدالله بنَ الجلاَّء الدِّمَشْقِيّ، وإبرهيمَ بن داود القصَّارَ الرَّقِّيّ.

بسنده ابن عُمر، رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله، صلّى الله عليه وسلم: (لَوْ أَذِنَ الله لأَهْلِ الجَنَّةِ في التِّجَارَة، لاَ تَّجَرُوا بِالبَزِّ والعِطْرِ):

وقال: «مَن كانتْ بدايتُه نهايتُه، ونهايتُه بدايتُه في الاجتهاد يلزمه في البداية النهاية».

وقال: «من تولاه رعايةُ الحق أجلُّ ممَّن تؤدبه سياسة العلم».

وقال: «القيام بآداب العلم وشرائعه يبلغ بصاحبه إلى مقام الزيادة والقبول».

وقال: «إن العبد إذا أصبح، كان مطالَباً من الله بالطاعة، ومن نفسه بالشهوة، ومن الشيطان بالمعصية. لكنَّ الله تعالى رَفِق به، حيث أمره في ابتداء صباحِه بأمْرٍ، وبعث إليه منادياً يناديه، ويندبه إلى أمر الله، وهم المؤذِّنون؛ [يؤذِّنون] ويكبرون في آذانهم، تكبيراتٍ مكررات، يقولون له: الله أكبرُ، الله أكبرُ. فيكبر في قلبه أَمْرُ سيده؛ فيبادر إلى طاعته، ويخالف هوى نفسه وشيطانه؛ فإن بادر إليه، أكرمه الله بالظفر على نفسه، وغلبته لشهوته، وأعانه على عدوِّه، بقطع الوساوس من قلبه؛ فإنّ من بادر إلى بابه، ودخل في حرزه، صار غالباً لا مغلوباً».

وقال: «حلاوة الطاعة بالإخلاص، تذهب بوحشة العُجْب».

وقال: «عجبتُ لمن عرف أنّ له طريقاً إلى ربِّه كيف يعيش مع غير الله

تعالى، والله يقول: ﴿وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر: ٥٤].

وقال: «جُبِلتْ الأرواحُ من الأفراح؛ فهي تعلو أبداً إلى محلِّ الفرح من المشاهدة. والأجسادُ خُلِقَتْ من الأكماد؛ فهي لا تزالُ ترجع إلى كَمْدِها، من طلب هذه الفانية، والاهتمام بها ولها».

وقال: «مَن قال: «بِه»، أفناه عنه؛ ومَن قال: «مِنْه» أبقاه له».

وقال: «الأدبُ في الأكل ألا يَمُدُّوا أيديهم إلى الأرْفاق إلاَّ في أوقات الضرورات، ثم على قدر إمساك الرمق».

وقال: «من قام إلى أوامر الله، كان بين قَبول ورَدٌ. ومَن قام إليها بالله، كان مقبولاً لا شك».

وقال: «السياحة ـ بالنفس ـ لآداب الظواهر عِلْماً، وشرعاً، وخُلُقاً؛ والسياحة ـ بالقلب ـ لآداب البواطن حالاً، ووَجْداً، وكَشْفاً».

وقال: «الفَتْرةُ ـ بعد المُجاهدة ـ من فساد الابتداء. والحَجْبُ ـ بعد الكشف ـ من السكون إلى الأحوال».

وقال: «نفسك سائرةٌ بك، وقلبُك طائر بك؛ فكُن مع أسرعهما وصولاً».

١٨ ـ أبو عبدالله بن سالم البصري

هو أبو عبدالله، محمد بنُ أحمد بنِ سالم، صاحبُ سهلِ بن عبدالله التُّسْتَرِيِّ، وراوى كلامه؛ لا ينتمي إلى غيره من المشايخ.

وهو من أهل الاجتهاد، وله بالبصرة أصحاب ينتمون إليه، وإلى ابنه أبي الحَسن.

سأل رجلٌ أبا عبدالله [بنَ سالم]: «أنحن مُستَعبَدون بالكَسْب، أم بالتوكُّل؟.

فقال: التوكُّل حال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، والكسبُ سنَّةٌ رسول الله، صلى الله عليه وسلَّم. وإنَّما استُن الكسبُ لمن ضعُف عن حال التوكُّل، وسقط عن درجة الكمال، التي هي حاله صلى الله عليه وسلَّم. فمن أطاق التوكل، فالكسبُ غيرُ مباح له بحال، إلا كَسْبَ معاونة، لا كسبَ اعتماد عليه. ومن ضَعُف عن حال التوكل، التي هي حالُ رسول الله، صلى الله عليه وسلَّم، أُبِيح له طلبُ المعاش والكسب، لئلا يسقُط عن درجة سنته، حيث سقط عن درجة حاله».

وقال: «مَن عامَل الله تعالى على رؤية السبْق ظهرت عليه الكرامات».

وقال: «يزول عن القلب ظُلَم الرياء بنور الإخلاص، وظُلَمُ الكذب بنور الصدق».

وقال: «من صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أُنسه».

وسُئِل: بماذا يُعرَف الأولياء في الخَلْق؟. فقال: «بلُطْف لسانهم، وحُسْن أخلاقِهم، وبشاشة وجوههم، وسخاء أنفسهم، وقِلَّة اعتراضهم، وقبول عُذر من اعتذر إليهم، وتمام الشفقة على جميع الخلائق: بَرّهم، وفاجرهم».

وقال: «مَن توكَّل على الله أسكنَ الله قلبَه نور الحكمة، وكفاه كل هم، وأوصله إلى كلِّ محبوب، فإنه عزَّ وجَلَّ، يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. [الطلاق: ٣] أي هو القائم له بكل كفاية».

وقال: «التوكل على الله فريضة، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٢٣]. والحركة في طلب الرزق مباح لمن عجز عن التوكل؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿أنفقوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[البقرة: ٢٦٧]. فما يُفتَح بالطلب والكسب، منه طيِّبٌ وخبيث. وما يُفتَح بالتوكل لا يكون إلا طيباً، لأنّ ذلك من مَعدِن طيِّب».

وقال: «رُؤيةُ المِنَّة مفتاحُ التودُّد».

وقال: «يستر عَوْراتِ المرء عقلُه، وحِلْمُه، وسخاؤه. ويُقَوِّمُه في كلِّ أحواله الصِّدقُ».

وقال: «اجتهد في المراعاة لتلحقك الرِّعاية، فإنّ من كان في رعاية الحق في حِصْن حَصِين».

وقال: «مَن تَوحَّد بِبثِّه، وتفرَّد بهَمِّه، أورده ذلك إلى رياض تكشف عنه بثَّه، وتزيل عنه هَمَّه. ومن شكا بثَّه كان متردِّداً في الشكوى إلى أن يحكم الله فيه حكمه».

وقال: «العاقل من تبرَّم بعشرة المخالفين، وزَهِد في صُحْبة أبناء الدنيا. فإنَّهم إن لم يشغلوه بها شغلوه عمَّا هو فيه».

وقال: «ارفَعْ قدرَك عن ملازمة الطباع الدنيئة تدُسْ بين رَبْع الكرم، وتعشْ في محل النعم. فإنْ ألفتَها قَطَعتْ بك؛ وإن سئمتها بُلغَ بك إلى مالا أَيْنٌ، ولا حَدٌّ، ولا خبر ولا استخبار إذ ذاك، إنْ حَصُلَتْ ثَمَّ حَصُلتْ لك قيمة، وكنتَ إذ ذاك».

١٩ ـ محمد بن عليان النسوي

هو محمَّدُ بنُ عَلِيَّانَ النَّسَوِيُّ.

قال: «الزَّهادةُ في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة».

وقال: «مَن لم يتحقَّق في وداد ربِّه ومحبته، جَعَل مكان الوفاء ـ في المحبَّة ـ غدراً، ومكانَ الأُلفة نِفاراً».

وقال: «كيف لا تُحِب مَن لم تنفكَّ من بره طَرْفَة عين؟!. وكيف تدَّعى محبَّة مَن لم توافقْه طرفة عين؟!».

وسُئِل: ما علامةُ رضا الله عن العبد؟ ـ فقال: «نشاطه في الطاعات، وتثاقُله عن المعاصي».

وقال: «من أظهر كراماتِه فهو مدَّعٍ؛ ومن ظهرتْ عليه الكراماتُ فهو ولي».

وقال: «الفقرُ لباس الأحرار؛ والغِنَى لباسُ الأبرار».

وقال: «من صَحِبَ الفقراء فليصحبهم على سلامة السِّر، وسخاء النفس، وسَعة الصدر، وقبول المِحَن بالنعم».

وقال: «أفقر الفقراء مَن لا يهتدي إلى من يَقدِر على أن يُغنِيَه».

وقال: «آياتُ الأولياء وكراماتُهم، رضاهم بما يُسخِط العوامَّ عن مَجاري المقدور».

وقال: «لا يصفو للسَّخِيِّ سخاؤه إلا بتصغيره، ورُؤية فضل من يقبل منه».

وقال: «البِرُّ والمروءة حِفْظ الدين، وصيانةُ النفس، وحفظ حرُمات المؤمنين، والجود بالموجود، وقصور الرؤيةِ عنه وعن جميع أفعالك».

وقال: «الخوفُ له أثر في القلبِ، يُؤثِّر على ظاهر صاحبه الدعاءَ والتضرعَ والانكسار».

وقال: «علامةُ الأولياء خوفُ الانقطاع عنه؛ لشدَّة في قلوبهم، من الإيثار له، والشوق إليه».

وقال: «مَن خدم الله تعالى لطلب ثواب، أو خوف عقاب، فقد أظهر خِسَّته، وأبدى طمعَه. فقبيحٌ بالعبد أن يخدُم سيده لعوض».

وقال: «مَن سَكَن إلى غير الله تعالى، أهمله تعالى وتركه؛ ومَن سَكَنَ إلى الله تعالى، قطع عليه طريق السكون إلى شيءٍ سواه».

٢٠ ـ أبو بكر بن أبي سعدان

هو أحمدُ بنُ محمد بن سَعْدان؛ بغداديٌّ من أصحاب الجنيدِ والنُّوريّ وكنيته أبو بكر.

وكان عالماً بعلوم الشرع مُقدَّماً فيه. يَنتَحِل مذهب الشَّافعي.

قال: «مَن صَحِبَ الصوفيةَ فليصحبْهم بلا نفْس، ولا قلب، ولا مِلْك؛ فمتى نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بُلوغ مَقصده».

وقال: «مَن عَمِل بعلم الرواية، وُرِّث علم الدراية؛ ومن عمل بعلم الدراية وُرِّث علم الرعاية؛ ومن عَمِل بعلم الرِّعاية هُدِي إلى سبيل الحق».

وقال: «الشكرُ أن يشكر على البلاء شكره على النعماء».

وقال: «من سَمِع بأذنه حكى ومن سمع بقلبه وَعَى؛ ومن عمل بما يسمع هَدَى واهتدى».

وقال: «الانقطاع عن الأحوال سبب الوصول إلى الله تعالى».

وقال: «مَن قابَلَه بأفعاله، قابَلَه بعدله؛ ومن قابله بأفلاسه، قابله بفضله. ولا عملَ أتمُّ من الصدق، ولا أنورَ ولا أبْلَغَ منه؛ وقد قال الله عز وجل: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾[الأحزاب: ٨]. تَراه يقوم بحقيقة صدقه؟ أو بالجواب عن سؤاله؟؛ والأنبياء عجزوا حيث سُئِلوا: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾[المائدة: ١٠٩].

قال وسمعتُه يقول: «الصابر على رجائه لا يقنط من فضله».

وقال: «الاعتصام بالله هو الامتناع به من الغفلة والمعاصي، والبِدَع والضلالات».

وقال: «من جلس للمناظرة ـ على الغَفْلة ـ لزمتْه ثلاثة عيوب:

أولُها جِدال وصياح، وهو المنهى عنه. وأوسطها حب العُلُوّ على الخَلْق، وهو المنهى عنه. وآخرها الحقد والغضب، وهو المنهى عنه.

ومن جلس للمُناصَحَة، فإن أولَ كلامه موعظةٌ، وأوسطَه دلالةٌ، وآخرَه بركةٌ».

وقال: «من لم ينظر في التصوف فهو غَبِيٌّ».

وقال: «إذا بدت الحقائق سقطتْ آثارُ الفهومِ والعلوم. وبقي لها الرسم الجاري لِمحَلِّ الأمر، وسقط منه حقائقها».

وقال: «خُلِقَتْ الأرواح من النور، وأُسكِنتْ ظُلَم الهياكل. فإذا قَوِي الروح جانَس العقل، وتواترتْ الأنوار، وأزالتْ عن الهياكل ظُلمتها؛ فصارت الهياكل روحانية بأنوار الروح والعقل؛ فانقادتْ، ولزمتْ طريقتَها؛ ورجعتْ الأرواحُ إلى معدنها من الغيب، تطالع مجاري الأقدار. فهذه تطالع الجاري من الأقدار، وهذه ترضى بموارد القضاء والقدر. وهذا من لطائف الأحوال».

وقال: «الصوفي هو الخارج عن النعوت والرسوم. والفقير هو الفاقد للأسباب. ففقد السبب أوجب له اسم الفقر، وسهَّل له الطريق إلى المسبِّب. وصفاء الصوفي عن النعوت والرسوم. والفقير هو الفاقد للأسباب. ففقد السبب أوجب له اسم الفقر، وسهَّل له الطريق إلى المسبِّب. وصفاء الصوفي عن النعوت والرسوم ألزمه اسم التصوف؛ فصُفِّي عن ممازجة الأكوان كلِّها، بمصافاة من صافاه ـ في الأزل ـ بالأنوار والمبارّ».

وقال: «أولُ قسمة قُسِمتْ للنفس من الخيرات الروحُ، ليتروح به من مساكنة الأغيار؛ ثم العلمُ، ليدُلَّه على رشده، ثم العقل، ليكون مشيراً للعلم إلى درجات المعارف، ومشيراً للنفس إلى قبول العلم، وصاحباً للروح في الجولان في الملكوت».

الطبقة الخامسة

من أئمة الصوفية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ
أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ
ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤

١ ـ أبو سعيد بن الأعرابي

هو أحمدُ بنُ محمد بنِ زياد بن بِشْر بن دِرْهَم العنَزِيُّ. أبا سعيد. بَصرِيُّ الأصل، سكن بمكة، وكانَ ـ في وقته ـ شيخَ الحرم، ومات بها.

وصحب أبا القاسم، الجنيد بن محمد، وعَمْرو بنَ عثمان المَكّيَّ، وأبا الحُسين النورِيَّ، وحسناً المُسوحِيَّ، وأبا جعفر الحفّار، وأبا الفتح الحمّال. وكان من جِلّة مشايخهم وعلمائهم. توفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

بسنده: عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لَا تَسَبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ).

وقال: «إنَّ الله تعالى طيَّبَ الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيَّبَ الجنةَ لأهلها بالخلود فيها. فلو قيل للعارف: إنَّك تبقى في الدنيا، لمات كمداً؛ ولو قيل لأهل الجنَّة إنَّكُمْ تخرجون منها، لماتوا كمداً فطابت الدنيا بذكر الخروج منها. وطابت الجنَّةُ بذكر الخلود فيها».

وقال: «أخسرُ الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح مَن هو أقرب إليه من حبل الوريد».

وقال: «المعرفة كُلُّها الاعتراف بالجهل. والتصوف كُلُّه تركُ الفضول. والزُّهد كُلُّه أخذ مالا بُدَّ منه، وإسقاط ما بقي. والمعاملةُ كُلُّها استعمالُ الأولى فالأولى من العلم. والتوكُّل كُله طرح الكَنف. والرضا كُله ترك الاعتراض. والمحبَّةُ كلها إيثار المحبوب على الكُلِّ. والعافيةُ كلُّها إسقاطُ التكلف. والصبر كُلُّه تلقِّي البلاء بالرَّحب. والتفويض كُلُّه الطُّمَأنيةُ عند الموارد. واليقين كله ترك

الشكوى عندما يضادُّ مرادك. والثقة بالله علمك أنه بك، وبمصالحك، أعلم منك بنفسك».

وقال: «إنَّ الله تعالى أعار بعض أخلاقِ أوليائه أعداءه، ليستعطف بهم على أوليائه».

وقال: «القلوبُ إذا أقبلتْ رُوِّحَتْ بالأرفاق، وإذا أدبرتْ رُدَّتْ إلى المشاق».

وقال: «مَن أصلح الله هِمَّته، لا يُتْعِبْه بعد ذلك ركوبُ الأهوال، ولا مباشرة الصِّعاب؛ وعلا بعلو همته إلى أسنى المراتب؛ وتنزه عن الدناءة أجمع».

وقال: «اشتغالُك بنفسك يقْطَعُك عن عبادة ربِّك، واشتغالُك بهموم الدنيا يقْطَعُك عن هُموم الآخرة. ولا عبدَ أعجزُ من عبدٍ نَسِيَ فضل ربه، وعَدَّ عليه تسبيحه وتكبيره، الذي هو إلى الحياء منه، أقربُ من طلبِ ثوابٍ عليه، أو افتخارٍ به».

وقال: «ثبتَ الوعْدُ والوعيدُ من الله تعالى. فإن كان الوَعْد قبل الوعيد، فالوعيد تهديد؛ وإنْ كان الوعيد قبل الوعد، فالوعيد منسوخ. وإذا اجتمعا معاً، فالغلبة والثبات للوعد، لأنَّ الوعد حقٌّ العبد، والوعيد حقه عز وجل والكريم يتغافل عن حقه، ولا يهمل ويترك ما عليه .

وقال: «إن الله تعالى جعل نعمتَه سبباً لمعرفته، وتوفيقَه سبباً لطاعته، وعِصْمَتَه سبباً لاجتناب معصيته، ورحمتَه سبباً للتوبة، والتوبةَ سبباً لمغفرته والدنو منه».

وقال: «إنّ الله تعالى خلق ابن آدم من الغفلة، ورَكَّب فيه الشهوةَ والنسيان. فهو كُلُّه غفلة، إلا أن يرحم الله عبداً فينبهه. وأقربُ الناس إلى التوفيق من عرف نفسه بالعجز والذل، والضعف وقلة الحيلة، مع التواضع لله. وقَلَّ من ادَّعى في أمره قوةً، إلا خُذِل ووُكِل إلى قوته».

وقال: «مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمكاشفة».

وقال: «مَن طلب الطريق إليه وصل إلى الطريق بجُهد واجتهاد ومجاهدة؛ ومن طلبه استغنى عن الطريق والأدلة، وكان الحقُّ دليله إليه، وموصِّله لا غير».

وسئل: «ما الذي ترضى من أوقاتك؟. فقال: الأوقاتُ كُلُّها لله تعالى وأحسنُ الأوقاتِ وقتٌ يُجْرِي الحقُّ فيه عليَّ ما يرضيه عني».

وسُئِل أبو سعيد عن أخلاق الفقراء، فقال: «أخلاقهم السكونُ عند الفقر، والاضطرابُ عند الوجود، والأنسُ بالهموم، والوحشة عند الأفراح».

وقال: «العارفون بين ذائق، وشائق، ووامق. فالمِقَةُ شاقتْهم. والشوقُ ذَوَّقهم. فمن ذاق ـ في شوق ـ فروِيَ، سَكَن وتمكَّن؛ ومن ذاق ـ فيه ـ من غير رِيٍّ، أورثه الانرعاج والهيمان».

٢ ـ أبو عمرو الزجَاجي

هو محمدُ بنُ إبرهيم بنِ يوسف بن محمد أبا عمرو. نيسابوري الأصل؛ صحب أبا عثمانَ، والجنيدَ، والنورِيَّ، ورُوَيْماً، وإبراهيم الخوَّاص. دخل مكة، وأقام بها، وصار شيخها، حجَّ قريباً من ستين حجَّة.

من أقواله: «المعرفة على ستة أوجه: معرفة الوحدانية، ومعرفة التعظيم، ومعرفة المِنَّة، ومعرفة القدرة، ومعرفة الأزل، ومعرفة الأسرار».

وسئل: «ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى في الفرائض؟. فقال: لأني أفتتح فريضتي بخلاف الصدق؛ فمن يقُلْ: الله أكبر، وفي قلبه شيء أكبر منه، أو قد كبَّر شيئاً سواه على مرور الأوقات، فقد كذَّب نفسَه على لسانه».

وقال: «من تكلّم على حال لم يصل إليه، كان كلامُه فتنةً لمن يسمعه،

ودعوى تتولّد في قلبه؛ وحرمه الله الوصولَ إلى ذلك الحال وبلوغه».

وقال: «قَسَم الله الرحمة لمن اهتم بأمر دينه».

وقال: «الحَمِيَّةُ ـ في القلوب ـ تصحيحُ الإخلاص وملازمته. والحمية ـ في النفوس ـ ترك الدعوى ومجانبتها».

وقال: «الحميةُ ترك الشكوى من البلوى، بل استلذاذ البلوى؛ إذ الكلُّ منه. فمن أسخطه وارد من محبوبه يبين عليه نقصان محبته».

وقال: «ما أدْوَن حال من يحتاج إلى مُزْعِج يزعِجُه إليه! السماعُ من ضعف الحال. ولو قَوِي لاستغنى عن السماع والأوتار».

وقال: «مَنْ جاور بالحرم، وقلبه متعلِّق بشيءٍ سوى الله تعالى، فقد أظهر خسارته».

وقال: «مَنْ تَشَوَّف ـ بالحرم ـ رِفْقاً من غير مَن جاوره، بعَّده الله تعالى عن جواره، ووَكَلَ بقلبه الشُّح، وأَطلَق لسانَه بالشكوى، ومَسَح قلبَه عن المعارف، وأظلمَه عن أنوار اليقين ووَكَلَه إلى حَوْلِهِ وقوَّته، ومَقَته عند خَلْقه».

وقال: «الضرورة ما تمنع صاحبها عن القال والقيل، والخبر والاستخبار؛ وتشغله بالاهتمام بوقته، عن التفرُّغ إلى أوقات غيره».

وقال: «كان الناسُ ـ في الجاهلية ـ يتَّبعون ما تستحْسِنُه عقولُهم وطبائعُهم، فجاء النبيُّ، صلّى الله عليه وسلم، فردَّهُم إلى الشريعة والاتباع. فالعقل الصحيح، هو الذي يستحسن محاسن الشريعة، ويستقبح ما تستقبحه».

وسئل: كيف الطريقُ إلى الله تعالى؟. فقال له أبو عمرو: أَبْشِرْ! فشوقُك إليه أزعجك لطلب دليل يدلُّك عليه».

وقال: «قلبُك أعرفُ أدلتك، إذا ساعده التوفيقُ. فدعْ ما أنكره قلبُك. فَقَلَّ قلبٌ يسكن إلى المخالفة على دوام الأوقات».

٣ ـ جعفر بن محمد الخلدي

جعفرُ بنُ محمد بن نصير، أبو محمد الخوَّاصُ. بغداديُّ المنشأ والمولد. صَحِب الجُنَيد بن محمد، وعُرِف بصُحْبتِه.

وكان المرجعَ إليه في علوم القوم وكتبهم، وحكاياتهم وسِيَرهم.

وروي عن الحسين بن محمد بن جعفر الرازي أنه قال: سمعتُ جعفر بن محمد بن نصير، يقول: «عندي مائةٌ ونيِّفٌ وثلاثون ديواناً، من دواوين الصوفية. فقلت له: عندك من كُتُب محمدِ بنِ عليٍّ التِّرْمِذِيِّ شيئاً؟ فقال: لا! ما عَدَدْتُه في الصوفية».

كان من أفتى المشايخ وأجلِّهم، وأحسنهم قولاً. حجَّ قريباً من ستين حَجَّة. وتوفي ببغداد، سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة.

أسند حديثاً عن عُمَرَ؛ عن رسول الله، صلّى الله عليه وسلَّم، قال: (مَنْ دَخَلَ السُّوقَ؛ فَقالَ: «لاَ إلَهَ إلاَّ الله، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي ويُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِه الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ دَرَجَةٍ. أَوْ قالَ: بَنَى لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ ،شَكَّ يزيدُ).

قال جعفر: « لا يجد العبدُ لذَّة المعاملة مع لذة النفْس، لأنَّ أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق».

وقال: «الفرق بين الرياء والإخلاص أَنَّ المرائي يعمل ليُرِي، والمخلِصُ يعمل ليصل».

وقال جعفر: «الفتُوَّة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين».

سمعتُ جعفرَ الخُلْدِيَّ، يقول: سمعتُ الجُنَيْدَ لما سُئِل عن التصوُّف، يقول: «العُلُوُّ إلى كلِّ خلُق شريف، والعدولُ عن كلِّ خلَق دنيء. فسأله السائلُ؛ فقال: ما تقول أنت؟. فقال: مثلُ قوله. ثم قال: المُتناهِي - في حالِه - يتوَقّى كلَّ شيءٍ، ويدخُل في كلِّ شيءٍ، ويأخُذُ من كلِّ شيءٍ، ولا يسترِقه شيء، ولا يأخذ منه شيء. واستَدلَّ بأمر النبيِّ، صلى الله عليه وسلَّم، في أوليته، إذا رأى نزول الوحي عليه، يقول: (دَثِّرُوني! دَثِّرُونِي) حتى تمكَّن».

وقال: «كُنْ لله عبداً خالصاً تكنْ عن الأغيار حرّاً».

وسُئِل عن التوكُّل، فقال: «استواءُ القلبِ عند الوجود والعدم، بل الطربُ عند العدم، والخمولُ عند الوجود، بل الاستقامة مع الله تعالى على الحالَين».

وقال لرجل: «كنْ شريف الهِمَّة؛ فإن الهِمَم تبلغ بالرجال، لا المجاهدات».

وقال: «سَعْيُ الأحرار لإخوانِهم، لا لأنفسهم».

وقال: «اجتنب الدعاوَى، والتزم الأوامر فكثيراً ما كنت أسمعُ سيِّدَنا الجُنَيد، يقول: مَن لزِم طريقة المعاملة على الإخلاص أراحه الله من الدعاوَى الكاذبةِ».

وقال: «إنَّ ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبَه. فإذا سكن التقوى قلبَه، نزل عليه بركاتُ العِلْم، وطُرِدَتْ رغبةُ الدنيا عنه».

وقال: «من أراد أن يزهد فليزهد في الرياسة، ثم ليزهد في قَدْر نَصيبِ نفسِه ومُرَاداتِها».

وقال: «المجاهداتُ في السياحات. والسِّياحةُ سياحتان: سياحةُ النفْس، [بالسير في الأرض، ليرى أولياء الله، أو يعتبر بآثار قدرته. وسياحةُ القلب، ليجولَ في الملكوت، فيورد على صاحبه بركاتُ مشاهداتِ الغيوب؛ فيطمئن القلب عند الموارد]، لمشاهدة الغيوب؛ وتطمئن النفس عن المرادات، لبركة آثار القدرة عليه».

وقال: «العقل ما يُبعدُك عن مراتع الهَلَكة».

وسُئِل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُه﴾[المائدة: ٥] فقال: من لا يجتهد في معرفته لا يقبل خدمته».

وقال جعفر: «من أُلقِي إليه روحُ الصلاح التزم الحُرمةَ للخَلْق. ومن أُلقِي إليه روحُ الصدِّيقيَّة طالب نفسه بالصدق في أحواله. ومن أُلقِي إليه روحُ المعرفة عرف مواردَ الأمور ومصادرَها. ومن أُلقِي إليه رُوحُ المشاهدة أُكْرِم بالعلم اللَّدُنِّي».

٤ ـ أبو العباس القاسم السيّاري

هو القاسمُ بنُ القاسم بن مَهْدِيّ، أبو العباس.

كان من أهل مرو، وشيخَهم؛ وأولَ من تكلَّم عندهم من أهل بلدهم في حقائق الأحوال. صحب محمد بن موسى، الفرغاني الواسطي. وكان أحسن المشايخ لساناً في وقته، يتكلَّم في علوم التوحيد، على لسان الجَبْر. وجميعُ من بِكُورَته ـ من أهل السنَّة ـ فهم أصحابُه. كان فقيهاً عالماً. توفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.

بإسناده الحديث: عن أبي هريرة، رضيَ الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم: (خَيْرُ الكَلام أَرْبَعٌ، لاَ يَضُرُّكَ بأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، وَلاَ إِلٰهَ إِلاّ الله، والله أَكْبَرُ).

وبإسناده: عن عليّ بن أبي طالب، كرَّم الله وَجْهَه، قال: قال رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مائةً غَيْرَ وَاحِدٍ. مَامِنْ عَبْدٍ يَدْعُو بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ إِلاّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ. إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ. هُوَ الله الَّذِي لاَ إِلٰهَ

إلاّ هُوَ، الرَّحْمنُ، الرَّحيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلاَمُ، المُؤْمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِىءُ، المُصَوِّرُ، الغَفّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القَابِضُ، الباسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحَمِيدُ، المُحْصِي، المُبْدِىءُ، المُعِيدُ، المُحْيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدِ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِي، المُتَعالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَءُوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَامِ، المُقْسِطُ، الجَامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْنِي، المَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيعُ، البَاقِي، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ).

من أقواله: «كيف السبيلُ إلى ترك ذنبٍ كان عليك ـ في اللّوح المحفوظ ـ محفوظاً؟!. أو إلى صَرْف قضاء كان به العبد مربوطاً؟!».

وقيل له: «بم يَرُوض المريدُ نفسه؟. وكيف يروضُها؟. فقال: بالصَّبْرِ على الأوامر، واجتنابِ النواهِي، وصُحْبة الصالحين، وخِدْمة الرُّفقاء، ومجالسةُ الفقراء. والمرءُ حيثُ وضع نفسه».

وقال أيضاً: الأغنياء أربعة: غَنِيٌّ بالله؛ وغَنِيٌّ بِغِنَى الله، قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلَّم: (الغِنَى غِنَى القَلْبِ)؛ وغَنِيٌّ باليقين، قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلَّم: (كَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى)؛ وغَنِيٌّ لا يذكر غِنًى ولا فقراً، لما ورد على سِرِّه من هيبة القُدْرَة».

وقال: «حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف».

وقال: «حقيقة المعرفة ألا يخطر بالقلب ما دونه».

وقال: «ما التذّ عاقلٌ بمشاهدة قطُّ؛ لأنَّ مُشاهدَةَ الحقِّ فناءٌ ليس فيه لذّة ولا التذاذ، ولا حظٌّ ولا احتظاظ».

وقال: «مَن عرف الله خضع له كلُّ شيء، لأنه عاين أثر مُلكه فيه».

وقال: «ما نطق أحدٌ عن الحقِّ إلاّ مَن كان محجوباً».

وقال: «الحقُّ إذا لاحظ عبداً ببرِّه، غيَّبه عن كلِّ مكروهٍ في وقته. وإذا لاحظه بسُخطه، أظهر عليه من الوَحشة ما يهربُ منه كلُّ أحد».

وقال: «من حفِظ قلبَه معَ الله بالصدق أجرى الله على لسانه الحكمة».

وقال: «الخَطْرة للأنبياء، والوسوسةُ للأولياء، والفِكْرةُ للعوام، والعزم للفتيان».

وسُئِل أبو العباس عن قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[الفتح: ٢٦]. فقال: «أَهَّلَهم في الأزَل للتَّقوى، فأظهر عليهم - في الوقت - كلمة الإيمان والإخلاص».

وقال: «ما استقام إيمان عبدٍ حتَّى يصبِر على الذُّل مثلَ ما يصبِرُ على العِزِّ».

وقال: «حسوسٌ قَصُرَتْ عن أوائلها فتخلَّفتْ عن أواخرها؛ وغُذِّيتْ بما لا خَطَر له، كيف يمُرُّ بها ذِكر بارئها؟!».

وقال: «ظُلَم الأطماع تمنعُ أنوار المشاهداتِ».

وقال: «الرُّبوبيَّةُ نفاذُ الأمْرِ والمشيئةِ، والتقدير والقضيَّة. والعبُودِيَّة معرفةُ المعبود، والقيامُ بالعهود».

وقال قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩]. قال: «إظهارُ غائب وتغييبُ ظاهِر».

وقال له رجل: «أَوْصِني!. فقال: كنْ شريفَ الهِمَّة، قريب المنظر، بعيد

المأخذ، عزيزاً غريباً».

وقال: «لباسُ الهداية للعامّة، ولباسُ الهيبةِ للعارفين، ولباسُ الزينة لأهل الدنيا، ولباسُ اللقاء للأولياء، ولباسُ التقوى لأهل الحضور، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف:٢٦].

وقال: «قيل لبعض الحكماء: من أين معاشك؟. قال: مِن عند من ضيَّق المعاش على من شاء، من غير عِلَّة؛ ووسَّع على من شاء، من غير علَّة».

وقال: «مَن دَقّق النظَر في أمر دينه، وُسِّع عليه الصِّراط في وقته. ومن وسَّع النظر في أمر دينه ضُيِّق عليه الصراط في وقته. ومن غاب عن حقوقه بحقوقه تعالى غاب عن كلِّ شدة وعقوبة».

وقال: «لَوْ جازَ أن يُصلّي ببيتٍ من الشعر لجاز أن يُصَلِّي بهذا البيت:

أَتَمنَّى على الزمانِ مُحالاً أَنْ ترى مُقْلَتايَ طَلْعةَ حُرٌ

وقال: «ما أظهر الله تعالى شيئاً! إلا تحت سِتْره. وسَتَر سيئَةَ الأشياء عن الأشياء، حتى لا يستوي عِلْمان، ولا معرفتان، ولا قدرتان».

٥ ـ أبو بكر محمد بن داود الدقي

هو أبو بكر، محمدُ بنُ داود، الدِّينورِيُّ. أقام بالشام، وعُمِّر فوق مائة سنة. وكان من أقران أبي عليٍّ الرُّوذَبارِيِّ، إلا أنه عُمِّر.

صَحِب أبا عبدالله بنَ الجلاَّء، وإليه كان ينتمي.

توفي بعد الخمسين وثلاثمائة.

وسُئِل عن الفَرْق بين الفقر والتصوف، فقال: «الفقرُ حالٌ من أحوال التصوف. فقيل له: ما علامة الصوفي؟. فقال: أن يكون مشغولاً بكلِّ ما هو

أولى به من غيره، ويكونَ معصوماً عن المذمومات».

قال: «علامةُ القُرْبِ الانقطاعُ عن كلِّ شيءٍ سوى الله تعالى».

وقال: «كمْ من مَسرورٍ سرورُه بلاؤه، وكم مِنْ مغمومٍ غمُّه نجاته».

وقال: «الفقير هو الذي عَدِم الأسبابَ من ظاهِرِه، وعَدِمَ طلبَ الأسباب من باطنه».

وقال: «مَن عرف ربَّه لم ينقطع رجاؤُه. ومن عرف نَفْسَه لم يُعجَب بعَمَلِه. ومن عرف الله لجأ إليه. ومَن نَسِي الله لجأ إلى المخلوقين. والمؤمنُ لا يسهو حتى يغفلَ، فإذا تفكَّر حزِن واستغفر».

وقال: «كلامُ الله تعالى، إذا أضاء على السرائر بأشراقه، أزال البشرية برعوناتها».

وقال في أدب الفقراء: «ذاك انحطاطهم عن حقيقة العلم إلى ظاهر العلم».

وقال: «المَعِدةُ موضع لجمْع الأطعمة. فإذا طرحتَ فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة. وإذا طرحت فيها الشبهةَ اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى. وإذا طرحت فيها الحرام كان بينك وبين الله حجاب».

وقال: «إن القلوب التي نُزِّهت عن العيوب لتأييد ورد عليها من الغيوب».

وقال: «الإخلاصُ أن يكون ظاهرُ الإنسان وباطنُه، وسكونُه وحركاتُه، خالصاً لله، لا يشوبه حظُّ نفْس، ولا هوًى، ولا خَلْق، ولا طمع».

وقال: «خلق الله تعالى الخلائقَ كلَّهم متحركين، يدبُّون على الأرض؛ وجعل الحياة منهم لأهل المعرفة. فالخَلْقُ متحركون في أسبابهم، وأهلُ المعرفة أحياء بحياة معروفهم. فلا حياة ـ حقيقة ـ إلا لأهل المعرفة، لا غير».

٦ ـ أبو محمد عبدالله بن محمد الشعراني

هو عبدُالله بنُ محمد بنِ عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد، الرازيُّ الشَّعْرانيُّ. رازِيُّ الأصل؛ ومولده ومنشأه بِنَيْسابُور.

صَحِب الجُنَيْد بنَ محمد، وأبا عثمان، ومحمد بنَ الفضل.

وهو من جِلَّة أصحابِ أبي عثمان. وكان أبو عثمان يكرمه ويُجِلُّه.

له من الرياضات ما يعجز عنها إلا أهلها وكان عالماً بعلوم الطائفة؛ وكتب الحديثَ الكثير، ورواه، وكان ثقة.

مات سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة:

أسند الحديث: عن أنس، رضي الله عنه، قال: (أُمِرَ بِلَالٌ أَنْ يُشْفِعَ الأَذَانَ، وَيُوتِرَ الإِقَامَةَ).

وسئل: «ما بالُ الناس يعرفون عيوبَهم، وعيوبَ ما هم فيه، ولا ينتقلون من ذلك؟ ولا يرجعون إلى طَريق الصواب؟. فقال: لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعِلْم، ولم يشتغلوا باستعماله؛ واشتغلوا بآداب الظواهر، وتركوا آداب البواطن؛ فأعمى الله قلوبَهم عن النظر إلى الصواب، وقيَّد جوارحهم عن العبادات».

وقال: «العارفُ لا يعبد الله على موافقة الخَلْق، بل يعبده على موافقته عز وجل».

وقال: «دلائلُ المعرفةِ العلمُ، والعملُ بالعلم، والخوفُ على العمل».

وقال: «المعرفةُ تهتك الحجُبَ بين العبيدِ وبين مولاهم. والدُّنيا هي التي تحجبتهم عن مولاهم».

وقال: «إنَّمَا تتولدُ الشكوى، وضيقُ الصدر من قلة المعرفة بالله عزَّ وجلَّ».

وقال: «الخَلْقُ كلهم يدَّعون المعرفة، ولكنَّهم عن صدق المعرفة بمَعزِل وصدقُ المعرفة خُصَّ بها الأنبياءُ - صلوات الله عليهم - والسادةُ من الأولياء، رَضي الله عنهم».

وقال: «مَن أراد أن يعرفَ محلَّ نفسه، ومتابعتها للحقِّ، أو مخالفتها له، فلينظر إلى مَن يخالفه في مُرادٍ له، كيف يجد نفسه عند ذلك؛ فإن لم تتغير، فليعلم أن نفسَه متابِعةٌ للحق».

وقال: «قيل لبعض العارفين ما الذي حبب إليك الخلوة؟. ونَفَى عنك الغفلة؟ قال: وثبة الأكياس من فَخِّ الدنيا».

وقال: «مَن لم يغتنم السكوتَ فإنَّه إذا نطق نطق بلَغْو».

قال له أحدهم: «عَلِّمني دعاءً أدعو به!. فقال له: قل: اللَّهُم امنُن علينا بصفاء المعرفة، وهبْ لنا تصحيحَ المعاملة بيننا وبينك على السُّنَّة، وصدقَ التوكل عليك، وحُسنَ الظن بك، وامنُنْ علينا بكل ما يُقرِّبنا منك، مقروناً بالعوافي في الدارين».

٧ - أبو عمرو إسماعيل بن نجيد

هو إسماعيلُ بنُ نُجَيد بنِ أحمد بن يوسُف أبا عمرو.

صَحِب أبا عثمان الحِيرِيَّ.

ولَقِي الجُنَيْد. وكان من أكبر مشايخ وقته. له طريقة ينفرد بها: من تلْبِيس الحال، وصون الوقت. سمع الحديث.

توفي سنة ست وستين وثلاثمائة.

أسند الحديث: عن عائشة، رضي الله عنها: (أَنَّ النَّبِيَّ، صلّى الله عليه

وسلّم، كَانَ يَقْبَلُ الْهدِيَّةَ ويُثِيبُ عَلَيْها).

وقال: «مَن لم تُهذِّبك رُؤيتُه، فاعلم أنَّه غيرُ مُهذَّب».

عن التصوف قال: هو الصبرُ تحت الأمر والنهي».

وقال: التوكل أدناه حسنُ الظنِّ بالله عزَّ وجلَّ».

وقال: «مَن أراد أنْ يعرفَ قَدْر معرفته بالله تعالى، فلينظر قدر هيبته له، وقت خدمته له».

وقال: «إنَّما تتولَّد الدَّعاوَى من الاغترار، وتستوطِن الأسرار».

وقال: «كلُّ حالٍ لا يكون عن نتيجة علْم - وإن جل - فإنّ ضررَه على صاحبه أكثرُ من نفعه».

وقال: «مَن كَرُمتْ عليه نفسُه هان عليه دينُه».

وقال: «مَن ضَيَّع - في وقْتٍ من أوقاته - فريضةً افترضها الله تعالى عليه، في ذلك الوقت، حُرِم لذَّةَ تلك الفريضةِ، إلاَّ بعد حين».

وقال: «المتوكل الذي يرضى بحكم الله تعالى فيه».

وقال: «تربيةُ الإحسان خيرٌ من الإحسان».

وقال: «لا يصفو لأحدٍ قَدَمٌ في العبودِيَّة، حتى تكونَ أفعالُه كلها - عنده - رياء، وأحوالُه كلها - عنده - دعاوَى».

وسُئِل: «ما الذي لا بد للعبد منه؟. فقال: ملازمةُ العبوديَّة على السُّنة، ودوام المراقبة».

وقال: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً، رزقه خدمة الصالحين والأخيار، ووفقَّه لقبول ما يشيرون به عليه، وسهَّل عليه سُبُلَ الخير، وحجبه عن رُؤْيتِها».

وقال: «إنَّما تتولَّدُ الدعاوَى من فساد الابتداء؛ فمن صحَّتْ بدايتُه، تصحُّ له

النهاية؛ ومن فسدتْ بدايته فإنه يهلك في أرجاء أحواله، وقتاً ما؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾[سورة التوبة: ١٠٩].

وقال: «التهاونُ بالأمْر من قلة المعرفة بالآمِرِ».

وقال: «لا يكونُ لِملامَتِيّ دعوى، لأنَّه لا يرى لنفسه شيئاً، فيدَّعِي به» ؛ قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[فاطر: ٢٨].

وقيل له: أوصني! فقال لي: إلزمْ مواجِبَ العِلْم؛ واحترمْ لجميع المسلمين؛ ولا تُضيِّع أيامَك، فإنها أعزُّ شيءٍ لك؛ ولا تتصدَّرْ، ما أمكنك؛ وكن خامِلاً فيما بين الناس؛ فبقدر ما تتعرف إليهم، وتشتغل بهم، تُضيِّع حظَّك من أوامر ربِّك».

وقال: «مَن قدَر على إسقاط جاهِ عند الخَلْق سَهُل عليه الأعراض عن الدنيا وأهليها».

وقال: «من أظهر محاسِنَه لمن لا يملك ضَرَّه ولا نفْعه، فقد أظهر جَهلَه».

قال، وقال أبو عَمْرو: «من استقام لا يعوَجُّ به أحد. ومن أعوَجَّ لا يستقيم به أحد».

وقال: «الأنسُ بغير الله تعالى وَحْشة».

وقال: «من صحَّ تفكُّره صدق نطقُه، وخلُص عملُه».

وقال: «الطمأنينة إلى الخَلْق عجز».

٨ ـ أبو الحسن علي بن أحمد البُوشَنْجي

هو أبو الحَسن البُوشَنْجِيُّ، واسمُه عليُّ بنُ أحمد بنِ سهل. لقي أبا عثمان؛ وصَحِب ـ بالعراق ـ ابنَ عطاء، والجَريريَّ؛ وبالشام: طاهِراً، وأبا عَمْرٍو والدِّمَشْقيَّ. وتكلم مع الشِّبْليِّ في مسائل. وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم

التوحيد، وعلوم المعاملات، توفي رحمه الله سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

أسند الحديث: عن ابن عباس، رَضِي الله عنهما. قال: (كَانَ رَسُولُ الله، صَلَّى الله عليهِ وَسَلَّمَ، يُعَلِّمُنَا مِنَ الأَوْجَاعِ كُلِّهَا أَنْ تقُولَ: بِسْمِ الله الْكَبِيرِ، أَعُوذُ بِالله العَظِيمِ، مِنْ شَرِّ عِرْقٍ نَعَّار، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّار).

وقال عن السُّنة: «البَيْعةُ تحت الشجرَة، وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال».

وعن التصوف قال: «اسم ولا حقيقة. وقد كان قبلُ حقيقةً ولا اسمٌ».

وعن المروءة قال: «ترك استعمال ما هو محرَّم عليك مع الكرام الكاتبين».

وعن البشر قال: «الناسُ على ثلاث منازل:

الأولياء، وهم الذين باطنُهم أفضلُ من ظاهرهم.

والعلماءُ، وهم الذين سرُّهم وعلانيتُهم سواء.

والجُهَّالُ، وهم الذين علانيتُهم تخالف أسرارهم؛ لا يُنصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم».

وصف التصوف فقال: «هو الحُريةُ والفتوَّة، وتركُ التكلف في السخاء، والتظرف في الأخلاق».

وقال الظريف هو: «الخفيف في ذاته، وأخلاقه، وأفعاله، وشمائله، من غير تكلف».

وقال: «ليس في الدنيا أسمجُ من مُحِب لسبَبٍ أو عِوَض».

عن المروءة قال: «هي حُسْن السّر والبِشْر».

وقال له السراج: «ادعُ الله لي! فقال: أعاذك الله من فتنتك وبلائك. لأن الفتنة والبلاء ليسا إلا من نفسه».

عن المحَبّة قال: «بذلُ مجهودك، مع معرفة محبوبك؛ لأن محبوبَك ـ مع بذلك مجهودك ـ يفعَل ما يشاء».

وقال: «التوحيدُ ـ حقيقةً ـ معرفته، كما عرَّف نفسه إلى عباده؛ ثم الاستغناءُ به عن كلِّ ما سواه».

وقال: «أول الإِيمان منوطُ بآخِرِه. ألا ترى أَنَّ عَقْد الإِيمان: «لا إلهَ إلاَّ الله» والإِسلامُ منوط بأداء الشريعة بالإِخلاص؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٩٨]

وقال الفتوة هي: «حُسنُ المراعاة، ودوامِ المراقبة، وألا تُرِي من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك».

وقال: «الخيرُ مِنّا زَلَّة، لأَنَّ الشرَّ لنا صِفَةٌ».

وقال: «من ذَلَّ في نفسه، رفع الله قدرَه. ومَنْ عزَّ في نفسه أذلَّه الله في أعين عباده».

٩ ـ أبو عبدالله محمد بن خفيف

هو محمد بن خفيف أبو عبدالله الضَّبِّيُّ، المقيم بشيراز، وكان شيخَ المشايخ في وقته.

صحب رُوَيْماً، والجريري، وأبا العباس بن عطاء، وكان عالماً بعلوم الظاهر، وعلوم الحقائق.

توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

أسند الحديث: قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلَّم: (لَوْ عَدَلَتْ الدُّنْيا ـ عِنْدَ الله ـ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَاأَعْطَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةً).

وأسند أيضاً: عن ابن عُمَر، رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله، صلّى الله عليه وسلَّم: (لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ سمعتُ تَذَمُّراً فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَنْ هَذَا؟. قال: مُوسَى، يَتَذَمَّرُ عَلَى رَبِّهِ!. فَقُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟!. قَالَ: عَرَفَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَاحْتَمَلَهُ).

عرف التصوف فقال: «تصفيةُ القلبِ عن موافقة البشريَّة، ومفارقةُ أخلاقِ الطبيعة، وإخمادُ صفاتِ البشريَّة، ومُجانبةُ دعاوَى النفسانية، ومُنازَلةُ صفاتِ الرُّوحانية، والتعلُّقُ بعلوم الحقيقة، واستعمالُ ما هو أولى على السَّرْمَدِيَّة؛ والنصحُ لجميع الأمة، والوفاءُ لله على الحقيقة، واتباعُ الرسول، صلى الله عليه وسلم، في الشريعة».

وله أيضاً: «لمَّا خلق الله تعالى الملائكةَ والجنَّ والإنس، خلق العِصْمةَ والكفايةَ والحيلة: فقال للملائكة: اختاروا. فاختاروا العصمة. ثم قال للجن: اختاروا فاختاروا العصمة. فقال: قد سُبِقتُم. فاختاروا الكفاية. ثم قال للإنس: اختاروا. فقالوا: نختار العصمة. فقال: قد سُبِقتم. فقالوا: نختار الكفاية فقال: قد سُبِقتُم. فأخذوا الحيلة. فبنو آدم يحتالون بجُهدِهم».

وقال: «السكْرُ غليان القلب عند معارضات ذِكْر المحبوب».

وقال: «الرياضة كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفَترة».

وقال: «الانبساطُ سقوطُ الاحتشام عند السؤال».

وقال: «قدم علينا بعضُ أصحابِنا، فاعتل، وكانت به علةُ البطن؛ فكنتُ أخدُمه، وآخذ منه الطَّسْتَ، طول الليل؛ فغفوتُ عنه مرةً. فقال لي: نمتَ! لعنك الله!. فقيل له: كيف وجدتَ نفسك، عند قوله: لعنك الله؟. فقال: كقوله: رحمك الله».

وقال: «الإيمانُ تصديقُ القلب بما أَعْلَمه الحقُّ من الغيوب».

وقال: «الخوفُ اضطرابُ القلوبِ، بما علمتْ من سطوة المعبود».

وقال: «التقوى مجانبةُ ما يُبعِدُك عن الله تعالى».

وقال: «التوكُّلُ هو الاكتفاء بضمانه، وإسقاطُ التُّهمة عن قضائه».

وقال: «حقيقة الإرادة استدامةُ الكَدِّ، وتركُ الراحة».

وقال أيضاً: المُطالباتُ شتى:

فمطالبةُ الإيمان ما حداك عليه، من صحة التصديق بوعده ووعيده.

ومطالبةُ العلم ما تبيَّنُ به أحكامُه، فظهرت دلائلهُ، وطالبك الحق باستعماله.

ومطالبةُ الحق وهو الذي إذا بدا قهرك، وجذبك إلى ما أراد بصوته».

وقال: «ليس شيء أضرّ بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخَص، وقبول التأويلات».

وقال: «اليقين تحقُّقُ الأسرار بأحكام المغيبات».

و«المشاهدةُ اطلاعُ القلوب بصفاء اليقين ـ إلى ما أخبر الحق عن الغيوب».

وقال: «القربُ طَيُّ المسافاتِ بلطيف المداناة».

قال عن القرب: «قربُك منه بملازمة الموافقات؛ وقربه منكَ بدوام التوفيق».

وقال: «الواصل من اتصل بمحبوبه دون كلِّ شيءٍ سواه، [وغاب عن كل شيء سواه]».

وقال: «الدَّنِفُ من احترق في الأشجان، ومُنع من بَثِّ الشكوى».

وقال: «الهِمَّةُ جذبُ شواهد المهموم، بالذهاب إليه».

قال: «لِمَ صار بلاءُ المحبين أعظم من سائر الأحوال؟. لأنهم آثروه على أرواحهم، فابتلاهم بحبه لهم، فقال: ﴿يُحِبَهم﴾[المائدة:٥٤]. ومَن يطيق سماعَ

هذا الكلام؟!. إلا أن يبدو له فيه الحقائق».

١٠ ـ بُندار بن الحسين الشيرازيّ

هو بُندارُ بنُ الحُسين بنِ محمد بن المهلَّب، كنيتُه أبو الحُسين. من أهل شِيرازَ، سكن أَرَّجَانَ.

وكان عالماً بالأصول؛ له اللسانُ المشهورُ في علم الحقائق.

توفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

سئل عن الفرق بين المتصوِّفة والمتَقَرّيَة ـ فقال: «إنَّ الصوفيَّ مَن اختاره الله لنفسه فصافاه، وعن نفسه برَّاه، ولم يَرُدَّه إلى تَعمُّلٍ وتكلُّفٍ بدعوى. وصُوفِي على زنة عُوفِيَ، أي: عافاه الله؛ وكُوفِي، أي: كافأه الله؛ وجُوزِيَ، أي: جازاه الله. ففِعْل الله تعالى ظاهِرٌ على اسمه.

وأما المتَقَرِّي، فهو المتكلِّف بنفسه، المُظهِرُ لزُهده، مع كمُون رغبته، وتربيته لبشريَّته، فاسمُه مُضمَرٌ في فِعْله، لرؤية نفسه ودعواه».

وقال: «البكاءُ شتَّى:

بكاءُ فرحٍ، لوجود حالٍ عَدِمها فيما قبل؛ وبكاءُ أسفٍ، لفقْد حالٍ كان مقروناً بها. قال الله تعالى: [في بكاء الفرح]: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَاأُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا من الحَقِّ﴾[المائدة:٨٣]. وقال الله تعالى ـ في بكاء الأسف ـ: (تَوَلّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً)[التوبة: ٩٢].

سمعتُ بُندارَ، وقال: «الجَمْع ما كان بالحق، والتَّفرِقةُ ما كان للحق».

وقال: «لا تُخاصم لنفسك، فإنها ليست لك. دَعْها لمالكها يفعلْ بها كلَّ ما يريد»..

وقال: «ليس من الأدب أن تسأل رفيقَك: إلى أين؟. وفي أَيْشٍ؟.».

وقال: «اترك ما تهوى لما تأمل».

وقال: «إنَّ المحبَّة رغبة، وهي مُزعِجَة؛ والحياءَ خَجْلَةٌ. والمحبُّ طالبٌ غائبٌ، والمستحى حاضِرٌ. وبينهما فُرقان: لأنّ المحبّة تصحُّ مع الغيبة، والحياءُ يصحُّ مع المشاهدة. فشتان بين غائبٍ غريب، وحاضرٍ قريب».

وقال: «الإغاثَةُ ثِقَل مطالبة الحقِّ، عزَّ وجَلَّ، على قلبِ النبيِّ، صلّى الله عليه وسلَّم، فإنَّه كان مطالَباً بالأوامر؛ فكان إذا أُمِر بأمْرٍ التزمَه؛ وكان يثقُل عليه إلى أنْ يدخُل فيه؛ قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[المزمل: ٥].

وقال: «الصوفيةُ متفقون في الوحدانية ومُتفرِّقون في الوصُولِ إليها معاينةً ومنازلةً. وكلٌّ واحدٍ يستحق اسم ما ظهر عليه، من حالِه، الذي هو به موصوف، بعد اتفاقهم في الوحدانية قولاً؛ فمن بين مُجتهد، وزاهد، وعابد، وخائف، وراجٍ، وغنيٍّ، وفقير، ومُريد، ومُرادٍ، وصابرٍ، وراضٍ، ومتوكِّل، ومحبٍّ، ومستهتر، ومستأنس، ومشتاق، وواله، وهائم، وواجِد، وفانٍ، وباقٍ، وأحوالٍ يكثر تعدادها. وقد تجتمع الأحوالُ كلُّها في واحد، ويُسمَّى بما عليه من الجميع».

وقال: «صُحبةُ أهلِ البِدَع تورِث الأعراض عن الحقِّ».

أليست الصوفية تحوي على كثير من البدع بكل طرقها.

وقال: «من لم يجعل قبلتَه ـ على الحقيقة ـ ربَّه، فسدتْ عليه صلاتُه».

وقال: «من لم يترك الكُلَّ رَسماً في جنب الحق، لا يحصُل له الكلُّ حقيقةً، وهو الحقُّ، عزَّ وجلَّ».

١١ ـ أبو بكر الطمستاني

هو أبو بكر الطَّمَسْتانِيُّ الفارسيُّ. وهو من أجلِّ المشايخ، وأعلاهم حالاً. متفرِّد بحاله ووقته.

صَحِب إبرهيم الدبَّاغ، وغيره من مشايخ الفُرْس.

من أقواله: «الدُّنيا كلُّها حكمةٌ واحدة، وكلٌّ واحد منهم أصاب على قدر ما كُشِف له».

وقال: «ما الحياةُ إلاّ في الموتِ، أي: ما حياةُ القلب إلاّ في إماتة النفس».

وقال: «اليقظة ـ في أهل اليقظة ـ لعمارة الآخرة؛ كما أن الغفلة، في أهل الغفلة، لعمارة الدنيا».

وقال: «لا يمكن الخروج من النفْس بالنفْس، وإنما يمكن الخروجُ من النفس بالله تعالى؛ وذلك بصحة الإرادة لله عز وجل».

وقال: «الطريق إلى الله تعالى بعدد الخلْق». وقال: «الطريق له، ولا طريق إليه».

وقال: «كيف أصنع والكونُ كلُّه عدو لي؟!».

وقال: «الوصلُ إلى فصل، فإذا جاء الفصلُ فلا وصل».

وقال: «مَن فضَّلَ الفقرَ على الغِنَى، والغِنى على الفقر، فهو مربوط بهما، وهما محلا عِلَل».

وقال: «إياكَ أن تغتر بلعلَّ، وعَسى!».

وقال: «النعمة العظمى الخروج من النفس، لأن النفس أعظم حجابٍ بينك وبين الله تعالى».

وقال: «ما الحقيقة إلا في موت النفس».

وقال: «كلُّ من فرَّ من إماتة النفس، فقد رجع إلى تأويل العلم».

وقال: «الموتُ بابٌ من أبواب الآخرة، ولن يصل العبد إلى الله تعالى إلا بدخوله».

وقال: «جالسوا الله كثيراً، وجالسوا الناسَ قليلاً».

وقال: «خير الناس من يرى أنّ الخير في غيره، ويعلم أنّ السبيلَ إلى الله كثير، غير السبيل الذي هو عليه، لكي يرى تقصير نفسه فيما هو عليه».

وقال: «ينبغي أن تكون حركاتُ المرء وسكونه لله تعالى، أو ضرورة يُضطَر إليها. وما كان غير ذلك فلا شيء».

وقال: «الطريقُ واضح، والكتابُ والسنةُ قائمان بين أظهرنا، وفُضِّل أصحابُ النبي، صلى الله عليه وسلم، بشيئين اثنين: بصحبتهم مع النبي، صلّى الله عليه وسلّم، في الظواهر، وهجرتهم إلى الله تعالى في السرائر؛ وقال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[النساء: ١٠٠].

فمن صحب ـ مِنَّا ـ الكتابَ والسنة؛ وغُرِّب عن نفسه، والخلقِ، والدنيا؛ وهاجر إلى الله بقلبه؛ فهو الصادق المصيب، المتبعُ لآثار الصحابة، إلا أن الصحابة سبقوه بصحبتهم مع النبي، صلى الله عليه وسلم».

وقال: «مَن أحبَّ من العقلاء البقاء في الدار الفانية، فإنما أحبَّه للتَّلَذُّذِ بمناجاة سيِّده، والإقبال على الطاعة بحسب طاقته، وأن يكون تحت أمره ونهيه. فالعاقل ـ لهذا ـ أحب البقاء، وكره الفناء .

وقال: «من علامة المريد أن يتنافر عن غير أبناء جنسه، ويطلب الجنس».

وقال: «العاقل يتكلم على قدر الحاجة، ويدع ما فضل عنه».

وقال: «كلُّ من استعمل الصدق بينه وبين ربه، شغله صدقُه مع الله عن الفراغ إلى خلق الله».

وقال: «من لم يكن الصمتُ وطنَه فهو في فضول، وإن كان ساكناً».

وقال: «من صحب العلم فليس له بُدٌّ من مشاهدة الأمر والنهي».

وقال: «العلمُ قطعك عن الجهل؛ فاجتهد ألا يقطعك عن الله تعالى».

وقال: «التصوف اضطراب؛ فإذا وقع سكون فلا تصوُّف».

وقال: «النفس كالنار، إذا أُطفِيء من موضع، تأجج من موضع، كذلك النفس، إذا هدأت من جانب ثارت من جانب».

أوصى رجل فقال: الهمةَ، الهمَّةَ! فإنها مقدمة الأشياء، وعليها مدارها، وإليها رجوعها».

وقال: «ما أبرزَ الحقُّ للخَلْق إلا اسماً، أو رسماً. وما تكلم به إلا كل من لم يوفَّق».

١٢ ـ أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري

هو أبو العباس أحمدُ بن محمد. صَحِب يوسُفَ بن الحُسين، وعبدَالله الخرَّاز، وأبا محمد الجَرِيريّ، وأبا العباس بن عطاء، وهو من أفتى المشايخ، وأحسنهم طريقة واستقامة.

توفي بسمرقند بعد الأربعين وثلاثمائة.

من أقواله: «اعلمْ أنَّ طلبَ الله تعالى تركُ الطلب، استحياءً من الهيبة في الطَّلَب. فإذا فَنِي العبدُ في الطَّلَبِ، اختطفه الحقُّ في الطلب عن الطلب».

وقال: «مكاشفاتُ الأعيان بالأبصار؛ ومكاشفاتُ القلوبِ بالاتصال».

وقال: «العالَم متفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء:

فقومٌ رجَعوا مِن الأشياء إلى الله تعالى، فشاهَدُوا الأشياءَ ـ من حيثُ الأشياءِ ـ ثم رجَعوا عنها إلى الله عزَّ وجلَّ.

وقومٌ رجعوا مِن الله تعالى إلى الأشياء ـ من غير غَيْبتهم عنه ـ فلم يروا شيئاً إلاّ ورأوا الحقَّ قَبْلَه.

وقومٌ بَقَوا مع الأشياء، لأنّهم لم يكن لهم طريق منها إلى الله ليجتازوا بها عليها».

وقال: «اعلم أنَّ لله تعالى ـ في خلقه ـ رياضاتٍ، ليتجلّى لهم بربوبيته: يراضُون ـ لهم ـ في مشاهدات الأشياء، ليتحققوا بحقيقة الأشياء؛ كما راض إبرهيمَ خليلَه، صلوات الله عليه، حين رأى النجومَ؛ فقال في بدايته: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[الأنعام: ٧٦]؛ وإنما هي عينُ الجمع، من فرط البلاء، وغَلَبة الشوق، وحصول الجَمْع في الجَمْع؛ مِنْ حيث ما ورد عليه مِن الحقِّ للحقِّ، حتى قال: (هٰذَا رَبِّي). راضه ليُحَوِّله إلى ما هو من ورائه؛ أَلَمْ تسمع إلى قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[الأنعام:٧٦].

وقال: «اعلم أن أدنى الذكر أنْ ينسى ما دونه؛ ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر ـ في الذكر ـ عَن الذِّكْر؛ ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر. وهذا حال فناء الفناء».

وقال: «العلم علمان: علم قيام العبد بقيامه مع الله؛ وعلم بعلم الله في العبد، وهو العلم المغيَّب عن العباد، إلاّ مَن كُشِف له طرفٌ من ذلك، من نبي أو خاصٍّ ولي».

وقال: «اعلم أن لباس الظاهر لا يغير حُكْمَ الباطن».

وقال: «إنَّ لله عباداً، لم يستصلحهم لمعرفته، فشغلهم بخدمته. وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم».

وقال: «من عطش إلى حالٍ دهش فيه، ومن وصل إليه لم يستقر فيه».

وقال: «ليس يبلغ بالإنسان إلى مراتب الأخيار إلا الصدق. وكل وقت وحال خلا عن الصدق فباطل».

١٣ ـ أبو عثمان سعيد بن سلَّام المغربي

هو سَعيدُ بنُ سَلَّام أبو عثمان المغربي. من ناحية قَيْرَوان، من قرية يقال لها كَرْكِنْت. أقام بالحرم مدة، وكان شيخه

صحب أبا علي بن الكاتب، وحَبيباً المغرِبيّ، وأبا عَمْرو الزُّجَاجِيّ.

وكان أوحد في طريقته وزهده؛ بقية المشايخ ورد نَيْسابُور، توفي بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

من أقواله: «الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر».

وقال: «لا يعرف الشيءَ من لا يعرف ضده. لذلك لا يصح لمخلص إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء، ومفارقته له».

وقيل له: إنّ فلاناً مسافر!. فقال: «يجب أنْ يسافر من عِند هواه، وشهوته، ومراده؛ فإنَّ السَّفَر غُربة، والغربةُ ذِلَّة، وليس لمؤمن أن يُذلَّ نفسه».

وقال: «رحم الله الشافعي! ما أحسن ما قال: علم الأديان علم الحقائق والمعارف، وعلم الأبدان علم السياسات، والرياضات والمجاهدات».

وقال: «العاصي خيرٌ من المدَّعى؛ لأن العاصي ـ أبداً ـ يطلب طريق توبته،

والمدعى يتخبط في حبال دعواه».

وقال: «من مدَّ يده إلى طعام الأغنياء ـ بشره وشهوة ـ لا يفلح أبداً، وليس يُعذَر فيه إلا المُضْطَرُّ».

وقال: «الصوفيُّ [مَن] يملك الأشياء اقتداراً، ولا يملكه شيئاً اقتهاراً».

وقال: «مَن اشتغل بأحوالِ الناسِ ضيَّع حالَه».

وقال: «أبي المليكُ إلاّ اختِبَاراً لأوليائه، ومُتَعَرِّضاً لهم بأعدائه. وإنما اختبرك ـ في قرْبه ـ بِعدوِّه، لينظر كيف صبرك على عدوه؛ فإن صبرتَ على بَلْوى عدوِّه جَلَّلَكَ بعلمه، وحبَاك بوصله، وأسكنك في جِواره، ونعَّمك بمشاهدته، ولذَّذك بذكره، وأوصلك بمعرفته، وجعلك إماماً يقتدى به، ونجاة لعباده، ورحمة لهم، في أرضه، وجعل محبتك في قلوبهم وجعل أُنسهم في رؤيتك، وجعل لك حلاوة في قلوبهم».

وقال: «الأبله في دنياه الفقيهُ في دينه»

وقال: «التقوى هي الوقوف مع الحدود، لا يُقصِّر فيها، ولا يتعداها؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه﴾[الطلاق: ١].

وقال: «من آثَر على التقوى شيئاً حُرِم لذَّة التقوى».

وقال: «مَن تحقَّق في العبوديَّة طهَّر سِرَّه بمشاهدة الغيوبِ، وأجابته القدرةُ إلى كل ما يريد».

وقال: «لِيكنْ تدبُّرُك في الخلق تدبُّر عِبْرة؛ وتدبُّرُك في نفسك تدبُّر موعظة؛ وتدبُّرُك في القرآن تدبُّر حقيقةٍ ومكاشفةٍ، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ﴾[النساء: ٨٢][محمد: ٢٤] جرَّأك به على تلاوة خطابه، ولولا ذاك لكَلَّت الألسنُ عن تِلاوتِه».

وقال في مرضه: «إنَّما مَثَلي ومَثَلُ أطبائي كأخوة يوسُفَ ويوسُف. كان

يوسفُ مدبَّراً بالقدرة، وإخوتُه يدبِّرون فيه. وأنَّى يغنى تدبيرُ الخَلْقِ من تدبير القُدرَة؟!».

وقال: «الساكتُ ـ بعلمٍ ـ أحمدُ أثراً من الناطق بجهل».

وقال: «لا تصحبْ إلا أميناً، أو مُعيناً؛ فإن الأمين يحملك على الصدق، والمعين يعينك على الطاعة».

سُئِل مرة: «ماعُقْدةُ الورع؟. فقال: الشريعةُ تأمره وتنهاه، فيتبع ولا يخالف».

وقال: «لما بذل المحبون مجهودهم، في طاعة ربهم، عطف عليهم الحقُّ بالإحسان، ومرةً بعد أخرى، حتى أحبوه؛ رُوِيَ عن النبي، صلى الله عليه وسلّم، أنه قال: (جُبِلَتْ القُلُوبِ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها).

وقال: «قلوبُ أهلِ الحقِّ [قلوبٌ] حاضرة، وأسماعُهم أسماعٌ مفتوحة».

وقال: «مَن حَمَل نفْسه على الرجاء تعطّل؛ ومَن حمل نفسه على الخوف قَنَط. ولكن ساعة وساعة، ومرة ومرة».

وقال: «بِداياتُ المقاماتِ أرْفاقٌ، وغِنًى، وكفاية. ولكنْ إذا تمكَّن أتته البلايا؛ لذلك قال بعض المريدين: ما زالوا يرفقون بي حتى وقعتُ؛ فلما وقعتُ قالوا لي: استمسكْ! كيف استمسك إن لم يمسكني؟!».

وقال: «الحكمة هي النُّطقُ بالحق».

وقال: «الغنيُّ الشاكرُ يكون كأبي بكر الصديق، شَكَر، فقدَّم مالَه، وآثرَ الله عليه، فأورثه الله غِنَى الدارين ومُلكَهما. والفقيرُ الصابرُ مثلُ أُوَيْسٍ القَرَنِيِّ، ونُظَرائِه، صبروا فيه، حتى ظهرتْ لهم براهينُه».

وقال: «مَن أعطى نفسَه الأمانِي قطعها بالتسويف والتوانِي».

وقال: «عِلْم اليقين يدل على الأفعال: فإذا فعلها، وأخلص فيها، وظهرت

له بينات ذلك، صار [له عِلمُ اليقين] عينَ اليقين».

وقال: «التقوى تتولّد من الخوف».

وقال: «أفواه قلوبِ العارفين فاغرة لمناجاة القدرة».

وقال: «سألني سائل: متى يقوم الحقُّ بالحق؟ فقلتُ: إذا بلغ الميقاتُ حينَه، واستوفى الحقُّ مجاريَ أحكامِه ـ من ظاهر هيكله ـ أوْقدَ سُرُجَ الإيمان في قلبه، واكتسى ظاهرُ هيكله بنور حقه، وانتصر له من ظالمه. فتعجَّب السائل، وسكت».

١٤ ـ أبو القاسم إبرهيم بن محمد النصراباذي

هو إبرهيم بنُ محمد بن مَحْمَويه أبو القاسم النصراباذي، شيخُ خراسان في وقته. نَيْسابوريُّ الأصل، والمنشأ، والمولِد.

كان مُختصاً به من علم الحقائق. وكان أوحد المشايخ ـ في وقته ـ علماً وحالاً.

وصَحِب أبا بكر الشِّبْلِيَّ، وأبا عليٍّ الرُّوذْبارِيَّ، أقام بنيسابور، توفي رحمه الله سنة سبع وستين وثلاثمائة، وكان ثقة.

أسند الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (حَدِيثُ السُّكْنَى والنفقة).

ومن أقواله: «إذا بدا لك شيء من بوادي الحق، فلا تلتفتْ ـ معه ـ إلى جنة ولا إلى نار، ولا تُخطِرْهما ببالك؛ وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظِّمْ ما عظمه الله تعالى».

وقال: «إذا أخبر عن آدم ـ بصفة آدم ـ قال: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى﴾ [طه: ١٢١]. وإذا أخبر عنه ـ بفضله عليه ـ قال: ﴿ إِنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]

وقال: «موافقةُ الأثر حسنٌ، وموافقةُ الأَمْرِ أحسن. ومن وافق الحق - في لحظَةٍ أو خطرة - فإنه لا تَجرِي عليه، بعد ذلك، مخالفةٌ بحال».

وقال: «مَن عَمِل على رؤية الجزاء، كانت أعمالُه بالعدد والإحصاء. ومن عمل على المشاهدة [أذهلتْه المشاهدة عن التعداد والعدد. ومن عمل بالعدد كان ثوابه بالعدد؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن عمل على المشاهدة] كان أجره بلا عدد؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب﴾ [الزمر: ١٠].

وقال: «الرّاحةُ ظرفٌ مملوءٌ من العتابِ».

وقال: «الراغب في العطاء لا مقدار له؛ والراغبُ في المعطِي عزيز».

وقال: «أنت بين نِسْبتين: نسبةٍ إلى الحق، ونسبةٍ إلى آدم. فإذا انتسبت إلى الحق دخلتَ في مقامات الكشف، والبراهين، والعظمة؛ وهي نسبة تحقق العبودية، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾ [الفرقان:٦٣]؛ وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[الحجر: ٤٢]. وقال: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا﴾ ﴿[آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً]﴾[الكهف: ٦٥]. وإذا انتسبتَ إلى آدم دخلتَ في مقاماتِ الظلم والجهل؛ قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَها الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[الأحزاب: ٧٢].

وسُئِل: أليستْ الأنفسُ والأموالُ لله عز وجل؟ فكيف يشترى ما هو له؟، فقال: «إنَّه، عزَّ اسمُه، اشترى منهم ما هو له - نظراً لهم - كشراء الأب للطفل، نظراً له. مَلَّكك نفسَك، ثم أسقط عنها ملكك، لئلا يقع لك - بتمليكه إياك - غبن، بأن تشتري به مالا يعارضه، أو تبيعَه بما لا يوازنُه».

وقيل له: إنَّ بعض الناسِ يجالس النسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن - فقال: «ما دامت الأشباح باقية، فإن الأمرَ والنهيَ باقٍ، والتحليل والتحريم

مُخاطَب بهما. ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات».

وقال: «الأشياءُ أدلةٌ منه، ولا دليل عليه سواه».

وقال: «سِرٌّ يسلم من رُعونة البشرية سرٌّ ربَّاني».

وقال: «العباداتُ إلى طلبِ الصَّفْح، والعفو عن تقصيرها، أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء بها».

وقال: «دماءُ الأقرباء تتحركُ عند الالتقاء، ودماء المحبين تجيش وتغلي».

وقال: «أهلُ المحبَّة واقفون مع الحقِّ على مقام، إنْ تقدَّموا غرقوا، وإنْ تأخَّرُوا حُجِبوا».

وقال: «أثقال الحق لا يحملها إلاّ مطايا الحق».

وقال: «جذبة مِنْ جذباتِ الحق تربِي على أعمال الثقلين».

وقال: «أصلُ التصوف ملازمةُ الكتابِ والسُّنةِ، وتركُ الأهواء والبِدَع، وتعظيمُ حُرُماتِ المشايخ، ورُؤْيةُ أعذار الخَلْق، وحُسْنُ صحبةِ الرفقاء، والقيامُ بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومةُ على الأوراد، وترك ارتكابِ الرُّخَص والتأويلات. وما ضَلَّ أحدٌ في هذا الطريق، إلا بفساد الابتداء؛ فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء».

١٥ ـ أبو الحسن علي بن إبرهيم الحصري

هو أبو الحسن، عليُّ بنُ إبرهيم الحصري. بَصْريُّ الأصل، سكن بغدادَ، وكان شيخَ العراقِ ولسانها.

هو أستاذ العراقيين، وبه تأدب من تأدب منهم. صحب أبا بكر الشِّبليَّ، مات ببغداد، سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

حدث فقال: «الصوفي لا ينزعج في انزعاجه، ولا يقر في قراره».

وقال: «آدم ـ في مَحَلِّه ـ كان مَحَلاً للعِلل، فخوطب على حسب العلل: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾[طه:١١٨] وإلا، فما مقام المجاورة مما يؤثر فيه الجوع والعرى!».

وقال: «علمنا الذي نحن فيه يُوجِب إنكار كل معلوم مرسوم، ومحو كل معلوم معلول. وما بان شيء فيمتحى».

وقال: «لا أحد أقل قدراً ممن يشتغل بالفضائل، فيقدم ذا، ويؤخر ذا. في الدنيا يكون ناساً بناس مع ناس؛ وفي الآخرة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾[فصلت:٣١] من المطاعم والمشارب، والمناكح. ليت الجنةَ على قفا أهلها! لعلنا إذا نجونا منها، ومن طالبيها، تفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته، وبدأنا بأنواع مبارِّه!. بل لو عرفناه، ما شاهدنا سواه».

وقال: «دعوني وبلائي!. هاتوا مالكم! ألستم من أولاد آدم، الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، ثم أمره بأمر فخالفه؟!. إذا كان أولُ الدن دُرْدِيّاً، كيف يكون آخره؟!».

وقال: «من ادَّعَى في شيء من الحقيقة، كذَّبته شواهدُ كَشْفِ البراهين».

وقال: «نظرتُ في ذُلِّ كلِّ ذي ذُلّ، فزاد ذُلِّي على ذلِّهم. ونظرتُ في عزِّ كل ذي عِزّ، فزاد عزّي على عزهم. ثم قرأ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾[فاطر:١٠].

وقال: «الصوفيُّ الذي لا يوجَد بعد عدمِه، ولا يُعدَم بعد وجوده».

وقال: «الصوفيُّ وَجْدُه وجوده، وصفاتُه حجابُه».

وقال: «الصوفيُّ إن وصف جحد، وإن تجلَّى كشف».

وقال: «الخوفُ من الله عِلَّةٌ وحجابٌ. لأنّه إذا كان خوفي منه لا يُزيل مرادَه

فِيَّ، ورجائي لا يُوصِّلُني إلى مُرادي منه، فقد تعطَّل عندي حكمُ الخوف والرجاء للمتحققين. وأما أربابُ الرسوم والعلوم فعليهم واجب التزام الأدب».

وقال: «ربَطَ الكل بالحدود؛ وقطع طريقَ الحقِّ عن الكُلِّ؛ فلا ترى إلاَّ واقفاً مع نفسه، أو مع رسمه؛ لبينونة القِدَم أَنْ لم يلحقْه شيءٌ من الحوادث. إذا زَفرتْ جهنم زفرةً، فإنَّ الكُلَّ يقول: نفسي! نفسي!. والأَجَلُّ الأدنى يرجع إلى حد الشفقة، فيقول: أمتي! أمتي!. فلا يبقى في أحد نفس بلا علة، فيقول: ربِّي! ربِّي!. ليُعلَم أن محلَّ الحوادث لا يخلو عن العِلَل».

وقال: «كنتُ زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيد من الشيطان، وأقول: مَن الشيطان حتى يحضر كلام الحق عزَّ وجلَّ؟!».

وقال: «الحبُّ استهلاك، لا يبقى معه صفة».

وقال: «هو أعزُّ من أن يَعِزَّ على سواه، وأعزُّ من أنْ يذِلَّ له غيره؛ وأعز من أن يذِلَّ لغيره؛ بل هو أذلّ مالهُ لمالَهُ، وعزَّزَ مالَهُ على مالَهُ. وليس لمن أعزَّ معنًى عزَّ بِهِ، ولا لمن أَذَلَّ معنًى ذلَّ بِهِ؛ بل هو أظهر الجميع، ورسَمَ بأنهم عزُّوا وذلُّوا. وذلك هو العزُّ الذي لا يرام».

وقال: «ضاقت عليَّ أوقاتي وأنفاسي، فلستُ أستروح إلا أَنْ تذكر أنفاسٌ جَرتْ مني بأُنس البَسْط، بصفاء الود، مصونة عن شوب الأكدار، وأنشد هذا البيت:

إنّ دهـراً يلُـفُّ شملـي بسَلْمـى ... لــزمـانٌ يهُــمُّ بــالإحســانِ

١٦ ـ أبو عبدالله التروغْبَذي

هو أبو عبدالله التُّرُوغبَذِيُّ؛ محمدُ بنُ محمد بن الحسن.

كان من جِلة مشايخ طُوس. صَحِب أبا عُثمان الحِيرِيَّ، وصار أوحد في طريقته؛ ظهرت له آياتٌ وكراماتٌ.

مات بعد الخمسين وثلاثمائة.

قال: «من بذل نفسه لهواه، وشغل عُمْرَه بمناه، استعبده هواه، واسترقه مناه».

وقال: «طوبَى لمن لم يكن له وسيلة إلى الله سواه فإنه لا وسيلة إليه غيره».

سُئِل: «ماصِفَةُ المريد؟. فقال: «المريد في تعب، ولكنَّ تعبَه سرور وطرب، لا عناء ولا نصب».

وقال: «الكِبْرُ سمةُ الأغنياء؛ والتذللُ والتواضع من أخلاق الفقراء».

وقال: «تركُ الدنيا ـ للدنيا ـ من علامات حب الدنيا».

وقال: «ليس في اجتماع الإخوان أُنس لوَحْشة الفراق ».

وقال: «من ضيَّع أمر الله في صغره، أذله الله في كبره».

وقال: «لو خدم رجل في جميع عمره يوماً فتى من الفتيان، للَحِقتْه بركةُ خدمته. فكيف بمن أفنى في خدمتهم عمره !».

وقال: «الصوفيُّ بربه، والزاهدُ بنفسه».

وقال: «الأسماء مكشوفة، والمعاني مستورة».

وقال: «إياك والتمييز في الخدمة، فإن أرباب التمييز قد مضوا. أخدم الكل ليحصل لك المراد، ولا يفوتك المقصود».

وقال: «إن الله تعالى وهب لكل عبد من معرفته مقداراً؛ وحمَّله من البلاء على مقدار ما وَهب له من المعرفةِ؛ لتكونَ معرفتُه عوناً له على حمل بلائه».

وقال: «ما جزع النبي، صلّى الله عليه وسلَّم، قط إلاَّ لأمَّته فإنه بُعِث بالرأفة

والرحمة. فإذا كُشِف له من أمور أمته عن مخالفة جَزِع لهم وعليهم؛ قال الله تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال: «العِلمُ يورث الخوف، والعلمُ يورِث الوَجَل، والعلمُ يورثُ السكينة والطمأنينة. وذلك على قَدْر أحوال العبيد ومقاماتهم: مقام أوجب العلمُ فيه الوجل والخوف؛ ومقام أوجب فيه السكون والطمأنينة. والأحوال تصحُّ إذا كانت عن نتائج العلوم».

١٧ ـ أبو عبدالله الروذْباري

هو أبو عبدالله الرُّوذْباريّ؛ أحمد بنُ عطاء بن أحمد الروذْباريّ ابن أخت أبي علي الرُّوذْبارِيّ. شيخُ الشَّام في وقته، يرجع إلى أحوالٍ يختص بها.

مات بِصُور سنة تسع وستين وثلاثمائة.

أسند الحديث: عن جعفرُ بنُ محمد الصادق، رضي الله عنه: (اللَّحْمُ بِالبُرِّ مَرَقَةُ الأَنْبِيَاءِ).

قال رحمه الله: «الذوقُ أولُ المواجيد؛ فأهل الغَيْبَة إذا شربوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا».

وقال: «ما من قبيح إلا وأقبح منه صوفي شحيح».

وقال: «رأيتُ في المنام كأن قائلاً يقول لي: أيش أصح ما في الصلاة؟. فقلت: صحة القصد فسمعت هاتفاً يقول: رؤية المقصود، بإسقاط رؤية القصد، أتم».

وقال: «الخشوع في الصلاة علامة فلاح المصلي قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

المُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون: ١ـ٢].

وقال: «مَن خدم الملوك بلا عقل، أسلمه الجهلُ إلى القتل».

رقال: «مَن قلتْ آفاته اتصلت بالحقّ أوقاتُه».

وقال: «مُجَالسةُ الأضدادِ ذَوَبانُ الرُّوح، ومُجَالسةُ الأَشكال تلقيحُ العقول».

وقال: «ليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة. وليس كل من يصلح للمؤانسة يؤتمن على الأسرار. ولا يؤتمن على الأسرار إلاّ الأُمناء فقط».

وقال: «إنَّ القبضَ أولُ أسبا ب الفناء، والبسطَ أولُ أسباب البقاء. فحالُ من قُبِضَ الغَيبَةُ، وحالُ من بُسِط الحضورُ. ونعتُ من قُبِضَ الحزن، ونعتُ من بُسِط السرور».

وقال: «من عَطِش إلى حالة أتمَّ مِمَّن دَهِش بها. و ليس مَن دهش بها أتمَّ ممن عطِش إليها. وهذا شأنُ قبضِ الحق بالفناء، وبسطِه بالبقاء».

وقال: «التصوف ينفي عن صاحبه البخل، وكَتْبُ الحديث ينفي عن صاحبه الجهل؛ فإذا اجتمعا في شخص فناهيك به نبلا».

ومن أشعاره:

فَما مَلَّ ساقِيهَا، وَمَا ملَّ شاربٌ ... عُقارُ لِحاظٍ كأسُه يُسْكِرُ اللُّبَّا
يطوف بها طرفٌ من السِّحر فاترٌ ... على جسم نُورٍ، ضوؤه يخطِفُ القَلْبَا
يقول بلفظٍ، يُخجِل الصبَّ حُسْنُه ... تجاوزْتَ يا مَشْغوفُ في حالِك الحُبَّا
فَسُكْرُكَ من لحظي هو الوجدُ كُلُّه ... وصَحْوُكَ من لفظي يبيح لك الشُّربا

وقال: «سِرُّ السماع ثلاثة أشياء: بلاغةُ ألفاظه، ولطفُ معانيه، واستقامةُ منهاجه. وسِرُّ النغمة ثلاثة: طيبُ الخُلُق، وتأديةُ الألحان، وصحةُ الإيقاع. وسِرُّ الصادق في السماع ثلاثة: العلمُ بالله، والوفاءُ بما عيه، وجَمْعُ الهَمِّ. والوطنُ الذي يسمع فيه يُحتاج أن يُجمع فيه ثلاث خصال: طيبُ الروائح، وكثرةُ.

الأنوار، وحضورُ الوقار؛ ويُعدَم ثلاث: رؤيةُ الأضداد، ورؤيةُ مَن يُحتَشم، ورؤيةُ من يتلهَّى. ويسمع من ثلاث: الصوفية، والفقراء، والمحبين لهم. ويسمع على ثلاثة معانٍ: على المحبة، والوجد، والخوف. والحركة في السماع على ثلاث: الطرب، والخوف، والوجد. والطربُ لهُ ثلاثُ علامات: الرقصُ والتصفيق، والفرح. والخوف له ثلاث علامات: البكاء واللطم، والزفرات. والوجد له ثلاث علامات: الغيبة، والاصطلام، والصرخات».

١٨ ـ أبو الحسن علي بن بندار الصيرفي

هو أبو الحسن عليُّ بنُ بُنْدَار بن الحُسين، الصَّيْرَفيُّ.

من جِلَّة مشايخ نَيْسابور، صَحِب بنَيْسابورَ أبا عثمان، ومحفوظاً؛ وبسَمَرْقَنْد محمدَ بنَ الفضل؛ وببَلْخ محمدَ بن حامد؛ وببغداد الجُنَيدَ بنَ محمد، ورُوَيماً، وبالشام طاهراً المقْدِسيَّ، وبمصر أبا بكر المصريَّ، والزقَّاق، وأبا عليٍّ الرُّوذْبارِيَّ.

وكان ثقة. مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

أسند حديثاً: عن عائشة، أن النبيَّ، صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: (نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ).

وقال التصوف: «إسقاط رؤية الخَلْق، ظاهراً وباطناً».

وقال: «فسادُ القلوب على حسب فساد الزمان وأهله».

وقال: «دار أُسِّسَتْ على البلوى بلا بلوى محالٌ».

وقال: «يا بُنَيَّ!. إياك والخلافَ على الخَلْق!. فمن رضِيَ الله به عبداً، فارض به أخاً».

وقال: «إياك والاشتغال بالخلق!. فقد عدم عليهم الريحُ اليوم».

وقال لابنه: «ما هذا؟!. قال: كتاب «المعرفة». فقال: ألم تكن المعرفة في القلوب؟. فقد صارت في الكتب!».

وقال: «ليس الفقير من يظهره فقره؛ إنما الفقير من يكتم فقره، ويأنس به ويفرح».

وقال: «زمانٌ يُذكَّر فيه بالصلاح ، زمان لا يُرجَى فيه صلاح».

وقال: «كنتُ يوماً أماشِي أبا عبدالله محمدَ بنَ خفيف؛ فقال لي [أبو عبدالله]: تقدم يا أبا الحسن!. فقلت: بأي عذر؟! قال: بأنَّك لقيتَ الجُنَيْد وما لقيتُه».

وقال: «ثوب أستَجِيزُ فيه الصلاةَ أكره أنْ أُبْدِلَه، للقاء الناس بخير منه».

وقال لبعض أصحابه: «من عدم الأُنس من حاله لم يزده التنزه إلا وحشة».

وقال: «[الحقُّ] أمر عظيم يطلبه الخلقُ. إنما الحقُّ بطرح الدنيا والآخرة».

١٩ ـ أبو بكر محمد بن أحمد الشبهي

هو محمد بن أحمد بن جعفر، الشَّبَهِيُّ، من أفتى مشايخ وقته، صَحِب أبا عثمان الحيريَّ. مات قبل الستين وثلاثمائة.

أسند الحديث: عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلَّى الله عليه وسلم: (مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ).

وقال: «يكفيك من حُسْن الخُلُق ألا تُحزِن بريئاً».

وقال: «أنا إذا مشيتُ في السوق، يقول الناس: انظروا إلى خشوع هذا

المنافق!. فقال: اتق الله! وخَفْ على نفسك! فإن النبي، صلى الله عليه وسلَّم، قال للمسلمين: (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ).

وقال: «الفتوة حسن الخلق وبذل المعروف».

وقال: «العارفون يقوون بمعروفهم، وسائر الناس يَقْوَون بالأكل والشُّرب».

٢٠ - أبو بكر محمد بن أحمد الفراء

هو محمد بنُ أحمدَ بن حَمْدون، الفرَّاءُ أبو بكر، من كبار مشايخ نيسابور. صحب أبا علي الثقفي، وعبدالله بنَ مُنازِل، وغيرَهم من المشايخ. توفي سنة سبعين وثلاثمائة.

روى بسند: بَهْزِ بن حكيم؛ عن أبيه؛ عن جده: أن رسول الله، صلّى الله عليه وسلَّم، رأى رجلاً يغتسل في صحن الدار، فقال: (إِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ وَلَوْ بِجِدَارٍ).

وقال: «من لم يُؤْثِره الله على كل شيءٍ لا يصل إلى قلبه نور المعرفة بحال».

وقال: «يصح للمرء عملُه على قدر اهتمامه بالدخول فيه، وحُزْنه على تقصيره، وجُهدِه في الخروج منه على السنة».

وقال: «كتمانُ الحسنات أولى من كتمان السيئات؛ فأنك بذلك ترجو النجاة».

وقال: «الآمر بالمعروف يجب أن يبدأ بنفسه، ويصبرَ على ما يلحقُه في ذلك، ويكونَ عالماً بما يأمر به، وما ينهى عنه».

وقال الأبرار: «هم المتقون».

٢١ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد المقرىء

أبو القاسم، من جِلَّة مشايخ خراسان، عالى الحال، شريف الهمة.

صَحِب أبا العباس بن عطاء، وأبا محمد الجَرِيريَّ، توفي بنيسابور سنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمائة.

من أحاديث عبدالله قوله: «الفقير الصادق الذي يملك كلَّ شيءٍ ولا يملِكه شيء».

وقال: «الفتوَّةُ حُسن الخلق مع من تبغضه، وبَذْلُ المال لمن تكرهه، وحُسْن الصُّحبة مع من ينفر قلبك منه».

ومن أحاديث أبا القاسم قوله: «الفتوةُ رؤية فضل الناس بنقصانك».

وقال: «الحرية موافقة الإخوان فيما هم فيه، مالم تكن خلافاً للعلم».

وقال: «التصوف استقامة الأحوال مع الحق».

وقال: «ما قَبِل منِّي أحدٌ شيئاً إلاَّ رأيتُ له منَّةً عليَّ لا يمكنني القيامُ بواجبها أبداً».

قال الشيخ أبو القاسم الرازي: «ليس السَّخِيُّ مَن طالع ما بذله أو ذكره؛ وإنَّما السَّخِيُّ مَن إذا تَسَخَّى استحى من ذلك، واستصغره، وأنف من ذِكْره».

وقال: «سمعتُ أخي أبا عبدالله، يقول: «أول ما صحبتُ عبدالله الخراز. قلتُ له: بماذا تأمرني؟، أيها الشيخ!. قال: بثلاثة أشياء: بالحرص على أداء الفرائض بأتم جُهدك؛ والاحترام لجماعة المسلمين؛ واتهام خواطِرك، إلاَّ ما وافق الحق».

وقال: «أوائلُ بركة الدخول في التصوف، أن تصدق الصادقين في الأخبار عن أنفسهم، وعن مشايخهم».

قيل أنه: «وَرِث أبو عبدالله المُقْرِيء عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضِّياع والعَقار، فخرج عن جميع ذلك، وأنفقها على الفقراء. فسأل أبا عبدالله عن ذلك، فقال: أحرمتُ وأنا غلام حَدَث، وخرجتُ إلى مكة على الوِحْدة والتقطُّع، حين لم يبق لي شيء أرجع إليه؛ فكان اجتهادي أن أزهد في الكتب وما جمعته من الحديث والعلم، أشد عليَّ من الخروج إلى مكة، والتقطع في الأسفار، والخروج من ملكي».

وقال رحمه الله: «من تعزَّز عن خِدْمة إخوانه أورثه الله ذلاً لا انفكاك له منه».

٢٢ ـ أبو محمد عبدالله بن محمد الراسبيّ

هو عبدُالله بنُ محمد. من أهل بغداد، وجِلَّة مشايخهم. صَحِب أبا العباس بنَ عطاء، والجريريَّ.

توفي ببغداد سنة سبع وستين وثلاثمائة.

حدث: القلبُ إذا امتُحِن [بالتقوى] نُزِع عنه حبُّ الدنيا، وحُبُّ الشهواتِ، وأُوقِف على المغيَّبات».

وقال: «أعظمُ حجابٍ بينك وبين الحق اشتغالك بتدبير نفسك، واعتمادك على عاجز مثلِك في أسبابك».

وقال: «لا يكون الصوفيُّ صوفياً حتى لا تُقِلُّه أرض، ولا تُظِلُّه سماء، ولا يكون له قبول [عند الخلق]. ويكون مرجعه في كل أحواله إلى الحق [عز وجلَّ]».

وقال: «الهمومُ عقوباتُ الذنوب».

وقال: «المحبةُ إذا ظهرتْ افتضح فيها المحب، وإذا كُتِمَتْ قتلَت المحبَّ كمداً».

وقال: «خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمواصلة، والصالحين للملازمة، والمؤمنين للعبادة والمجاهدة».

وحدث في قوله عز وجلَّ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الحياة الدُّنْيَا والله يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٨] فقال: «جمع بين إرادتين: فمن أراد الدنيا دعاه الله إلى الآخرة؛ ومن أراد الآخرة دعاه إلى قربه؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ [الاسراء: ٢٠].

وقال: «البلاءُ أو الحِيرة هو صحبتُك مع مَن لا يوافقك، ولا تستطيع تركه».

٢٣ ـ أبو عبدالله محمد بنُ عبدالخالق الدينَوري

هو محمدُ بنُ عبدالخالق من جِلَّة المشايخ، وأكبرهم حالاً، وأعلاهم هِمَّةً، أقام بوادي القرى سنين، ثم رجع إلى دِينَوَر، وتوفي بها.

حدث فقال: «صحبةُ الصِّغار مع الكبار من التوفيق والفِطْنة ورغبةُ الكبار في صحبة الصغارِ خِذْلان وحُمْق».

وقال: «لا يُعْجِبَنَّك ما ترى من هذه اللِّبْسة الظاهرة عليهم؛ فما زيَّنُوا الظواهر إلا بعد أن خَرَّبُوا البواطن».

وقال: «اختيار الله تعالى لعبده ـ مع علمه بعبده ـ خير من اختيار العبد لنفسه، مع جهله برَبِّه».

وقال: «تَعبُ الزهد على البدن وتَعبُ المعرفة على القلب».

دخل رجل مرة على أبي عبدالله الدينَوَرِيّ، فقال له: كيف أمسيت؟ فأنشأ يقول:

إذَا الليــــلُ أَلْبسنِـــي ثــــوبَـــه		تَقَلَّـــبَ فيـــه فتًـــى مُـــوجَـــعُ

وأنشد أيضاً:

بِقَلْبـي مَـن نفَـى عَنِّـي نُعـاسِـي		وَأَرَّقنـي، وبـات ولـم يُـواسـي
وَمَـنْ حُبِّي لـه ـ أبـداً ـ جـديـدٌ		وثـوبُ صـدوده ـ أبـداً ـ لبـاسـي
يُسـيءُ فـلا أؤاخـذه بِـذَنْـبٍ		والـزم ذَنْبَـهُ كُـلاًّ راسـي

وقال: «أرفع العلوم ـ في التصوف ـ علمُ الأسماء والصفات، وتمييز الخلاف من الاختلاف، وإخلاص أعمال الظاهر، وتصحيح أحوال الباطن».

وقال: «رأيتُ، في بعض أسفاري، رجلاً يقفز بإحدى رجليه؛ فقلت له: مالك والسفر مع فقدان الآلة؟!. فقال لي: أمسلم أنت؟ قلت: نعم! [قال:] اقرأ قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[الآسراء: ٧٠] إذا كان هو الحامل حَمَل بلا آلة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

الفهرس